GOOD GIRL

BAD فتاة سيئة

جيدة

أليس فيني

ترجمة: إيناس سمير

عصير الكتب

مكتبة ياسمين

GOOD BAD GIRL
فتاة سيئة جيدة

تمنيتُ أن تختفي ابنتي، والآن شخص ما خطف الطفلة.

أهمس باسمها.

ثمَّ أصرخ به.

يتوقَّف الناس ويحدقون إليَّ، وأشعر أنني لا أستطيع التنفُّس.

تستعيد الحياة صخبها مجددًا. أشرع في الركض، واليأس يملؤني، بحثًا عن أي أثرٍ للطفلة أو الشخص الذي خطفها. أرى امرأةً تحمل طفلة وأشعر بالغضب، ثمَّ الارتياح، ثم الخزي حين أدرك أنها ليست هي. أعتذر، وأواصل الركض، وأستمر في البحث والصراخ باسمها على الرغم من أنها صغيرة جدًّا لتعرف كيف تجيب. الناس يحملقون إليَّ ولا أهتم. يجب أن أجدها، أحتاج إليها، أحبُّها. إنها ملكي وأنا ملكها. وسأفعل أيَّ شيءٍ من أجلها. لن أفكر أبدًا في أفكارٍ سيئةٍ عنها مرة أخرى.

لكنها اختفت.

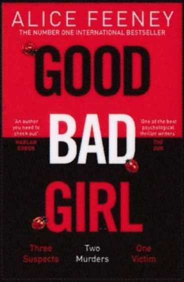

بعد مرور عشرين عامًا على اختطاف طفلةٍ من عربتها، تُقتَل امرأةٌ في دارٍ لرعاية المُسنِّين. ترتبط الجريمتان بطريقةٍ أو بأخرى. وقد تكون الفتاة التي طالما اعتبرت نفسها فتاةً سيئة جيدة هي مفتاح الكشف عن الحقيقة، ففي بعض الأحيان تحدث أشياء سيئةٌ للأشخاص الجيدين، مما يضطرُّ الأشخاص الجيدون إلى فعل أشياء سيئةٍ.

تصميم الغلاف كريم آدم

مكتبة ياسمين

عصير الكتب

www.aseeralkotb.com
contact@aseeralkotb.com
aseeralkotb
aseeralkotb
aseeralkotb

GOOD BAD GIRL
فتاة سيئة جيدة

يسعدنا انضمامكم إلى قناة

مكتبة ياسمين

معكم نكبر ونستمر بكل جديد

مكتبة ياسمين

t.me/yasmeenbook

- العنوان الأصلي: Good Bad Girl
- العنوان العربي: فتاة سيئة جيدة
- طُبِع بواسطة: Flatiron Books
- حُقوق النشر:
Copyrights © by 2023, Diggi Books Ltd
- حقوق الترجمة: محفوظة لدار عصير الكتب
- ترجمة: إيناس سمير
- تدقيق لغوي: أحمد عطية
- تنسيق داخلي: معتز حسنين علي
- الطبعة الأولى: يناير/2024م
- رقم الإيداع: 28531/2023م
- الترقيم الدولي: 978-977-992-368-0

إلى البناتِ وأُمَّهاتهنَّ...

النهاية

عِيدُ الأُمِّ

يقول الناس إنَّ لا شيء يضاهي حُبَّ الأم. ضع هذه المقولة جانبًا، وستدرك أنَّ لا شيء يضاهي كراهية الأبناء. أخبرتُ نفسي بأنَّ الأمور ستأخذ منحنًى مختلفًا حين صرتُ أمًّا. عزمتُ على عدم ارتكاب الأخطاء نفسها التي ارتكبتها أمي، وظننتُ أنَّ طفلتي ستُغمَر بالحُبِّ على الدوام. هذا ما وعدتُ به ابنتي في يوم ولادتها.

لكنِّي ارتكبتُ أخطاءً، أخطاءً فادحةً.

وحنثتُ بوعدي أكثر من مرَّةٍ.

أشعر بالإعياء الشديد. هناك حالة من الفوضى في ذهني. تبدو أفكاري بليدةً، ومضطربةً، ومشوَّشةً بضباب الإرهاق. لكنها كأيِّ ابنة لديها احتياجات، وهي بحاجة إليَّ، لتلبيتها. أصبح فعل وإيجاد وتقديم ما تحتاج إليه شُغلي الشَّاغل منذ وُلدَت. وظيفةٌ ظننتُني أبتغيها ولا يمكنني تركها الآن. كونك

أمًّا هو مزيجٌ غريبٌ من الحب والكراهية والشعور بالذنب. يقلقني أن أكون الشخص الوحيد الذي تنتابه هذه المشاعر، وأحتقر نفسي على التفكير في أفكارٍ لا يمكن تصوُّرها.

أتمنى أن تختفي ابنتي.

أدفع العربة على طول الشارع الرئيسي، أملًا في دخول السوق المركزية قبل هطول الأمطار، حين تعترض امرأةٌ مُسنَّةٌ طريقي، وتقول وهي تحدق إلى الرضيعة النائمة في العربة قبل أن تلتفت إليَّ وتبتسم: «أَوَلَيْسَت فاتنة؟».

أتريَّث، بحثًا عن الاستجابة الصحيحة في ذهني المضطرب: «بلى».

- كم عمرها؟

- ستة أشهر.

- إنها جميلة.

إنها كابوس.

أقول بينما أحث وجهي على الابتسام لكنه لا يستجيب: «شكرًا لكِ».

رجاءً لا توقظيها.

هذا كلُّ ما يشغل تفكيري. لأنه إذا أيقظها شخصٌ أو شيءٌ ما، ستشرع في البكاء مجددًا. وإذا بكت مجددًا، سأبكي أنا الأخرى مجددًا. أو أفعل شيئًا أسوأ.

داخل السوق، أُسرع للحصول على الأشياء التي أحتاجها: حليب الأطفال، والحفاضات، والقهوة. ثم أرى وجهًا مألوفًا -وجه صديقة قديمة- وأنسى للحظة التعب الذي أشعر به طوال اليوم، وكل يوم. أُنصت إلى الصديقة التي أصبحت غريبة وهي تتحدث عن حياتها، حياة لا تحمل فيها مسؤولية أي أطفال، وتبدو بوضوح أكثر متعةً من حياتي. أعيش بمفردي وأتوق إلى هذا النوع من المحادثات مع البالغين. نتحدث لبعض الوقت. أنصت في معظمه، فليس لدي الكثير لأقوله، لأن جميع أيامي متشابهة الآن. وفي الأثناء، أنسى أنه لم يعد لدي أي أحلام أو طموحات أو حياة خاصة. أصبحت ابنتي عالمي، وغايتي، وكل شيء، منذ لحظة ميلادها.

أتمنى أحيانًا لو لم تأتِ هذه اللحظة.

أعلم أنَّه ينبغي لي ألا أشارك هذه الأفكار أبدًا أو أفصح عنها بصوت عالٍ. وعوضًا عن ذلك، أتظاهر بأنني بخير، وأُزيِّف السعادة، وأدَّعي أنني أعرف حقًّا ما أفعله. أنا جيدة في التظاهر، لكن التظاهر مرهق، مثل كلِّ شيء آخر في حياتي. ومثل ابنتي.

تستغرق المحادثة أقل من ثلاث دقائق.

أُدِيرَ ظهري خلالها أقل من دقيقتين.

بعد دقيقة واحدة، ينتهي عالمي.

العربة فارغة.

يتوقف الزمن. يصمت ضجيج السوق فجأة، كما لو أن شخصًا خفض صوت الحياة، كتم صوت حياةٍ كانت دائمًا صاخبة جدًّا. لم أتخيل قط أن أتمنى يومًا أسمعها تبكي، طويلًا، حتى أرى ذلك الوجه الصغير المتغضن، وهو يصرخ بلا توقف، ويحمَّر غضبًا من شيءٍ يتعذَّر فهم سببه. الصوت الوحيد الذي أسمعه الآن في أذني هو ارتطام دقات قلبي، وأشعر بالتَنَبُّه الشديد لحواسي لأول مرة منذ أيام.

أُحدِّق إلى عربة الأطفال الفارغة، وأتساءل إن كنتُ قد تركت الطفلة في البيت. بالأمس كنت متعبة جدًّا، لدرجة أنني وضعتُ هاتفي في الثلاجة دون وعي. ربما نسيتُ وضع الطفلة في العربة قبل أن أغادر البيت اليوم؟ ولكني أتذكر المرأة المسنة التي قابلتني في الشارع، رأت الطفلة. والصديقة التي أصبحت الآن غريبة رأت الطفلة أيضًا. وأنا رأيتُ الطفلة قبل خمس دقائق. ربما عشر. متى رأيتها آخر مرة؟ يتنامى الذعر في قلبي بينما أدور حول نفسي، وأمشِّط ممرات السوق بعيني. لقد اختفت. فهي أصغر من أن تزحف، ومن المستحيل أن تتسلق العربة وتغادرها بنفسها.

لقد خطفها أحد.

تهمس الكلمات في رأسي. أشعر بالدوار، وأشرع في البكاء.

أمشِّط الممرات بعينيَّ مرة أخرى. يمضي المتسوقون الآخرون في طريقهم، ويتصرفون وكأن شيئًا لم يحدث. لم تمر سوى ثوانٍ منذ أن لاحظت اختفاءها لكنها تبدو دقائق. هل أحلم؟ لقد حلمتُ بهذا الكابوس من قبل.

تمنيتُ أحيانًا لو لم تُولَد، لكني لم أقصد أن تتحقق الأمنية، لم أقصد قط. أنا أحبها أكثر مما كنت أتخيَّل.

أرتجف، وأبكي، وتشوِّش دموعي رؤيتي.

تمنيتُ *أن تختفي ابنتي، والآن شخص ما خطف الطفلة.*

أهمس باسمها.

ثمَّ أصرخ به.

يتوقَّف الناس ويحدقون إليَّ، وأشعر أنني لا أستطيع التنفُّس.

تستعيد الحياة صخبها مجددًا. أشرع في الركض، واليأس يملؤني، بحثًا عن أي أثرٍ للطفلة أو الشخص الذي خطفها. أرى امرأة تحمل طفلة وأشعر بالغضب، ثم الارتياح، ثم الخزي حين أدرك أنها ليست هي. أعتذر، وأواصل الركض، وأستمر في البحث والصراخ باسمها على الرغم من أنها صغيرة جدًّا لتعرف كيف تجيب. الناس يحملقون إليَّ ولا أهتم. يجب أن أجدها، أحتاج إليها، أحبها. إنها ملكي وأنا ملكها. وسأفعل أي شيء من أجلها. لن أفكر أبدًا في أفكار سيئة عنها مرة أخرى.

لكنها اختفت.

صدري يؤلمني، وكأنَّ قلبي يتحطَّم بالفعل.

أبكي، وأسقط على الأرض، ويحاول الناس مساعدتي.

لكن لا أحد يستطيع مساعدتي. اختفت الطفلة، وعالمي، وكل شيء في حياتي.

تمنيتُ *أن تختفي ابنتي، والآن اختفت.*

أخشى ألَّا أراها مرة أخرى أبدًا، وهذا كله خطئي.

لأنني أعرف مَن خطفها.

وأعرف لماذا.

فرانكي

عِيدُ أُمٍّ آخر

كانت تشبه أمها. كثيرًا ما قال الناس ذلك، واتفقت فرانكي مع هذا الرأي وهي تحدِّق إلى صورة ابنتها الصغيرة التي اختفت منذ فترة طويلة. تتشاركان ذات العينين الخضراوين، والابتسامة، والشعر المُجعَّد. تدس الصورة بإطارها الفضي في حقيبتها وتجول ببصرها في أرجاء مكتبة السجن مُلقيةً عليها نظرةً أخيرةً. اليوم هو آخر يوم لها بصفتها رئيسة أمناء مكتبة سجون «إتش إم بي»، ولا يعرف ذلك أي شخص آخر. حتَّى الآن.

لم يعد مرور عيد الأم عليها سهلًا، ولم يعد أي شيء تفعله لإلهاء نفسها عن أحزانها ينجح. لا يوجد ألم أكبر من ألم فقدان طفلك، ومن الصعب أن تنسى شخصًا تريد بشدَّة أن تتذكره. كانت ابنتها في سن المراهقة حين اختفت، لكن لم يخفف ذلك من وطأة الأمر أو يجعله أيسر مما لو كانت أصغر. ولن ينفعها إخبار أي شخص بما حدث بالفعل، ليس وكأنَّ الحديث عن الأمر

سيعيد ابنتها. من الأفضل أن تظل مشغولة. لطالما كان العمل الجاد أفضل علاج لحسرة القلب.

تغلق الحاسوب العتيق، وتتناول كوبها. كان هذا الكوب هديَّةً حصلت عليها قبل بضع سنوات، مصنوعٌ ومطليٌّ يدويًّا، بِمِقْبَضٍ مُتَقَلقِلٍ، ومنقوشٌ باسم فرانكي على وجهه. واسمها *الآخر*. الاسم الذي أصبح زائدًا عن الحاجة الآن. ماما. إنه الكوب الوحيد الذي تحب أن تشرب منه، في العمل والبيت، لذلك تأخذه إلى كل مكان، ولا تتركه هنا أبدًا، لأنَّ فرانكي لا تحب أن يلمس الآخرون أشياءَها الخاصة. تقطع الخطوات الأربعة عشرة من مكتبها إلى باب المكتبة، ثم تطفئ الأنوار وتقف في الظلام للحظة. لم تعد تثق بنفسها أو بحواسها، فهذه الأيام، ترى عيناها المرهقتان أحيانًا أشكالًا داخل الظلال، أشياء يصرُّ عقلها على عدم وجودها حقًّا. لذا تُعيد تشغيل الأنوار، وتُنصت إلى هَمْهَمات الصمت، وتنتظر أنفاسها أن تهدأ.

لم تكن فرانكي تخشى الظلام من قبل.

تُشعل الأنوار وتُطفئها ثلاث مرات، لكن كل شيء يبدو على حاله، كما كان دائمًا. يستغرق الناس وقتًا طويلًا في التكيف مع الضوء بعد قضاء فترة في الظلام، ولهذا لا يكونون مستعدين حين تباغتهم أشياء سيئة. تَعدُّ فرانكي عدًّا تنازليًّا بدءًا من عشرة قبل أن تغلق باب المكتبة للمرة الأخيرة. لديها ثلاثة عشر مفتاحًا معلقًا بحزام زيها الرسمي، للاختيار من بينها، ولكنها تستطيع تحديد المفتاح الصحيح لكل قفل دون النظر. يمنحها قَطْع وشكل وملمس المعدن البارد في كفيها شعورًا بالراحة. تحب دفع كلَّ مفتاحٍ على حدة في أطراف أصابعها حتَّى يؤلمها ويترك أثرًا. الشعور بشيءٍ -وإن كان ألمًا- أفضل من عدم الشعور بأيِّ شيءٍ على الإطلاق.

هناك اثنتان وعشرون خطوة من مكتبة السجن إلى السُّلَّمِ. تحب عدَّ هذه الخطوات، بصمتٍ بالطبع. لطالما ساعدها عدُّ الأشياء على البقاء هادئة. تصل فرانكي إلى بابٍ آخر، وتجد مفتاحًا آخر، ثم تخطو إلى بِئْر السُّلَّمِ قبل أن تغلق الباب السابق خلفها.

أمامها أربعون درجة للنزول، ثم خمس خطوات للوصول إلى الباب الخارجي.

المفتاح الكبير هذه المرَّة.

ثمانٍ وخمسون خطوة عبر الفناء، تقيُّدًا بالممر، وتجنُّبًا للمرور عبر العشب.

المفتاح الكبير مرَّة أخرى.

ثماني عشرة خطوة إلى مكتب الاستقبال، واثنتا عشرة إلى خزانتها، حيث تسترد هاتفها وأشياءَها الحادة. استغرق الأمر من فرانكي بعض الوقت لتعتاد خضوعها للتفتيش وهي في طريقها إلى العمل، واضطرارها إلى ترك متعلقاتها الشخصية وراءها كل يوم. لكنها تعلَّمت التأقلم. تعرف أنَّ هذا لا يجعلها مميزة؛ فالقدرة على مواكبة التغيير ضروريَّة مثل الماء أو الهواء. القواعد نفسها تنطبق على كلِّ الأشياء وكلِّ الناس. كلُّ شيء طبيعي الآن في الحياة كان غيرَ مألوفٍ في يوم من الأيام.

تتحقق من هاتفها المحمول، ولكن لا رسائل جديدة أو مكالمات فائتة. تضبط منبهًا لتذكير نفسها بضبط منبه آخر لاحقًا. تحب فرانكي ضبط المنبهات على هاتفها لكل شيء، فهذه هي المرات الوحيدة التي يُصدر فيها صوتًا. اثنتان وثلاثون خطوة إلى البوابة الخارجية. دائمًا ما تُسرع الخُطى في هذا الجزء من الرحلة لكنها لا تعرف السبب. تقطع خطوات سريعة وحازمة، وكأنها تُسابِق نفسها وتحاول التغلُّب عليها بالتجاوز أو الهرب. تهمس بعدد الخطوات المتبقية مثل صوت مانترا[1]. أو ذِكرٍ.

اثنان وثلاثون. واحد وثلاثون. ثلاثون. تسعة وعشرون.

يبدو وكأنَّ كلَّ الأرقام القابعة في رأسها تحتاج إلى إيجاد طريقٍ لتغادره، فهي تستمر في الطنين مثل النحل حتَّى تنجح في الهرب من بينْ شفتيها وتطير بعيدًا.

تسعة عشر. ثمانية عشر. سبعة عشر. ستة عشر.

---

(1) المانترا (Mantra) في الهندوسيَّة والبوذيَّة: هي صوت أو صيغة تتكون من مقطع واحد أو سلسلة من المقاطع، يكررها الشخص خلال جلسة تأمليَّة أو طقوس دينيَّة معينة بشكل متواصل وبإيقاع معين. فهي حسب هذه الثقافات مقطع مقدَّس وإلهي مؤثر جدًّا ومملوء بطاقة وقوة عظيمة. (المترجمة)

تعرف فرانكي الحارس الجالس عند نقطة التفتيش الأخيرة، معرفةً تكفي لتبادل التحيَّة. فقد سبق وعرض عليها مرتين الخروج معه والشُّرب، ورفضَتْ. تُفضِّل الشُّرب بمفردها على الوثوق بالناس. كانت عدم الثقة في الناس هي القاعدة الأولى لأمِّها، وهي القاعدة التي ورثتها عنها. لا تعرف فرانكي لماذا يراها الرجال جذَّابة، ربما بسبب زي السجن الموَّحد الذي ترتديه. ليس أكثر من زي نمطي، مصطنع، تَنَكُّرِي. فجميعنا نلعب يوميًّا ألعاب تزيين، ونحدد الشخصية التي نريد أن نظهر بها حين نختار شيئًا نرتديه من خزانتنا. نقرر مَن نريد أن يرانا الآخرون، مختبئين وراء ثيابنا. العالم مكتظٌ بالأشخاص الجيِّدين في أن يكونوا سيئين، والسيئين في أن يكونوا جيدين. لطالما اعتبرت نفسها فتاةً سيئة جيِّدة. شخص بذل قصارى جهده لإنقاذ ما يمكن إنقاذه من الحياة السيئة التي وُلد فيها، وحاول أن يفعل شيئًا جيدًا بها. لكن عندما تنظر فرانكي في المرآة هذه الأيام، فإن كل ما تراه امرأةً بسيطة المظهر في الثلاثينيات من عمرها. امرأة بهالاتٍ سوداء تحت عينيها، وخصلات شعر داكنة مبعثرة تقاوم دومًا ترويضها. امرأة بملامحٍ كانت تعرفها.

شبح.

يخرج الحارس من كوخ الأمن الصغير الذي يحد البوابة من الداخل والخارج. يبتسم إليها فتجفل وتنكمش على نفسها. تحمل بطاقة التعريف المثبتة على قميصه اسم توم، لكن تِيم يليق به أكثر.

ثلاث عشرة خطوة. أم اثنتا عشرة؟

يُطلِق عليه الجميع كوخًا، لكنه مشيَّدٌ بجدران خرسانية سميكة مسلَّحة، وأسلاكٍ شائكةٍ على سطحه، ومزوَّدٌ بحراسٍ مسلَّحين على مدار الساعة. توم أكبر -في العمر- بقليلٍ من فرانكي، وهو طويل، لكن كتفيه العريضتين دائمًا ما تبدوان مُحدَودِبتين قليلًا، كما لو يشعر بالحرج من طوله.

عشر خطوات. تسع.

تخفض فرانكي بصرها وتحدِّق إلى قدميها لتتفادى نظراته المتفرسة -فهي لا تحب أن ينظر إليها الناس- وتنتبه إلى رباط حذائها المفكوك. يمكنها ربطه لاحقًا؛ ليس هناك وقت للتوقف.

خمس خطوات. أربع.

ينظر توم إليها من أعلى إلى أسفل، ليس ازدراءً، ولكن فقط لأنه يبلغ من الطول ستة أقدام، بينما لا تتجاوز هي الخمسة أقدام بشيء.

ثلاثة.

إنها قريبة منه بما يكفي الآن لشم رائحة الشاي في أنفاسه.

اثنان.

تدفع فرانكي أحد مفاتيحها في طرف إصبعها حتى تتألم.

واحد.

تُذكِّر نفسها بأن تأخذ نفسًا حين يبدأ الحارس في فتح البوابة الخارجية. بوابةٌ مخفيَّة ومموهة بسياجٍ خرسانيٍّ سميكٍ، وطويلٍ ولا مَهْرَبَ منه، يحيط بالسجن. تحاول فرانكي صرف انتباهها عن التحديق إلى الريش الأبيض الملطَّخ بالدم الذي يزين السلك الشائك في الأعلى. يبتسم توم إليها مرة أخرى وتحاول رد الابتسامة، لكن وجهها لن يسمح لها بذلك. تشعرها عدم محاولته في بدء محادثة بالارتياح الشديد. لا تستطيع فرانكي أن تتذكر كيف تبدأ المحادثات، وعليها أن تواصل عدَّ الخطوات الثلاثة والسبعين المتبقيَّة من البوابة إلى سيَّارتها، على الأحرى شاحنتها الصغيرة.

علَّمتها الحياة أن تُبقي الآخرين على مسافةٍ منها. لا يمكن الوثوق في الناس. لا يمكن عدُّ مَن تعتمد عليهم من النَّاس، لذا فهي تعد أشياء أخرى بدلًا منهم. فعدُّ الأشياء الحقيقية يجعل جدران عالمها أكثر صلابة. وفرانكي تحب الجدران، حتى تلك التي تحيط بالسجن. إنها تبني جدران خيالية تشبهها تمامًا حول نفسها طوال الوقت، لإبقاء الناس بعيدًا.

ما إن تركب فرانكي سيارتها القديمة، ماركة فولكس فاجن، ذات اللونين الأزرق والأبيض، حتَّى تغلق أبوابها. تضع كوبها المفضَّل على مقعد الراكب الأمامي، وتتمنى لو كان الشخص الذي صنعه لا يزال هنا. ففقدان ابنتها هو أسوأ شيء حدث لها على الإطلاق. أسوأ من كل الأشياء السيئة الأخرى التي حدثت قبله.

تهمس فرانكي بالكلمات التي تجعلها تشعر أحيانًا بتحسن:

أنتِ بخير. أنتِ بخير. أنتِ بخير.

فنحن نعيش في عالم يسهل فيه الكذب.

تتحقق من ساعتها الميكي ماوس -الساعة نفسها التي كانت لديها في طفولتها- وترى أنها بحاجة إلى الإسراع وإلا ستتأخر. من الصعب مغادرة السجن للمرة الأخيرة. وظيفتها هي الشيء الوحيد الذي حافظ على عقلها من الجنون مؤخرًا، لكنها على وشك أن تفقدها أيضًا. لن يسمحوا لها بالعودة إلى العمل في مكتبة سجون إتش إم بي حين يكتشفون ما هي مُقبلة عليه: الأشياء الفظيعة التي فعلتها للتو، والشيء الرهيب الذي تقترب من فعله. قد يبدو المستقبل مبهمًا عندما يلحق ماضيك بحاضرك.

فرانكي بحاجة إلى شيء لتهدئتها. يبدو تشغيل الراديو فكرة جيدة، لكن الأصوات الخارجة جميعها تصدح بكلماتٍ عن عيد الأم، لذا تغلقه. تبحث داخل حقيبة يدها وتجد علبة صغيرة من شوكولاتة «رولو» (Rolo). هناك عشر قطع إجمالًا، وهذا حسن، لأن عشرة رقم جيد. إنَّه الرمز الفيثاغوري للكمال؛ البشر لديهم عشرة أصابع يد وعشرة أصابع قدم، وهناك الوصايا العشر في الأديان، كما يرمز العدد عشرة إلى اكتمال دورة وبدء أخرى. من المؤكد أنَّها علامة لأن فرانكي تعود إلى نقطة البداية، وتعد كل رولو تأكلها من جديد لكنها تحتفظ بآخر واحدة لابنتها، وتلفها بعناية في رقاقتها الذهبية، فهي لا ترغب أبدًا في التخلي الكامل عن الأمل. واحد هو رقم وحيد. لم يعده الفيثاغوريون رقمًا على الإطلاق، لأن الرقم يعني التعدد والواحد مفرد. رقم واحد يذكر فرانكي كم تعيش وحيدةً في هذا العالم.

تستطيع أن تشعر بنفسها وقد شرعت في سلك مسارٍ لولبيٍّ إلى الزوايا المظلمة في عقلها، لذلك تسحب علبة من ملَّمع «مستر شين» للأسطح من درج التخزين، وترش القليل منه على عجلة القيادة وتدلك الجلد بقطعة قماش. تأخذ فرانكي نفسًا عميقًا. فرائحة منتجات التنظيف تلعب دورًا مهدئًا بالنسبة إليها. تخشى الأوساخ بقدر ما تخشى الظلام، ولكن لسببٍ وجيه؛ حين ترميك الحياة بما يكفي من الأوساخ دائمًا ما تعلق بك بعضها. تعيد المُلمع إلى مكانه وتتحقق من الأشياء الثلاثة الأخرى داخل الدُّرج:

ورقةٌ نقديَّةٌ قديمةٌ من فئة عشرة جنيهات تعود لعام 1999.

قصاصةٌ من صحيفة.

خاتمٌ فضيٌّ على شكل دُعسوقة.

تضع الخاتم في إصبعها وتلاحظ أن عقلها هادئ أخيرًا. لقد توقفت عن العد. تعرف فرانكي ما يجب عليها فعله ولم تعد تخشى العواقب. المزية الوحيدة في خسارة كل شيء هي الحريَّة التي تأتي مع عدم تبقِّي أي شيء لخسارته.

مكتبة ياسمين

t.me/yasmeenbook

بيشنس

تبدأ وَرْدِيَّتي الصباحيَّة يوم الأحد بانغلاق أبواب المصعد وانحباسي في الداخل. كل شيء في هذا المصعد الفيكتوري القديم يهتز قبل أن يَهْدِر وتدب فيه الحياة، ويأخذني على مضض إلى الطابق العلوي، وهو يئن على طول المسافة. أحدِّق إلى انعكاس صورتي في المرآة الباهتة وأرى فتاةً في الثمانية عشرة من عمرها تحدِّق إليَّ بدورها. أشعر أحيانًا أنني لم أعد أعرف مَن أنا. أعرف اسمي، كما هو مكتوبٌ على شارتي: بيشنس. أعرف أين أعيش: لندن. أعرف أين أعمل: هنا، للأسف. أعرف ما أحبُّ، أن آكل، وأشرب، وأقرأ... لكنِّي لا أعرفني. لا أستطيع أن أتذكر مَن أكون في الحقيقة.

ترتدي الفتاة المنعكسة صورتها في المرآة نظَّارةً بإطارٍ عريضٍ من دون استشارة طبيَّة، فهي ليست بحاجة إليها، لكنها تعتقد أنَّها تبدو أقلَّ جمالًا بارتدائها. فكما يرى الآخرون، عيناها الخضراوان هما أكثر سماتها جاذبيَّة، ولهذا السبب تحاول إخفاءهما. تتمنى لو كان من الأسهل إخفاء أبشع سماتها:

النمش المنتشر على أنفها بوضوح. عُقِصَ شعرها الطويل المجعد العصيُّ على التمشيط في ضفيرةٍ تستند إلى إحدى كتفي زيها الموحد باللونين الأسود والأبيض فبدت مثل حيوان أليف بغيض. الزي الذي لا يزال كبيرًا جدًّا عليها، رغم أنَّه كان أصغر مقاسٍ لديهم.

لقد تبخَّرت الفتاة التي اعتدتُ أن أكونها.

الفتاة المنعكسة صورتها في المرآة هي كل ما تبقَّى مني.

وهذا ليس لأنني أردتُ التنصُّل من نفسي، فأنا لم أرد فقط لفت الأنظار.

يُصدِر المصعد القديم إشارةً صوتيَّة تنبيهًا لوصولي إلى الطابق العلوي. أُعدِّل من وضعية حقيبتي المطرزة بالنجوم على ظهري، فهي ثقيلة، ولكنني لا أجرؤ على تركها أو وضعها أرضًا. أسحب البوابة الحديدية قبل أن أدفع عربة التنظيف خارجها إلى الممر ذي الإضاءة الخافتة. أضغط على بعض أزرار المصعد مع إبقاء الباب مفتوحًا -وهو كل ما يتطلبه عادةً حتَّى يتوقف عن العمل- لأكسب بعض الوقت. تصدر أرضية العربة صريرًا وتقرقع عجلاتها وكأنها متآمرة لفضحي والكشف عن هُويتي، لكن لا يوجد أحد هنا ليراني، فالجميع إمَّا مشغول وإمَّا شارد الذهن في مكان آخر. ومع ذلك، أتحقق مرتين بالنظر يَمْنَةً ويَسْرَةً قبل أن أقتحم باب الغرفة رقم 13. أحيانًا يكون فعل شيء خاطئ هو الشيء الصحيح الذي يجب فعله. الجميع يعرف ذلك، حتى لو تظاهروا بالعكس.

الغرفة غارقة في الظَّلام، لكنِّي أعرف طريقي خلالها. الغرفة رقم 13 غرفة كبيرة بسريرين مُلحقة بحمام داخلي. أعيد تزيينها مؤخرًا، لأنهم اضطروا إلى فعل شيءٍ لإخفاء ما تركه آخر مُقيمٍ بها على الجدران. أوَّلُ شيءٍ أفعله، حالما أقفل الباب خلفي وأُوقف العربة، هو فتح النوافذ المغلقة في الجانب الآخر من الغرفة. أدفع أبوابها بقوَّة، فتنفتح على مصراعيها، وتسمح للضوء الذي تَضوَّر إليه فضاء الغرفة جوعًا بالدخول، ليكشف عن شرفةٍ صغيرةٍ تنتفخ الستائر البيضاء وتتموَّج خارجها مثل أشباحٍ، وتسمح لأصوات المدينة بالعبور من خلالها قبل أن تتيح الفرصة للهواء. ترتفع سيمفونية عشوائية من حركة المرور والحياة لتلقي عليَّ التحيَّة بنغمة مجيدة تتصاعد حدتها تدريجيًّا، وتُغرق كل الأفكار السيئة التي تسكن رأسي.

أخطو إلى الشرفة الصغيرة المُبَلَّطة، وأحدِّق إلى شارع لندن المزدحم بالأسفل. يندفع الناس في جميع الاتجاهات، يتحدثون في هواتفهم أو يحدقون إلى شاشاتهم، ويسرعون متجاوزين بعضهم بعضًا. إنهم يتصرفون كما لو كانوا أشخاصًا مهمين يذهبون إلى أماكن مهمة للتحدث عن أشياء مهمة. لكن من الأعلى يبدون جميعهم صغارًا جدًّا. ضئيلون. إذا سقط شخص ما، أو قفز، أو دُفِعَ من فوق هذه الشرفة، حتمًا سيموت. أتساءل إن كان الناس يفكرون في الموت بقدر ما أفكر فيه. إنه خطر مهني بالنسبة إليَّ.

أغمض عينيَّ للحظة فقط، مستمتعة بدفء أشعة الشمس على وجهي. أستطيع بعينين مغمضتين أن أتظاهر بأنني في أي مكان. وأنا أفعل ذلك، أتظاهر. ليس هناك مكان أفضل من أحلامك للاختباء بداخله. لبضع ثوان، يُخيِّم الصمت والهدوء على المدينة بطريقة غريبة، وكأنها تتهيأ لما سيحدث. تدوم لحظة العزلة المثالية أقل من دقيقة، وهي أوَّل لحظة أحظى فيها باستراحة قصيرة خلال وَرْدِيَّتي التي تستمر اثنتي عشرة ساعة.

أعود إلى الغرفة، وألقي نظرة خاطفة على نفسي في المرآة فوق منضدة الزينة، وأرى تلك الفتاة مرة أخرى. الفتاة التي تتنكر في ثيابي.

أبدو عانسًا، ولكني في الحقيقة لستُ كذلك.

يبدو المبنى فندقًا، ولكنه في الحقيقة ليس كذلك.

إنه المكان الذي يأتي إليه الناس ليلقوا حتفهم.

ما زالت الدهشة تملؤني برؤية الناس وهم يدفعون أموالًا طائلة للإقامة في أماكن رديئة مثل هذه.

أعمل في دار «وِنزر» لرعاية المسنين بلندن منذ عام تقريبًا. اسمها يُضفي على المكان طابعًا ملكيًّا[1]، لكنه لا يليق بعرش ملكة. إنه لا يليق حتَّى بالغرض الذي بُني من أجله. ليس هناك ما يكفي من الموظفين، ومديرة الدار وحش متنكر في زي امرأة حسنة المظهر في الخمسينيات من عمرها. اسمها

---

(1) نسبة إلى قلعة أو قصر وِنزر الذي طالما ارتبط بالعائلة المالكة. (المترجمة)

جوي[1]. وهو أمر مثير للسخرية حقًّا، لأنني لم أقابل قط شخصا أكثر تعاسةً منها.

يدفع المُسِّنون المقيمون في هذا المبنى الفيكتوري المُرَمَّم بإتقان رسومًا فلكيَّة، لكنني أتقاضى أجرًا أقل بكثير من الحد الأدنى لأجور العمل هنا. أنفق من عمري اثنتي عشرة ساعة في اليوم، وستة أيام في الأسبوع، مقابل المال. القصر الآنف ذكره، كما هو موصوف في المنشور الدعائي، عبارة عن تاون هاوس[2] مكون من أربع وحدات سكنية ويضم ثماني عشرة غرفة. يجب أن تكون حالة المقيمين -أو أقاربهم- ميسورة حتى يتمكنوا من الحصول على غرفة هنا. لكن المال لا يستطيع أن يُواري رائحة الوحدة والموت واليأس. قد تكون غرفة الانتظار الملحقة بمكتب المديرة فاخرة، لكنها تبدو وكأنها سجن مُزيَّن بورق حائط ومفروش ببُسُط منقوشة. أتجمد حين أستطلع هيئة شخص يختبئ تحت أغطية سرير الغرفة رقم 13.

أقول بينما أُنزِل حقيبتي الثقيلة على الأرض بحذر: «هذه أنا».

تنهض امرأةٌ مُسِّنةٌ ترتدي مَنَامَةً مزخرفة بطيور الفلامنجو الورديَّة وتجلس في سريرها، وتقول وهي تصفق بيديها: «لماذا لم تقولي منذ البداية؟ أوه، أيتها الدعسوقة، أنا سعيدة جدًّا برؤيتك!».

شعرها الأشعث عبارة عن مجموعة من خصلات الشعر البيضاء المجعدة مع القليل من بكرات الشعر الأرجوانية المتروكة بينها بإهمال، وقسمات وجهها البارزة بوضوح تُشكِّل صورةً فنيَّةً للبهجة. تجعلني لهجتها الاسكتلندية أبتسم دائمًا، فكلماتها تتعثر وتسقط فوق بعضها بعضًا بينما تتدافع مسرعةً

---

(1) بالإنجليزية (Joy) وهو ما يعني بالعربية: بهجة أو حبور أو سعادة. (المترجمة)

(2) نوع من أنواع الوحدات السكنية ذات المساحة الصغيرة مقارنة بالفلل المستقلة، وهو عبارة عن عقار ملاصق للعقار المجاور له من الفئة نفسها في صف واحد لكل منهم المدخل الخاص به، وبين كل وحدة سكنية والأخرى حائط مشترك، مع توفر حديقة صغيرة أمام المنزل بالمساحة نفسها والتصميم. يرجع بداية ظهور هذا النوع من المعمار إلى القرن الثامن عشر، وكان يهتم ببنائها النبلاء والأثرياء في بلادهم ليحظوا بمكانة مميزة عن العامة. (المترجمة)

لتغادر فمها، تلك الطريقة التي يتحدث بها الناس عندما يقضون فترة طويلة دون وجود أحدٍ يتحدثون إليه.

تسأل: «أين كنتِ؟ حين غبتِ بالأمس، انتابني القلق وفكَّرتُ في احتمالية تقديمك لاستقالتك! جاءت جوي لتفقد أموري عوضًا عنكِ. قالت إنني سأضطر إلى تناول غدائي في غرفة الطعام مع الآخرين بسبب وجود نقص في أعداد الموظفين. تلك المرأة الجاهلة التي لا تجيد التحدُّث سوى بالهراء. لقد حاولتْ إجباري على مغادرة غرفتي من خلال عدم السماح لي بالحصول على أي طعام وتركي أموت جوعًا، لكنني نجوتُ بفضل القليل من بسكويت الكاسترد[1] وحلوى الكراميل[2]. ظننتُ أنه ربما تكون هي مجددًا، لذلك كنت أتظاهر بالموت تحت الأغطية. هل انطلت عليكِ الخدعة؟».

- لا، وأنا آسفة، لقد حصلتُ على يوم إجازة بالأمس. ألم يأتِ أحدٌ للاطمئنان عليكِ اليوم؟

تهزُّ رأسها، فأهزَّ رأسي أنا الأخرى، وكأنَّ هزَّ الرأس مُعْدٍ. لا يفاجئني -للأسف- عدم إتيان أي أحد من زملائي للاطمئنان على شخصٍ كان من المحتمل أن يطلب منهم الغروب عن وجهه.

أقول: «قد تضطرين مجددًا إلى النزول إلى الطابق السفلي في بعض الأحيان. لقد اعتدتِ تناول وجباتك هناك على الأقل، حتى لو رفضتِ تناولها مع الآخرين».

- هل ترغبين في تناول الوجبات في غرفة طعامٍ برفقة الموتى السائرين؟ فهذا يشبه وقت الإطعام أو التلقيم في حديقة الحيوان. بالإضافة إلى ذلك، كنت أحظى برفقة مِاي حينها، لذلك لم يكن الأمر بهذا السوء.

---

(1) البسكويت المُشار إليه (Custard Creams) وهو نوع من البسكويت المشهور في المملكة المتحدة وجمهورية أيرلندا، تُستخدم فيه قطعتين من البسكويت كالشطيرة، ويُحشى بكريمة بنكهة الكاسترد. (المترجمة)

(2) أشارت إليها الكاتبة في النص الأصلي بعلامة (Werther's Original) التجارية. (المترجمة)

كانت مِاي جارة إديث في غرفة رقم 12. طالما تناولتا وجباتهما معًا ولعبتا كولدو[1] في الحديقة بعيدًا عن الآخرين. كانتا مثل حبتي بازلاء في قرن واحد، وكثيرًا ما عُثِرَ عليهما تقهقهان مثل تلميذات المدرسة. ولكن فجأةً، وعلى نحوٍ غير متوقع، أتيتُ للعمل ذات يوم ووجدت غرفة مِاي فارغة. لقد جُرِّد السرير من أغطيته، واختفت أغراضها، وكذلك هي.

- أعرف مدى حزنك المستمر على وفاة مِاي...

- كلام فارغ. أنا غاضبة ولستُ حزينة. مِاي لم تمت، لقد قُتلت. علمَت أنَّ هناك شيئًا فاسدًا في هذا المكان، لذا تخلصوا منها.

- لقد تحدثنا عن هذا من قبل...

- هذا كل ما يريد أي شخص أن يفعله هذه الأيام: التحدث. لا أحد يتذكر كيف يستمع.

- أسمعك، أعدك. كم كان من الرائع أن تعثري على صديقة هنا، وتكتشفي الكثير من الأشياء المشتركة بينكما.

كانت ماي وإديث مفتشتين سابقتين، لذلك كانتا تقضيان ساعاتٍ في غرف بعضهما بعضًا لمشاهدة حلقات قديمة من المسلسل البوليسي «كتبَت: جريمة قتل» (Murder, She Wrote).

أتابع: «ومن المحزن للغاية أن تموت مِاي».

تغمغم إديث: «لقد قُتلَت».

لكنِّي أُفضِّل تجاهلها.

- ألا تحاولين التعرف على بعض المقيمين الآخرين، وتكوِّنين صداقات جديدة؟

- ولمَ أفعل؟ لديَّ أنتِ.

---

(1) لعبة ابتكرها مصمم ألعاب الورق واللوح البريطاني أنتوني إرنست برات في عام 1943. صُنِّعَت اللعبة لأول مرة بواسطة شركة «وادينجتونز» (Waddingtons) في المملكة المتحدة عام 1949. (المترجمة)

- لا أستطيع زيارتك كل يوم، ولا يمكنك العيش طويلًا على الطعام المخبَّأ تحت سريرك. أعتقد أن مغادرة غرفتك من حين لآخر ستكون مفيدة لك، و*الآخرون* ليس جميعهم سيئين.

- *الآخرون* جميعهم مُسِّنون، أو مرضى، أو منفلتون، أو مجاذيب. لستُ واحدة من هذه الأشياء ولا أنتمي إلى هذا المكان. لم أقابل شخصًا واحدًا هنا يصلح للاعتماد الكُلي عليه، بمن فيهم الموظفون، ولا أقصد الإهانة. علاوة على ذلك، وجدت طرقًا لتسلية نفسي في أثناء غيابك. كيف يبدو شعري؟

أبتسم: «رائع، ولكنِّي أظن أنه من المفترض أن تزيلي جميع البَكَرات».

- لماذا؟ إنها تجعلني أبدو مثيرة للاهتمام وأصغر بعشر سنوات على الأقل.

- كل ما أعرفه هو أن هذا ما يفعله الآخرون.

- يجب ألا تقلقي أبدًا بشأن ما يفعله أو ما لا يفعله الآخرون. لم أعرهم انتباهًا قط.

تبلغ إديث إليوت من العمر ثمانين عامًا، وهي تتمتع بقدراتٍ عقلية سليمة تمامًا، ولكن قبل عام واحد، ومن دون علمها أو موافقتها، نقلتها ابنتها إلى دار رعاية وِنزر. تعرَّضت إديث للخداع ووقَّعت على بعض الأوراق مما تسبب في ضياع منزلها وحريَّتها. تركتها ابنتها هنا ذات يوم وغادرت من دون أن تقول وداعًا. أخذت جوي -المديرة الأكثر بؤسًا في العالم- إديث في جولة وأوضحت لها أن هذا هو بيتها الآن. لم تغادر إديث المبنى منذ ذلك الحين، وترفض الآن مغادرة غرفتها.

تسأل: «كيف كان يومك؟ هل فعلتِ أي شيء لطيف؟».

أجيب بينما أحاول ترتيب السرير الذي لم تغادره إديث بعد: «لا».

تقول وهي تستدير لتنظر إلى قطعة فنية صغيرة مؤطرة ومعلَّقة على الحائط: «هل صنعتِ أي قصاصات ورقيَّة جديدة؟».

كانت هديتي لها في عيد الميلاد المجيد. اعتدت تقطيع الورق منذ طفولتي، ولكنني أقطعه هذه الأيام بسكين. سكين حادَّة جدًّا. أقطع وأشرم

وأشرِّح حتى أصنع شيئًا من لا شيء. أصنع أشخاصًا من الورق، وحيواناتٍ، وطيورًا، وأشجارًا، وأنسج سماءً، وبحرًا، ومدنًا بأكملها من مخيلتي، وهذا ما يقلل من شعوري بالوحدة. القصاصة الورقية المعلَّقة على الحائط باللونين الأحمر والأسود عبارة عن دعسوقة. لقد أصرَّت إديث على مناداتي بالدعسوقة منذ أول مرة التقينا فيها. يبدو أنها تظنه اسمي، وقد تخليتُ عن محاولة التصحيح إليها.

أقول: «لم أحظَ بالوقت الكافي لصنع أي قصاصات ورقية جديدة بالأمس».

- يجب أن تخصصي وقتًا للأشياء التي تحبينها أكثر. ستكونين غبيَّة إن لم تفعلي، فأنتِ فنانة موهوبة.

إنها لا تفهم كيف أغادر عملي هنا منهكة القوى. في بعض الأحيان لا يتبقَّى لدي أي طاقة لفعل شيء آخر.

- سأحاول.

تقول إديث: «إما أن تفعلي وإما لا، ليست هناك محاولة. هل تعرفين من قال ذلك؟».

أُخمن بينما أنفش وسائدها: «شكسبير؟».

تجيب إديث بابتسامة واسعة: «يودا».

لم أتخيَّلها قط واحدة من تلك الشخصيات المولعة بحرب *النجوم*، هذه المرأة في جعبتها الكثير من المفاجآت.

تمد يدها إلى منضدة السرير الجانبية وتلتقط صندوقًا خشبيًّا صغيرًا لا أتذكر أنني رأيته هناك من قبل. وتفتحه فيكشف عن خاتم فضي على شكل دعسوقة.

- خذي، أريدك أن تحصلي على هذا.

أشرع في القول: «شكرًا لكِ، لكني لا أستطيع...».

تصر إديث وتخرج الخاتم أمامي، ويداها مضطربتان مثل الأغصان المتغضنة المتشابكة: «من فضلك. لم يعد بإمكاني ارتداء الخواتم بعد الآن،

فأصابعي نحيفة جدًّا، وأي شيء أحاول ارتداءه يسقط، لكن طالما عنى هذا الخاتم الكثير بالنسبة إليَّ، وأريدك أن تحصلي عليه».

- إنَّ قبول الهدايا من النزلاء مخالف للقواعد...

- اللعنة على القواعد. هل حقًّا ستحرمين عجوزًا تحتضر من تحقيق رغبتها الأخيرة؟

- أنتِ لا تحتضرين.

- جميعنا نحتضر منذ يوم ولادتنا، إنها مسألة وقت فقط. الدعاسيق رمز للبدايات الجديدة، والحب، والحظ. آمل أن تجلب لكِ هذه الدعسوقة الصغيرة الثلاثة جميعها.

لم يحالفني الحظ قط، لكنني آخذ الخاتم وأُزلقه في إصبعي. إنه يناسب مقاسي تمامًا.

أقول: «شكرًا لك. سأعيده إليك عندما تشعرين بالتحسن».

يبدو الخاتم عتيقًا، وأتساءل كيف حصلت عليه إديث، وما سر هوسها بالدعاسيق. إنها تنشد أغنية الطفولة الشعبية هذه كلما أغادر غرفتها:

«أيتها الدعسوقة، أيتها الدعسوقة، طيري إلى البيت
بيتك يحترق وأطفالك زارهم الموت
جميعهم باستثناء واحدة، واسمها آن
اختبأت تحت...»[1].

صوتٌ في زاوية الغرفة يعترض ذكرياتي. عقلي ممتلئ دائمًا بالأفكار غير المكتملة.

---

(1) مطلع أغنية طفولة شعبية إنجليزية شهيرة (Ladybug, Ladybug, fly away home). (المترجمة)

نستدير -نحن الاثنتين- للتحديق إلى حقيبتي المطرزة بالنجوم الملقاة على الأرض. إنها تتحرك، من تلقاء نفسها.

تهمس إديث: «هل أحضرتِه اليوم؟».

أُومِئ. فعلتُ شيئًا سيئًا، لكن كان من الجيِّد فعله. الخير والشر ليسا مختلفين كما يبدو أن بعض الناس يعتقدون. عيد الأم صعب بالنسبة إلى إديث كما هو الحال بالنسبة إليَّ -يخامرني الشك في أنها سوف تستقبل أي زوار- وأردت أن أروِّح عنها.

كان اليوم الأول لإديث كمقيمة في دار وِنزر لرعاية المسنين هو أيضًا أول يوم لي هنا كموظفة. لربما عُدَّت مصادفة، لو كانت المصادفات حقيقية، وهي ليست كذلك. التقينا في هذه الغرفة قبل عام، حيث وجدتها تبكي وتنتحب على الأريكة. هناك قواعد ولوائح لا حصر لها في دار وِنزر. إحدى هذه القواعد: غير مسموح بدخول الحيوانات الأليفة. لم تكتفِ ابنتها بخداعها للمجيء إلى هنا، بل أخذت كلب إديث العزيز على قلبها وألقت به في مركزٍ لإنقاذ الحيوانات. فعثرت عليه، وأنفقت كل مدخراتي، وتبنيت الكلب. أحضره سرًّا لزيارة إديث كلما استطعت، ثم أعيده معي إلى البيت مرة أخرى في نهاية وَرْدِيَّتي. لا أحد يعرف أنني أفعل هذا. سأفقد وظيفتي إن اكتشف أي شخص ذلك، لكن رؤيتهما هكذا بعد أن لُمَّ شملهما ثانيةً يجعل المخاطرة تستحق.

ديكنز كلبٌ يبلغ من العمر ثماني سنوات، من سلالة «بوردر تيرير» (Border Terrier)، وهو صديقي الآخر الوحيد. أحبه تقريبًا بقدر ما نما الحب في قلبي لصاحبته. أفتح حقيبتي، فيركض خارجًا، ويقفز على السرير، ويلعق وجه إديث، وهو يهز ذيله الصغير بسرعةٍ كبيرةٍ يتلوى جسده كله معها. لقد أصبح ديكنز جيدًا جدًّا في التزام الصمت والسكون عندما يكون في حقيبة ظهري، فهو يقضي معظم وقته في النوم هذه الأيام، مما يجعل تهريبه أسهل بكثير. كما إنه أصمٌّ بعض الشيء، على الرغم من أنني أتساءل أحيانًا ما إذا كانت حالة سمع انتقائي، لكن بقية حواسه على ما يرام. هناك شيء سحري للغاية في العلاقة بين الكلب والإنسان. رؤية الاثنين معًا تجعلني سعيدة جدًّا.

تقول إديث لديكنز وهي تقذف إليه دمية دبٍّ باللونين الأبيض والأسود: «انظر، لديَّ لعبة جديدة لك. كانت هدية أرسلتها ابنتي إليَّ عبر البريد بمناسبة عيد الأم. ماذا سأفعل بدمية كهذه في مثل عمري؟».

يلتقط ديكنز الدمية ويعيدها إليها، فتقول وهي تقذف اللعبة إليه ليلتقطها مرة أخرى، وهو ما يفعله، ويمسكها بأسنانه ويهزها من أجل قذفة مماثلة: «لكن على الأقل يمكنك الحصول على بعض المتعة منها».

أنتزع اللعبة من ديكنز: «لماذا لا نترك هذه جانبًا في الوقت الحالي؟ لا نريد أن يسمعه أحد في الطابق السفلي وهو يركض في الأنحاء (أضع الدمية على منضدة الزينة) وقبل أن أنسى، تمكنتُ من جلب كلِّ ما أردتِه».

تعطيني إديث، مرةً في الأسبوع، بطاقتها المصرفية لأشتري لها مجلة راديو تايمز، وكتابًا، ورزمة من بسكويت الكاسترد، وقالبًا كبيرًا من شوكولاتة ديري ميلك، وثلاث علب من خليط مشروب «بيمز» (Pimm's)[1] وعصير الليمون الجاهز، وبطاقتَي يانصيب. دائمًا ما تخدش كل منًّا بطاقة واحدة، لكن أكبر مبلغ فزنا به على الإطلاق كان جنيهًا. أُخرِج كل الأغراض من حقيبتي وأضعها على السرير.

أقول بينما أحاول إعادة البطاقة المصرفية إليها: «عليكِ إخفاء هذه في مكان آمن، فالأشياء الثمينة عادة ما تُفقَد هنا».

لا يُسمح للمقيمين بمغادرة دار الرعاية بمفردهم، فهذا مخالف للقواعد، لكن لا يزال لدى إديث بعض المال المدخر الذي لم تتمكن عائلتها من الاستيلاء عليه، ولا أمانع في شراء الأشياء التي تريدها من العالم الخارجي.

تقول وهي تمزق صفحة من دفتر ملاحظاتها المفضل: «احتفظي بالبطاقة لبعض الوقت، هناك بعض العناصر الإضافية التي أريدك أن تحضريها إليَّ. لقد أعددت قائمة».

---

(1) علامة تجارية إنجليزية لمشروب كحولي قوي، يخلط مع مشروبات أخرى لصنع الكوكتيل. (المترجمة)

تحتفظ بهذا الدفتر بجانب سريرها طوال الوقت وتسميه «قائمة الأشياء التي أندم عليها والأفكار الجيدة». تكتب الأمور التي تندم عليها في المقدمة وأفكارها الجيدة في الخلف. الصفحات الفارغة الوحيدة على وشك النفاد.

تقول: «يبدو الجو جميلًا في الخارج. أتمنى لو أستطيع أخذ ديكنز في نزهة على الأقدام بدلًا من البقاء محبوسة هنا».

- أنتِ لستِ محبوسة. يمكنك على الأقل مغادرة غرفتك. هذا ليس سجنًا.

- ليس سجنًا؟ تأتي السجون بجميع الأشكال والأحجام، وأحيانًا نبني سجوننا بأنفسنا دون أن ندرك. لكنك ستسعدين بمعرفة أنني أخطط للهرب!

أجلس على حافة السرير، فأنا أقضي يوميًّا اليوم بأكمله واقفة على قدمي، وأعاني ألمًا مستمرًّا: «لا تبدو هذه فكرة جيدة».

- إنها ليست فكرة جيدة، إنها فكرة عظيمة. لقد وكلتُ لنفسي محاميًا سيساعدني.

- ماذا؟ كيف؟

- الخطاب الذي طلبتُ منك إرساله الأسبوع الماضي كان موجهًا إلى مكتب محاماة. وجدت عنوانه على ظهر مجلة راديو تايمز، وشعارهم «لا مكسب، لا رسوم»، لذا يجب أن يكونوا جيدين. يعتقدون أنهم يستطيعون المساعدة في استعادة منزلي. أعتقد أن ابنتي أجَّرت المنزل ولا أستطيع تحمل فكرة أن يعيش غرباء في منزلي. إذا استطاع محامو مكتب «لا مكسب، لا رسوم» إلغاء التوكيل العام، فيمكن أن يعيش ديكنز معي مرة أخرى، وربما يمكنك أن تأتي وتعملي لدينا؟ تعتنين بي في المنزل؟

أقول، غير واثقة مما إذا كنت سأصدق أي شيء قالته إديث للتو: «يبدو هذا لطيفًا».

المحامون مراوغون، كما أن ذكرياتها تصبح -مثل الكثير من المقيمين هنا- مشوشة أحيانًا. الطريقة الوحيدة التي رأيتُ بها أي مقيم يغادر دار وِنزر لرعاية المسنين هي الخروج في عربة نقل الموتى.

- ممتاز! إذن لدينا خطة. وإليك قائمة بالأشياء القليلة الإضافية التي أريدك أن تحضريها ببطاقتي. إن لم يكن لديك مانع؟

أقول وأنهض، مدركة أنني لا أستطيع البقاء لفترة أطول: «لا أمانع».

- ولماذا لا تسحبين القليل من المال لنفسك؟ أود أن أرد جميلك بطريقة بسيطة إذا سمحتِ لي بذلك.

- لقد أخبرتك من قبل أنه يسعدني تقديم المساعدة. لا أريد أموالك، لكني بحاجة إلى بدء العمل وإلا فلن أتمكن من الانتهاء من جميع الغرف أبدًا. سآتي لرؤيتكما في نهاية وَرْدِيَّتي. تذكري أن تلتزمي الصمت. إنه مخالف للقواعد، لذا لا تدعي أحدًا يرى أو يسمع ديكنز...

تقول إديث وهي تمسد شعر الكلب: «أعلم أعلم، لا داعي للقلق بشأننا، سنكون على ما يرام. فأنا دائمًا ما ألتزم بالقواعد، إلا إذا لم أتفق معها، حينها أخالفها جميعها. لكن شكرًا لك مرة أخرى. لكل شيء. لولاكِ لكنتُ في عداد الموتى بالفعل».

شيءٌ ما في الطريقة التي تقول بها ذلك تجعلني أرتجف، وتبدو إديث أكثر حزنًا من المعتاد عندما تراني أغادر.

أشعر بشيء من الارتباك عندما أخرج من الغرفة رقم 13، ولكني لست متأكدة من السبب. أحيانًا يتآمر عقلي ضدي سرًّا، مثل الأم المتطفلة التي تعتقد دائمًا أنها تعرف الأفضل. لقد أصبحت مغرمة جدًّا بإديث، وأشعر بالأسف لأنني كذبت عليها بشأن أشياء كثيرة. لكنني أشك في أنها ستكتشف ذلك على الإطلاق. وأنا متأكدة من أنها لن تهرب من هذا المكان أبدًا.

لقد كذبتُ على إديث إليوت بشأن كل شيء تقريبًا منذ اليوم الذي التقينا فيه.

فرانكي

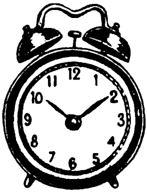

تُدير فرانكي مفتاح تشغيل السيارة. يغمرها الارتياح حين يدمدم من المحاولة الأولى، فهذا لا يحدث دائمًا. تعتقد أنَّ هذه علامة على أنها تفعل الشيء الصحيح، لكن لا يزال هناك شعور ساحق بالحزن يخيِّم عليها في أثناء مغادرتها السجن للمرة الأخيرة.

تشغل فرانكي فليتشر منصب رئيس أمناء مكتبة سجون «إتش إم بي» منذ ما يقرب من عشر سنوات. كانت هذه المكتبة مجرد حجرة تخزين فارغة عندما بدأت العمل، كُدِّسَ أحد أركانها بكومةٍ تعيسةٍ من الروايات القديمة المُغَبَّرة. طالما أحبَّت الكتب، ولهذا لم تكن وظيفةً جديدةً عليها. كانت في السادسة عشرة من عمرها عندما عملت في مكتبة صغيرة جميلة على شاطئ البحر في «سانت آيفز» كأول وظيفة لها. لم تصدق أنها تتقاضى أجرًا مقابل القيام بشيء تحبه كثيرًا، ومنذ ذلك الحين وهي تعمل في مجال الكتب بطريقة أو بأخرى. قبل العمل في مكتبة سجون إتش إم بي، عملت أمينة مكتبة في

بلدة صغيرة تدعى «بلاك داون». عندما أرغمت الميزانية المجلس على إغلاق المكتبة، انتاب فرانكي قلق وخشيت ألَّا تجد وظيفة أخرى أبدًا، خاصة تلك التي تناسب أمًّا عزباء، لكنها رأت بعد ذلك إعلانًا لأمين مكتبة سجن. ونظرًا لامتلاكها الكثير من الخبرة، ولكن دون مؤهلات حقيقية، فقد كان هذا هو المنصب الوحيد الذي يمكنها إجراء مقابلات للحصول عليه. قبلت بالوظيفة لأنها كانت بحاجة إليها، ومكثت بها لأنها أرادت ذلك.

وحدها الكتب تهمها أكثر ممن يقرأها أو مكان قراءتها.

يمكن للكتاب الجيِّد أن يكون نورًا في الظلام.

يمكن للكتاب الجيد أن يداوي الوحدة، أو يغيِّر العقول، أو حتَّى يغيِّر العالم.

الكتاب الجيد ليس شيئًا أقل من السحر.

حمتها الكتب من واقع طفولةٍ تعيسةٍ، فكانت مأوًى لها وسمحت لها بالاختباء بين صفحاتها كلما ارتفع صخب الحياة الحقيقية. وفي شبابها لم تكن أقل فائدة، زوَّدتها الكتب بالعمل والمال والغاية. شيَّدت لها الكتب سقفًا فوق رأسها، ووفَّرت الطعام على مائدتها. إنها تدين بكل ما تتمتع به من سعادةٍ في العالم الحقيقي لعالم الخيال.

هذا أحد الأسباب العديدة التي تجعل فرانكي تعتقد أنه يجب على الجميع أن يشيِّدوا جسرًا مع الكتب. تدور ذكريات الفترة التي قضتها في العمل بمكتبة السجن داخل عقلها في حلقة مفرغة في أثناء قيادتها للسيارة. عندما قبلت منصب رئيس أمناء المكتبة في سجن النساء الوحيد في المدينة، فعلت ذلك بمزيج من القلق والتفاؤل. أبطلت فكرة تعليم الآخرين، كيف يمكن للقصص أن تنقذهم، خوفها من المجهول. أمضت أيامها القليلة الأولى منعزلة على نفسها، وكان كل شيء في السجن مخيفًا وغيرَ مريح. كانت المباني المشيَّدة من حجر الأردواز الرمادي فيما مضى موطنًا لمصحة عقلية، وبدا المظهر الخارجي الفيكتوري كئيبًا وغير جذاب، حتى أصوات المكان أخافتها؛ فهناك أجراسٌ تدق كل ساعة، وأبواب تُطرَق، وبوابات تُصفَق، ومفاتيح تصلصل، علاوة على الصراخ بين الحين والآخر. فكان العدُّ الشيء الوحيد الذي ساعد

فرانكي في الحفاظ على هدوئها، كما استمرَّ سرب الخطوات المنتظم الحافل بالثرثرة أسفل نافذة المكتبة، عندما يُنقَل النزلاء من منطقة في السجن إلى أخرى، في تذكيرها بالمدرسة. واحدة من تلك المدراس التي اتسمت فتياتها بأنهن جميعهن سيئات.

افتقدت هدوء وسكينة المكتبة المحلية التي كانت تعمل فيها. والكتب. فجلست حينها على كرسي مكتبها المهجور، وشغَّلت جهاز الحاسوب القديم، وبدأت في الكتابة إلى أي شخص يمكن أن يخطر اسمه على بالها وقد يكون مستعدًّا أو قادرًا على المساعدة. كتبت إلى الناشرين، وأحيانًا إلى المؤلفين مباشرة إذا تمكنت من العثور على تفاصيل الاتصال بهم، وامتلأت بشعورٍ من الشجاعة. كانت كل الرسائل متشابهة، تسأل عمَّا إذا كان لدى أي شخص بعض الكتب التي يمكنه التبرع بها.

وحين أغدقت عليها التبرعات بكتبٍ أكثر مما تعرف ماذا تفعل بها، أقنعت مدير ورشة السجن بأن يصنع لها بعض خزائن الكتب. شعرت فرانكي أن الآخرين كانوا يرونها جميلة في ذلك الوقت، فها هي في الثامنة والثلاثين من عمرها الآن، ولا تزال قادرة على لفت الأنظار إليها، ويبدو أن الرجال دائمًا ما يسعدون جدًّا بتقديم المساعدة إليها، كما لو أنهم يشعرون أنَّها بحاجة إلى الإنقاذ -ولو من نفسها-، فاستغلَّت هذه المعلومة لصالحها ذات مرة. وبعد أسبوعٍ واحد، خُطِّطَت جدران المكتبة بأرفف جميلة مُفصَّلة خصيصًا من خشب الصنوبر، صنعها مدير الورشة يدويًّا بمساعدة فريقه المكون من النساء المتدربات في النجارة.

تخبر نفسها أنَّ الأمر يستحق كلَّ هذا العناء، لكنها لا تصدق ذلك دائمًا. تبدو الحياة أفضل في المعاقبة على الأفعال السيئة أكثر من المكافأة على الأعمال الجيدة. تعرف فرانكي أنها ساعدت الكثير من النساء في السجن على مرِّ السنين، حتَّى أنَّها علَّمت بعض النزيلات القراءة. من الجيد مساعدة الآخرين في مساعدة أنفسهم، لكنها كانت وظيفة مُرهقة وغالبًا ما تتعرض فيها لنكران الجميل. لن تفتقد أحدًا من زملائها، لكنها ستفتقد بعض السجينات. مثل فتاة شابَّة تدعى «ليبرتي» تتطوع في المكتبة. إنها في عمر

ابنة فرانكي وتذكرها بها قليلًا. جعلتها تشتاق إلى ابنتها الصغيرة أكثر مما كانت تشتاق بالفعل.

قُوبلت بالكثير من الإجراءات الروتينية الطويلة والمعقدة عندما بدأت العمل -وما زالت-، وكانت الميزانية صغيرة جدًّا ولا تكفي لتجديد المكتبة أو إعادة طلائها. لذلك أعدَّت فرانكي كعك الشوكولاتة بالبندق للحارس، الذي أعطاها في المقابل بعض الطلاء الفائض عن الحاجة. استخدمته لتحويل المساحة القاتمة التي تسلَّمت مقاليدها إلى ملاذٍ مشرق ومبهج من أجل النزيلات. ومن أجل نفسها. لن يصدقها أحد إذا اعترفت بأن مكتبة السجن تحمل دفئًا أكثر مما تحمله بيوت هذه الأيام. من الصعب أن تشعر وكأنك في بيتك ببيتٍ مسكون، حتى وإن كان واحدًا من تلك المنازل العائمة. عاشت فرانكي على متن قاربٍ ضيِّقٍ على نهر التايمز معظم حياتها.

تستغرق الرحلة من جنوب إلى غرب لندن وقتًا أطول مما ينبغي، بسبب تغيير مفاجئ في خطتها دفعها إلى التوقف لزيارة شخص لم تره منذ مدة طويلة، شخص تشعر بأنه يجب عليها حقًّا أن تودِّعه قبل أن تنفذ ما تخطط له. تشعر بخطواتها، مثقلة بالخوف، وهي تشق طريقها نحو المدخل، حتَّى أنَّ عدَّها لا يساعدها. إنها هنا لأنها تعتقد أنها يجب أن تكون هنا، وليس لأنها تريد. إنه عيد الأم في النهاية.

تلاحظ فرانكي أن جميع الزوَّار الآخرين أحضروا الزهور على ما يبدو، وتحاول تجاهل مشاعر الذنب التي ألفتها بينما تجلس.

تهمس: «مرحبًا يا أمي».

لا يوجد رد. لا يوجد أبدًا. لطالما كانت أمها امرأة امتلأ قلبها بالضغينة والعَدَاوَة المُضْمَرَة.

عندما يتحرك الزوَّار الآخرون بعيدًا بدرجة كافية لعدم سماعهما، تحاول فرانكي مرة أخرى.

- أعلم أنه قد مرَّ وقت طويل منذ آخر مرة أتيتُ لرؤيتك. آسفة بشأن ذلك.

تخفض فرانكي بصرها وتحدِّق إلى حذائها، فترى رباطه ما يزال مفكوكًا، وتخشى أن تبدو في مظهرٍ غير مهندم. تستطيع أمها دائمًا التعبير

عن مشاعرها دون الإفصاح عنها بصوت عالٍ. بمجرد نظرة. عادةً بواحدة من خيبة الأمل. تستطيع فرانكي الشعور بكل الأذى والسخط الذي عانته في ماضيها يُبَقْبِق ويثور على السطح؛ ربما ينبغي عليها المغادرة قبل أن تقول شيئًا قد تندم عليه طوال حياتها. دائمًا ما يعرف الطفل الأقل تفضيلًا في عينَي أمه بين أشقائه أنه كذلك. وعندما يكون الطفل الأقل تفضيلًا طفلًا وحيدًا، فهذا يترك ندبة.

تهمس فرانكي بينما تتلفَّت حولها لتتأكد من عدم وجود أحد يسمعها في الجوار: «حاولتُ دائمًا أن أجعلك فخورةً بي، لكن ذلك لم يكن كافيًا قط، أليس كذلك؟».

أحيانًا يكون الصمت جوابًا بحَدِّ ذاته.

تواصل فرانكي، عازمةً ومُصِّرةً على قول ما جاءت إلى هنا لتقوله: «لكن ربما كنتِ على حق في أن يخيب ظنك بي. فعلتُ شيئًا فظيعًا يا أمي. شيئًا لا أستطيع أن أخبر أي شخص آخر عنه. والآن عليَّ فعل شيءٍ أسوأ. لا أعرف إذا كان بإمكاني المُضِيّ قُدُمًا وإنجازه حتى النهاية. لم أعد أعرف ما هو الصواب بعد الآن. أشعر بالدمار والضياع والوحدة، و....».

تشرع فرانكي في البكاء وتفتِّش عن منديلٍ مدفون في جيبها، فهي لا تعرف سبب مجيئها إلى هنا اليوم، كما يبدو أيضًا أنها تتحدث إلى الحائط.

- على أيِّ حال، لا أستطيع البقاء طويلًا. أردت فقط أن أقول مرحبًا. وإلى اللقاء.

تنهض وتجول ببصرها حول المقبرة. وحين تتأكد من أن لا أحد ينظر، تأخذ باقة من الورود البيضاء من قبرٍ قريبٍ وتضعها على القبر الذي كانت تجلس أمامه. الشخص الذي تأتي أحيانًا إلى هنا للتحدث معه. تُقبِّل أطراف أصابعها ثم تلمس الاسم المنقوش على شاهد القبر الرخامي الأبيض. لا تختلف محادثات الطرف الواحد -التي تجريها معها الآن- كثيرًا عن تلك التي شاركتها مع أمها عندما كانت على قيد الحياة وفي دار الرعاية. لطالما كرهت أمها ذلك المكان كثيرًا، وقد لا نبالغ كثيرًا إذا قلنا إنَّ صندوقًا خشبيًّا، دُفِنَ تحت الأرض بستة أقدام، جاء في النهاية كمنقذٍ لها.

تهمس فرانكي قبل أن تودعها للمرة الأخيرة: «عيد أم سعيد».

إديث

يجعل الطَرق على باب الغرفة رقم 13 إديث تقفز من مكانها. لم تُعرَفْ قط مولعة بالزائرين. الأمر نفسه عندما كانت تعيش في منزلها، وليس هنا فقط في دار رعاية وِنزر. لطالما كانت إديث شديدة الحذر من *الناس*، فالكلاب أكثر ولاءً ووفاءً إلى حدٍّ كبير. تحمل ديكنز وتكمم فمه لتمنعه من النُّبَاح.

تسأل: «مَن هناك؟».

يقول صوتٌ مألوفٌ على الجانب الآخر من الباب: «هذه أنا».

تتردد إديث، وتندم على طرح السؤال، وتتمنى لو التزمت الصمت.

فهي تفتقد ابنتها كثيرًا، لكنها لم تعد قادرة على التعرف إلى المرأة التي تحوَّلت إليها.

- من فضلك افتحي الباب يا أمي، يجب أن نتحدَّث.

تنهض إديث وتغادر السرير، وعظامها تطقطق احتجاجًا. تبدو على وشك أن تفقد توازنها -كما يحدث معها دائمًا هذه الأيام عندما تنهض بسرعة كبيرة جدًّا- ولكن ليس هناك وقتٌ لتضيِّعه. تضم ديكنز إليها بشدَّة وتحمله إلى الحمام، وفي غضون ذلك، تلاحظ تأثير تقدُّم العمر على يديها، وبشرتها المنمشة التي يُخضِّبها لونٌ ضارِبٌ إلى الزُّرْقَة ويجعلها تبدو شبه شفافة. المرأة التي تلمحها في مرآة الحمام لا تبدو كبيرة فحسب، بل عجوزًا هَرِمَةً، هزيلة، أصغر من الهيئة التي اعتادت أن تبدو بها وظنَّت أنها لا تزال كذلك. يتسلل العمر إلينا جميعًا مثل لصٍّ غير مُرَّحبٍ به.

تهمس بينما تضع الكلب برفق على الأرضية المُبَلَّطة وتغلق عليه الحمام: «ابقَ هنا والتزم الصمت».

تعرج إديث نحو السرير، متجاهلة الألم في وركها، وتحاول نفض أي شعر للكلب على الأغطية وعلى منامتها المزخرفة بطيور الفلامنجو، لمحو أيِّ دليل وجميع الأدلة على وجود الكلب بأسرع ما يمكنها. لقد أخذت منها ابنتها ديكنز مرةً بالفعل، ولن تدعه يضيع منها مرة ثانيةً.

يقول الصوت على الجانب الآخر من الباب بنبرة وديَّة، ولكن متعالية: «هل أنتِ بخير؟ تعلمين أنه لا ينبغي لكِ إحكام قفل هذا الباب».

تدير إديث المفتاح، وتلف المقبض، و-بقليلٍ من الجهد- تسحب الباب لتفتحه، وتقول: «لا ينبغي لي أن أكون هنا على الإطلاق، ولكن ها نحن ذا».

تقف الابنة الضالة عند المدخل، بعينين خفيضتين، وكتفين متهدلتين مثل الفتاة الصغيرة الحزينة والخائفة التي اعتادت أن تكونها، باستثناء أنها في الخمسينيات من عمرها الآن.

تسأل: «هل يمكنني الدخول؟».

- إن كنتِ بحاجة إلى ذلك.

تتفحصها إديث بعينيها من رأسها إلى أخمص قدميها. تبدو ابنتها أكبر مما تتذكرها، ولكن مرت عدة أشهر منذ أن اجتمعتا في الغرفة نفسها، وربما حتى عام. من الصعب معرفة الوقت هذه الأيام. تُغضِّن إديث أنفها اشمئزازًا أمام اختيارها للفستان؛ قصير جدًّا، أحمر جدًّا -لم يكن الأحمر لونًا مناسبًا

لها قط- لكنها أعقل من أن توِّجه إليها أي انتقاد بصوتٍ عالٍ، ومن الواضح أن نصيحتها لم تعد مسموعة أو مطلوبة. تهبط عينا إديث الفاحصتان أخيرًا عند قدمي ابنتها، فهي لا تستطيع أن تفهم لماذا قد تختار امرأة ناضجة ارتداء حذاء رياضي في أثناء النهار، كما لو أنها أنهت تمرينها الرياضي بالجري للتو أو لا تستطيع شراء حذاء مناسب.

تُحدِّق إلى الزهور التي يحملها زائرها المفاجئ -والتي تبدو ذابلة ولم تعد بجمالها السابق، واشترتها في التخفيضات دون أدنى شك- ثم تدرس وجه ابنتها. يبدو قليلًا كوجهها. تلاحظ أنَّ شعر ابنتها مفروقٌ من الجانب بدلًا من المنتصف -التسريحة التي لم تناسبها قط- وبحاجة إلى قصِّه. تستغرق دقيقة لتقيِّم الوضع وتتساءل عمَّا حدث للطفلة التي طالما عرفتها وحاولت أن تحبها. ما كان على إديث مغادرة اسكتلندا قط. فالانتقال إلى لندن وتربية طفلة في المدينة واحد من أكبر الأشياء التي تندم عليها. الأطفال في اسكتلندا يحترمون آبائهم؛ كان يجب أن تبقى هناك. يبدو كما لو أن هذه المرأة الخمسينية، هذه النسخة من ابنتها التي بالكاد تتعرف عليها، التهمت النسخة الجيدة منها. كبرت فتاتها الصغيرة الصالحة لتصبح سيئة.

لا تستطيع إديث منع نفسها عن ملاحظة التفاصيل التي يحاول الناس إخفاءها عن أنفسهم. إنها إحدى الامتيازات غير المرجوَّة التي يجلبها إليك العمل مفتشًا لمدة ثلاثين عامًا. وهي متقاعدة الآن بالطبع. لم تكن إديث أكثر من مجرد مفتشة في متجرٍ تجاري، لكن لم يختلف الأمر كثيرًا عمَّا لو كانت مفتشة حقيقية، إلى جانب أنَّ وظيفتها أصعب من نواحٍ عديدة. فعليها أن تمنع الجرائم قبل حدوثها، وليس فقط حلها. وكانت جيدة في ذلك. بل الأفضل. وكثيرًا ما حصلت على لقب موظف الشهر على مستوى إقليم عملها المحلي.

تسأل إديث وهي تطوي ذراعيها متمنيةً لو أنها تكلَّفت عناء ارتداء ثيابها اليوم، فالمنامة القطنية لا تبدو درعًا كافيًا للتحصن خلفه: «بمناسبة ماذا أحصل على شرف زيارتك؟».

- إنه عيد الأم.

تكذب إديث: «أحقًّا؟ لم أكن أعرف».

- لقد أرسلتُ إليك بطاقةً، وهدية.
- تلك الدمية؟ هل كانت منك؟
- لا تتصرفي هكذا يا أمي من فضلك. كلانا يعلم أنه لم يكن لدي خيار.
- هل أجبركِ أحد على أن ترسلي إليَّ دمية محشوَّة؟
- أنتِ تعرفين ما أعنيه.
- دائمًا ما يحظى الناس بالخيارات، لكنهم يتظاهرون بافتقارهم إليها، فقط لإرضاء ضمائرهم عند اتخاذ السيء منها.

وهكذا يبدأ حديثهما.

تتنهد ابنتها بالطريقة نفسها التي اعتادتها في فترة مراهقتها عندما كان التعامل معها صعبًا، وتقول: «هناك مشكلة صغيرة فيما يتعلق برسوم الدار».

تسأل إديث: «ما نوع المشكلة؟».

- لا أستطيع دفعها.
- لا تفعلي إذن. يمكنني العودة إلى بيتي، حيث أنتمي.
- لقد بعت ما بوسعي بيعه لتغطية النفقات، ولكن...
- ماذا بعتِ؟ *أشيائي*؟ خيرٌ لكِ ألا تكوني قد بعتِ *منزلي*.
- لقد بعت فقط الأشياء التي لا تحتاجين إليها، لدفع ثمن الأشياء التي تحتاجينها.
- إن كنتِ تعتقدين أنَّك تستطيعين خداعي مرة أخرى...
- لا أحد يحاول خداعك يا أمي. على الأقل أنا. لا أجرؤ. كانت مديرة الدار متفهمة جدًّا، وما زالت حتَّى الآن، ولكن قد تخسرين مكانك هنا إذا لم أتمكن من إيجاد حل. وإن كنتِ لا تحبين المكان هنا...
- لا أحبه؟ أنا أكرهه. كان بإمكانك أن تضعيني في سجنٍ وتتركيني هناك حتَّى أتعفن.
- حسنًا، لن تعجبك البدائل لأن هذه الدار أحد أفضل الخيارات. اعتقدت أنه يمكنني الاستمرار في دفع الرسوم من خلال استقبال المزيد من الزبائن، لكنني متأخرة جدًّا الآن في دفعها و...

تقاطعها إديث: «إذن دعيني أعيش في المنزل مرة أخرى. إنه منزلي».

- تعلمين أنه ليس بإمكانك. لقد سقطتِ أرضًا ومرَّت أيامٌ دون أن يعلم أحد، أتذكرين؟ واستمررتِ في نسيان تناول دواء القلب...

- هراء! لا أعاني شيئًا في قلبي.

- لأنك لا تملكين واحدًا.

- معذرةً؟

- ربما تعرفين أفضل من جميع الأطباء الذين قالوا إنك بحاجة إلى تناول الحبوب. في النهاية، أنت تعرفين أفضل من الجميع.

- لا تتحدثي معي وكأنني طفلة.

- من الصعب ألَّا أفعل بينما تستمرين في التصرف كطفلة بالفعل. ماذا عن المرة التي تركتِ فيها موقد الغاز مفتوحًا؟ انفجر الشارع بأكمله تقريبًا. ودعينا لا ننسى المرة التي...

يرتعش صوت إديث: «إذن دعيني أعيش معك. في المنزل الوردي».

تكره نفسها حين يجتمع الضعف، والتأثُّر، وقلة الحيلة في صوتها. لم تعوزها الحاجة إلى أي شخص طوال حياتها. ويبدو الآن كما لو أنَّ أدوارهما قد تبدَّلت. اعتادت اتخاذ جميع القرارات الصعبة بالنسبة إليهما، ولكن الآن أصبحت ابنتها هي الأم في العلاقة وإديث لا تحب ذلك. ولا حتَّى بقدرٍ قليل. لا أحد يفعل ما تريده منهم هذه الأيام. لا أحد ينصت إليها. تهز كِلْيُو رأسها وتعرف إديث ما يعنيه ذلك. لم يكن عليها أن تتوسل إلى ابنتها لتفعل الصَّواب، لم يكن عليها أن تطلب ذلك على الإطلاق. تتمنى لو لم تفعل.

تسأل إديث: «تبدين مُحمَّرة ومتورمة بعض الشيء يا عزيزتي، هل أنت على ما يُرام؟».

- أنا بخير، شكرًا لكِ...

- ربما يكون انقطاع الطمث. انتفخت جدَّتك مثل البالون وفقدت ملامحها أيضًا عندما وصلت إلى هذه السن. كنتُ محظوظةً، لا بدَّ أن هذه الصفة الوراثية قد تخطَّت جيلي.

تتنهد ابنتها وتهز رأسها: «وجدتُ هذا في صندوقٍ من صناديق أشيائك الخاصَّة».

- ما هذا؟ يُدهشني أنك لم تبيعيه مثل أي شيء آخر.

تقول ابنتها وهي تُخرج شيئًا يبدو ثقيلًا من حقيبتها المصنوعة من الجلد الاصطناعي: «اعتقدت أنك ربما ترغبين في الاحتفاظ به هنا».

لم تتعرف إديث على الشيء الذي في يدها في البداية. ولكن بعد ذلك، أثار التمثال المعدني للعدسة المكبرة طوفانًا من الذكريات، ولم تكن أي منها جيدة. حروف جملة «*تقاعد سعيد!*» محفورة على القاعدة البرونزية السميكة الملحومة بها.

تسأل إديث بوجهٍ يملؤه الازدراء: «لماذا أحضرتِ هذا؟ (تأخذ التمثال على مضض، وتحدق إليه، ثم تضعه على طاولة الزينة بعيدًا عنها قدر الإمكان) هل *تحاولين* أن تؤذيني؟».

- لا! بالطبع لا.

- إذن لماذا تذكرينني بالأشياء التي أرغب في نسيانها؟ ولماذا لا أستطيع العيش معك؟

تقول المرأة التي تشبه ابنتها: «حاولنا فعل ذلك. لقد عشتِ معي، أتذكرين؟ ولم ينجح الأمر».

تتساءل أين ذهبت ابنتها الحقيقية؛ الابنة التي كانت تفعل ما يُطلب منها دون رد أو جدال.

تشعر إديث بالدوار، وتقول: «توقفي عن سؤالي إذا كنت أتذكر الأشياء. كوني كبيرة في العمر لا يعني أنني عجوزٌ خَرِفة. لم يكن مرحبًا بي في المنزل».

تُحدِّق ابنتها إليها. تبدو في لحظة فتاةً صغيرةً مرة أخرى، وفي اللحظة التالية تبدو مثل هذه *المرأة الغريبة*.

تسأل المرأة: «هل لديك مزهرية هنا في مكانٍ ما؟ شيء يمكنني وضع هذه الزهور فيه؟».

تجول ببصرها حول الغرفة، ثم تتجه نحو الحمام حيث يختبئ ديكنز.

تقول إديث وهي ترفع صوتها أكثر من اللازم: «لا يوجد شيء هناك».

تضع المرأة الزهور على السرير عوضًا عن المزهرية: «أنا آسفة يا أمي».

- لا، لستِ كذلك. وبعد كل ما فعلته من أجلك.

- ها! هذه ضربة جيدة.

تسأل إديث: «وما الذي يُفترض أن يعنيه ذلك؟».

- كيف حالك يا كِلْيُو؟ كيف يسير عملك؟ بماذا تشعرين؟ أخبريني بأحدث أخبارك. هذه هي الأسئلة التي قد تسألها معظم الأمهات لأبنائهن عندما لا يرونهم لفترة من الوقت. ليس لديك أي اهتمام بي أو بحياتي. كل ما فعلته لسنوات هو انتقادي وإبقائي على مسافةٍ منكِ بتجنب أن تصبحي ودودةً معي. مثل شخص غريب. والآن تريدين أن تعيشي معي؟

- لا أعرف ماذا فعلت لأستحق مثل هذه الابنة الأنانية، والحاقدة، والناكرة للجميل.

- بلى، تعرفين.

كِلْيُو

تُسرع كِلْيُو هابطةً الدرج متمنيةً لو لم تأتِ على الإطلاق. طالما برعت أمُّها في إزعاجها وإثارة غضبها. مقاسها 12[1]، كما هو الحال دائمًا، ولا تبدو بدينة. تتوقف للحظة لتتفحص انعكاس صورتها في مرآتها الصغيرة لتتأكد فقط، وليس لأنها تعطي أيَّ اهتمامٍ لَعينٍ لما تعتقده أمها عنها. على الأقل ساعدها الأخذ والعطاء مع أمها، أو لنقل تبادل التُّهَم، في اتخاذ القرار، والآن لا تحتاج كِلْيُو إلى شيءٍ سوى العثور على مديرة الدار. تتجنب الجلوس في صالة الانتظار، فهي مكدَّسة بالمقيمين وأقاربهم الذين أتوا لزيارة عيد الأم الإلزامية، ورؤية الأشخاص الآخرين وهم يقضون الوقت مع عائلاتهم

(1) حسب جدول تحويل مقاسات الملابس بين الدول المختلفة، مقاس 12 في المملكة المتحدة يقابل مقاس (M) أو متوسط. (المترجمة)

متظاهرين بالسعادة، يجعلها تشعر بالحزن. إنها تريد إنهاء هذه الزيارة والعودة إلى منزلها، حيث لا يمكن لأحد أن يؤذيها، في أسرع وقتٍ ممكن.

تُفضِّل كِلْيُو عدم مغادرة منزلها كثيرًا منذ تفشي الوباء، وفيما عدا الزيارات القصيرة لمتجر الأطعمة الصحية أو دروس اليوغا ثلاث مرات في الأسبوع، نادرًا ما تكون هناك أي حاجة إلى الخروج. لقد استمتعت بالأحرى بالحجر المنزلي ووجدت أنَّ التقارب مع الأشخاص الآخرين أمر مزعج وغير ضروري هذه الأيام.

أحبَّت تلك الفترة حين كان البقاء في المنزل هو ما يفعله الجميع، حتى تتمكن من البقاء بمفردها عندما تغادر هي منزلها.

باب مكتب مديرة الدار مغلق، كالعادة. تقرع كِلْيُو الباب لكنها لا تنتظر الرد قبل الدخول، وتجد جُوي جالسة خلف مكتبها تأكل كوكيز رقائق الشوكولاتة. المكتب صغير وتفوح منه رائحة الشاي والعطور الرخيصة. هناك بعض الشهادات المؤطرة التي لا معنى لها على الحائط، مؤهلات فارغة وتافهة بمثل تفاهة المرأة التي تدعي أنها تمتلكها، بالإضافة إلى خزانة ملفات وخزنة كبيرة. يوجد على مكتب جُوي مجلة مفتوحة، وصحن من الكوكيز، ونبتة غريبة الشكل تبدو نصف ميتة. إن كانت المرأة لا تستطيع الحفاظ على حياة صبَّارة، فهذا لا يبشر بالخير للأشخاص الذين يعيشون تحت رعايتها.

تُخمِّن كِلْيُو أن جُوي بونيتا ربما تكون في أوائل الخمسينيات من عمرها، مثلها تمامًا. لكن على النقيض منها، تبدو جوي في مظهرٍ مناسبٍ لعمرها، بل أكثر من ذلك. فملابسها تشبه الصورة النمطية لامرأة في منتصف العمر، ترتدي طقمًا محيكًا من قطعتين بمقاسٍ يصغرها برقم، وتنورة طويلة مزهرة -مع حزام خصر مطاطي بلا شك- وقلادة من اللؤلؤ تستقر باهتةً بين صدريها، وقد صُفِّفَ شعرها القصير في سلسلة من الجدائل الضيقة التي شكَّلت هالة قبيحة تُطوِّق رأسها.

تجد كِلْيُو المرأة مثيرة للاشمئزاز لكنها تجبر وجهها على الابتسام.

تسأل جوي وفمها لا يزال مليئًا بالكوكيز، وهناك بعض الفتات الذي فرَّ هاربًا واستقرَّ على لغدها: «أيمكنني مساعدتك؟».

تقاوم كِلْيُو لتبقي ابتسامتها في مكانها، ثمَّ تجلس في المقعد المقابل دون أن توَّجه إليها الدعوة.

- آمل ذلك. أنا ابنة إديث إليوت (تحدق جوي إليها بوجهٍ خالٍ من التعبير) لقد تحدثنا عبر الهاتف في وقت سابق من هذا الأسبوع. (وجه المرأة الخالي من التعبير لا يزال لم يتغير) عن أمي، في غرفة رقم 13؟ (هذه المرة أصابت كلمات كِلْيُو الهدف).

تقول جوي: «آاااه، أتذكر، وأخشى أن جوابي لم يتغيَّر».

تضطرب ابتسامة كِلْيُو: «يجب أن يكون هناك نوع من الاتفاق الذي يُمكِّننا...».

- أنا آسفة، آسفة حقًّا. لكن هذا مشروع تجاري، وأخشى ألَّا أستطيع مساعدتك، لأنه إذا لم يعد السكان -أو أقاربهم- قادرين على تحمل الرسوم، فيجب عليهم العثور على سكنٍ بديل. قلت الشيء نفسه لـ...

- يمكنك الانتظار بضعة أسابيع بالتأكيد؟

- خلافًا للاعتقاد الشائع، نادرًا ما تأتي الأشياء الجيدة لأولئك الذين ينتظرون. لدي قائمة انتظار أطول من ذراعَي قرد. الأماكن في دور الرعاية قليلة ومتباعدة في المدينة، وأخشى أن الطلب على الجيدة منها يفوق العرض بكثير.

- لا أستطيع أن أصنِّف هذه دارًا جيِّدة.

ترفع جوي أحد حاجبيها المنتوف شعره بإفراط: «كما ذكرتُ عبر الهاتف، إن كنتِ تريدين إخراج أمك قبل انتهاء عقد إقامتها، فهناك رسوم إضافية قدرها ثمانية آلاف جنيه إسترليني، بالإضافة إلى الضريبة لتسهيل الإخلاء المبكر».

- هذا أكثر من الرسوم الشهرية. إن كنت أملك هذا القدر من المال لدفعته فحسب. أعني، إن *ماتت* فلن تفرضي عليَّ رسومًا إضافية مقابل الإخلاء المبكِّر، أليس كذلك؟

تميل جوي إلى الأمام وتنكَّب فوق المكتب، فتتقلص المسافة بينهما بشدَّة، مما يضطر كِلْيُو إلى مقاومة رغبتها الملحة في إعطاء المرأة حبة نعناع لتحسين رائحة نفسها.

- ستكون تلك فاجعة بالطبع، ولكن إن أصبحت الغرفة رقم 13 شاغرة بسبب وفاة قاطنها الحالي، فإن النفقات الإضافية الوحيدة -وكلها مدرجة بوضوحٍ ومشروحة في الشروط والأحكام الخاصة بنا- ستكون من أجل إجراء تنظيف عميق للغرفة. نحن نهتم كثيرًا بالمقيمين لدينا وأحبائهم، وأتفهم أن العبء المالي قد يكون مستحيلًا. أنا هنا للمساعدة *بأي طريقة* ممكنة.

تحدق كِلْيُو إلى المرأة: «أي طريقة؟».

هناك طَرق على الباب يقطع على جوي فرصة الرد.

تصرخ: «تفضَّل!».

ينفتح الباب ويظهر رجل مسن يرتكز على عصا للمشي عابسًا. يرتدي قميصًا وربطة عنق أسفل سترته الصوفية، ويغطي الشعر الأبيض المجعد رأسه بالكامل.

تصيح جوي في اتجاهه: «نعم، ما الأمر؟».

يقول: «أريد تقديم شكوى».

- لقد قدَّمت ثلاثًا بالفعل اليوم يا سيد هندرسون. كما سبق وشُرح لك، هذا هو الحد الأقصى اليومي المتاح لك.

- لو لم يكن هناك الكثير من الأشياء التي أشكو منها، ما اضطررتُ إلى ذلك. تلك المرأة هناك، التي تطرح الأسئلة، وتريد معرفة أسماء السكان والغرف التي يقطنونها. إنها تخطط لشيء سيء، إذا سألتِني رأيي.

- لم أسألك، ولن أسألك أبدًا.

- وها هو كوبي من شاي العصر متأخر، والمصعد معطل مرة أخرى، وقلتِ إنك ستمنعين الناس من سرقة أشيائي...

ترفع جوي يدها، كما لو أنها توقف حركة المرور. من المؤكد أن هذا سيُوقف شكوى الرجل العجوز في الوقت الحالي. تنهض من المكتب وتتجه نحوه، وتقول: «سيُقدَّم إليك الشاي بعد قليل يا سيد هندرسون. لم يسرق أحد أي شيء. آخر مرة فقدت فيها محفظتك، كانت في جيبك، أتتذكر؟ تُفحَص بيانات كل من يعمل في دار وِنزر لرعاية المسنين بعناية. أعدك أنَّك وأغراضك آمنون تمامًا».

- ماذا عن المصعد؟ لا أستطيع صعود السلالم بألم وركي.

- عامل التصليح في طريقه مرة أخرى، وسُيصلَح المصعد بحلول نهاية اليوم.

تُخرجه من الغرفة وتغلق الباب قبل أن تعود إلى كِلْيُو.

تقول جوي: «ربما تفكرين في الأمر».

- أي أمر؟

- دائمًا ما يكون اجتياز الطريق صعبًا حين يصل أحد أحبَّائك إلى النهاية. هل تحدثتِ مع بقية أفراد العائلة حول الأمر؟

تسأل كِلْيُو مرة أخرى: «أي أمر؟».

تتكدَّر جوي: «إن كنتِ لا تستطيعين تحملَ رسوم هذا الشهر، وظلَّت أمك بصحة جيدة، فيرجى التأكد من اتخاذ الترتيبات اللازمة لتوفير سكن بديل لها».

- وإن لم أستطع؟ ماذا سيحدث؟ ليس الأمر كما لو أنك ستطردين امرأةً مُسِّنةً في الشارع.

- لا يمكننا الاعتناء سوى بالمقيمين الذين يدفعون تكاليف رعايتهم. هذه ليست جمعية خيريَّة.

- لقد بدأتُ أتساءل ما تكون هذه.

- دعيني أعرف ما قررتِه بشأن الغرفة رقم 13.

تطبق كِلْيُو فكيها، وتقول: «سأنهي حياتك إن حدث أيُّ شيءٍ لأمي».

تنهض لتغادر، تفتح باب المكتب بعنف، وتتوجه مباشرةً نحو الرجل العجوز الذي لا يزال يتسكع بالخارج. من الواضح أنه كان يتنصت وسمع كل كلمة.

بيشنس

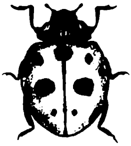

لم يتبقَّ لي سوى غرفة نومٍ واحدة أخرى لزيارتها في الطابق العلوي من الدار قبل أن أتمكَّن من العودة إلى إديث وديكنز. باعتباري مُقدمة رعاية متدربة من دون أي مؤهلات، فإنَّ وظيفتي هي تنظيف مخلَّفات المقيمين وكذلك الاعتناء بهم. أرتب أسرَّتهم، وأنظف غرفهم، وأغسل ملابسهم. وعند الضرورة –إن كانوا بحاجة إلى المساعدة، وهي ما يحتاجها كثيرٌ منهم– أحمِّمهم أيضًا. أُلبسهم، وأغسل شعرهم وأسنانهم الاصطناعية، وأقص أظافر أقدامهم، وأطعمهم، وأتحدث معهم. أساعدهم على الذهاب إلى المرحاض، الأمر الذي يشكِّل صعوبة إن كانت أقدامهم غير مستقرة، أو إن كانوا لا يستطيعون تذكر مكان المرحاض. يختلف كلُّ مقيم عن الآخر ويتطلب كلُّ واحدٍ منهم مستوًى مختلفًا من الرعاية. كفتاةٍ في الثامنة عشرة من عمرها، فأنا أصغر شخص في الفريق، وأؤدي بالأساس جميع المهامِ التي لا يرغب أي

شخص آخر في تأديتها. إنها طريقة صعبة لكسب عيش حقير، ولكنها أيضًا الوظيفة الوحيدة التي يمكنني الحصول عليها، ولم يكن الاحتفاظ بها سهلًا.

أتحقَّق من الوقت على هاتفي المحمول وأرى إشعارًا برسالة نصيَّة:

مرحبًا بيشنس، نحن بحاجة إلى التحدث. ما رأيك أن آتي لزيارتك لاحقًا...

أحذفها دون إكمال قراءتها أو حتَّى الرد. نادرًا ما تنتهي أي رسالة تبدأ بـ «نحن بحاجة إلى التحدث» بطريقةٍ جيِّدة. يسرني أن أرى الطابق العلوي من الدار خاليًا مرة أخرى؛ كان هناك الكثير من الزوار هنا اليوم. فالمكان يمتلئ بهم في أيامٍ مثل يوم عيد الأم. إنهم يخرجون فجأةً زاحفين كالحشرات من مخابِئهم مرة أو مرتين في السنة، ويتشممون إرثهم. أعتقد أنَّ القليل جدًّا من الكثيرين الذين أعرفهم يقيمون لي وزنًا، فأنا مجرد مساعدِة غير مرئيَّة، أعتني بالأشخاص الذين لا يريدون الاعتناء بهم، أو لا يعرفون كيف يعتنون بهم.

أعيدُ الهاتف مرة أخرى إلى جيب زيي الموَّحد المصنوع من البوليستر، ثم أدفع العربة المكدَّسة بمنتجات التنظيف والمفارش الجديدة إلى باب غرفة النوم المجاورة. تبدو العربة مترددة مثلي في دخول الغرفة الأخيرة، وتصدر عجلاتها المُتَقَلقِلة صريرًا احتجاجًا على السجادة المنقوشة. الباب مقفل -على الرغم من أنه لا ينبغي أن يكون كذلك- لذا أستخدم المفتاح الرئيسي للسماح لنفسي بالدخول.

لا عجب أن تكون الغرفة رقم 14 جميلة تمامًا مثل الغرفة رقم 13، فهي مزينة بالطريقة نفسها تمامًا، بأثاثٍ متطابقٍ ومناظر طبيعية متناغمة للمدينة، لكن الغرفة رقم 14 يشغلها حاليًّا رجل من المفترض أن يكون ميتًا. السيد هندرسون يكره العالم لكنه يرفض مغادرته. كلما تتآمر الحياة على قتله، ينجو. لقد فشلت الحرب، والجائحة، والحادث المؤسف الذي تعرض له بحافلة ذات طابقين في تحقيق الهدف. ما زال الحديث، الذي تبادلناه اليوم حين وصلتُ إلى الطابق السفلي لبدء ورديَّتي، يدور في حلقة مفرغة داخل رأسي. والذي بدأ بتحيَّته المعتادة.

- أنتِ مجددًا؟ لا أحد يحبك.

قلتُ بابتسامة، محاولة -كما هو الحال دائمًا- أن أبقى بشوشة: «أعتقد أنَّ هذا هو السبب وراء حصولي على القليل من الدولارات. صباح الخير يا سيد هندرسون».

- اغربي عن وجهي أيتها الخنزيرة الصغيرة. ابقي خارج غرفتي ولا تلمسي أغراضي.
- أتمنى أن أستطيع، ولم أضطر إلى ذلك.
- لا تردِّي عليَّ الكلمة بكلمة أيتها الوقحة الصغيرة. يبدو أنَّ عدم الاحترام سمة جيلكم بأكمله. عودي من حيث أتيتِ أيتها اللقيطة الصغيرة القبيحة.

يناديني بهذه الكلمة كثيرًا: لقيطة. وكلَّما يفعل ذلك أعتقد أنه على حق: أنا طفلة مجهولة النسب. لكنه يستخدم هذه الكلمة عند التحدث إلى معظم الموظفين، لذلك نادرًا ما تكون إهاناتُه شخصيَّة، مجرد وقحة. الأغنياء هم أكثر من يفتقرون إلى الأخلاق. أعض لساني وأذكِّر نفسي أن السيد هندرسون مجرد رجل عجوز مهموم. إن كان لديه أي أصدقاء أو أقارب فهم لا يزورونه أبدًا. أعتقد أن بعض الناس يُنبَذون لسببٍ ما. يميل المعظم إلى الاعتقاد بأنَّ كبار السن جميعهم طيبون ومحبوبون، فالمُسِّن في نظرهم ليس أكثر من جدٍّ ودود يرتدي سترة صوفية، مع مخزونٍ لا ينفد من الشاي والحكمة. لكن مما رأيته خلال العمل هنا، فإن الشباب السيئين يكبرون ليصبحوا عجائز سيئين. البُغض لا يتلاشى مع التقدم في العمر.

أفتح نوافذ الغرفة رقم 14، حرصًا على السماح بدخول أكبر قدر ممكن من الهواء النقي، حتى يمتزج مع تشكيلة الروائح الكريهة في غرفة نوم السيد هندرسون. ثمَّ أضع سماعتي أذني وأختار مقطعًا صوتيًّا مناسبًا قبل أن أرتدي قفازاتي المطاطية السوداء الثقيلة. أبدأ في الحمام الذي لا نوافذ له، أشدُّ الحبل[1] لألقي بعض الضوء على ما أعرف بالفعل أنه سيكون منظرًا

(1) المقصود هنا بشدِّ الحبل، أحبال مصابيح الإضاءة التي تعلَّق في أسقف الحمامات، وتستخدم لتشغيل وإطفاء الأضواء بآلية تمنع حدوث أي صواعق كهربائية عرضية. يسمح الحبل للأيدي المبتلة بتشغيل المصباح دون التعرض لخطر وصول الماء إلى الدائرة الكهربية. (المترجمة)

مزعجًا. اعتاد هذا الجزء من عملي على التسبب لي بالغثيان، لكن الطبيعة البشريَّة مجبولة على التكيُّف والتأقلم والتغيُّر مع الوقت. هكذا نتعايش ونبقى على قيد الحياة. مُسلَّحةً بالمطهرات الصناعية، أعاين المشهد وأقيِّم حجم الضرر. توجد مناشف مبتلة في جميع أنحاء الأرض، ومعجون أسنان وقصاصات شعر لحية في الحوض، وبقع غائط في المرحاض الذي لم يُكسَح ما فيه بالماء. في أي غرفة أخرى، كنت سألتقط فرشاة المرحاض وأفتح المُبيِّض. ولكن بعد ما قاله لي السيد هندرسون في الطابق السفلي باكرًا، أستخدم فرشاة أسنانه لتنظيف القاذورات التي خلَّفها وراءه. إنها فرشاة أسنان كهربائية، فاخرة، وباهظة الثمن. تؤدي المهمة بشكل جيد وأضغط سيفون المرحاض لشطفه جيدًا.

بعدما أنتهي من الحمام أعود إلى غرفة النوم. أنزع الأغطية عن السرير أولًا، والراحة تغمرني لعدم وجود بقع مقززة اليوم. يحب السيد هندرسون أحيانًا أن يترك لي مفاجآت لأكتشفها. وأتخيَّل أحيانًا أنني أدفعه على الدَّرَج. في الأسبوع الماضي، بالإضافة إلى الإهانات المعتادة وضربي على ذراعي بعصاه التي يستخدمها في المشي، اتهمني بسرقة أشياء من غرفته وكدتُ أفقد وظيفتي الحقيرة بسببه. لذلك أخذتُ طقم أسنانه، ووضعتُ مكانه طقمًا آخر كان ملكًا لأحد المقيمين المتوفين. مرَّت عدَّة أيامٍ قبل أن يتمكن أي شخص من معرفة سبب عدم ملاءمة الطقم لفكيه. لكن هذا لا يتساوى مع السرقة في شيء. ما سيأتي هو السرقة.

بمجرد الانتهاء من ترتيب السرير، أشعر ببعض الفضول للتفتيش في أدراج منضدة الزينة. أجد قطعة من الشوكولاتة، أفتحها وأتناول قضمة منها. ثم أفحص خزانة الملابس، وأتساءل لماذا يحتاج رجل لا يغادر المبنى أبدًا إلى الكثير من القمصان وربطات العنق ذات المظهر الفاخر، فالتأنق في الملابس كرجلٍ نبيل لا يعني أبدًا أن صاحبها نبيل. في إحدى السترات أجد مشبك نقود فضي يحوي مئة جنيه إسترليني من فئة العشرة جنيهات. أدس معظم النقود في جيبي وألاحظ أن المشبك محفور بكلمة «جدِّي». إنَّ فكرة امتلاك شخصٍ بغيضٍ لعائلةٍ في حين عدم امتلاكي لواحدة تجعلني أرغب في البكاء. أسمع

كلماته داخل رأسي مرة أخرى: «عودي من حيث أتيتِ أيتها اللقيطة الصغيرة القبيحة».

يبدو أنَّ الأشخاص الذين يقذفون الآخرين بالحجارة لا يدركون أنَّها ترتد إليهم أحيانًا.

قالت جوي البائسة عندما تجرأتُ على الشكوى في المرة الأخيرة التي ضربني فيها بعصاه: «إنه مجرد جيل مختلف». وكأنَّ العمر ذريعةٌ للكراهية والإساءة. أريتها الكدمات على ذراعي لكنها لم تهتم. تعرف جوي أنني محبوسة هنا لأسباب ماديَّة وأسباب أخرى. إنها واحدة من أولئك المديرين الذي ينجحون دائمًا في جعل كل شيء أسوأ. أكرهها -كل الموظفين يكرهونها- فهي تستخدم ظروفي كحذاءٍ تدوسني به.

أعتقد أنني أعرف لماذا تزعجني مجموعة الإهانات اليوم أكثر من المعتاد.

لا أستطيع العودة «من حيث أتيت» لأنني لا أعرف من *أين* أتيت.

لكنني أعرف *مَن* أريد أن أكون، *وأين* أريد أن أذهب، وهذا يستحق شيئًا ما. بمجرد أن أجمع ما يكفي من المال، سأخرج من هنا.

أختار مقطعًا موسيقيًّا جديدًا من قائمة التشغيل الموجودة على هاتفي وأرفع مستوى الصوت، ثم أواصل لعبتي السريَّة في البحث عن الكنز[1]. أعثر على ثلاث زجاجات صغيرة من الويسكي الاسكتلندي في الخزانة المجاورة للسرير، لذا أشرب واحدة وأصادر البقيَّة. الكحول مخالف للقواعد.

ثمَّ أجد الرسائل.

هناك خمسون منها، مكتوبة بخط اليد على ورق أبيض سميك. إنها رسائل حب مليئة بالمودة والإخلاص والحنان، وكلها موجهة إلى زوجة السيد هندرسون. أحدث واحدة كُتبت بالأمس.

ماتت منذ خمس سنوات.

---

(1) المقصود هنا لعبة (Scavenger Hunt) وهي لعبة يقوم فيها اللاعبون بالبحث عن أشياء مخفية باتباع سلسلة من الأدلة. (المترجمة)

أفتقد وجودك بجانبي في الليل. أفتقد الإمساك بيدك، وسماع ضحكتك.

هذه نسخة من الرجل العجوز لم أعرفها من قبل قط.

رأيتُ أبو الحنَّاء على السياج اليوم وجعلني أفكر بكِ.

أشعر بالألم الثقيل لحزنه وخسارته مع كل كلمة.

لا أعرف كيف أكون نفسي من دونك.

أقرأ العديد من الرسائل قبل إعادتها إلى مكانها. إنَّ محاولة مساواة الشخص الذي كتبها بالشخص الذي رأيته في الطابق السفلي أمر غير مفهوم. كنتُ مخطئة بشأن الرجل الذي اعتقدت أنني أعرفه، تمامًا كما هو مخطئ بشأني. هناك دائمًا سبب وراء تصرُّف الناس بطريقة معيَّنة. في بعض الأحيان تكتشف أنَّ الأشخاص السيئين مجرَّد أشخاص متنكرين يملأ الحزن قلوبهم.

هناك إطار عرض زجاجي صغير مخبَّأ بعيدًا وراء خزانة السرير الجانبية. لقد أصبحتُ مفتونة بما يختار الناس إحضاره إلى هنا، الأشياء التي يريدون الاحتفاظ بها بالقرب منهم في النهاية. ففي صندوقٍ واحدٍ من التذكارات في غرفةٍ غير مألوفة اختُزِلَت قيمة حياة جميع الممتلكات. أُخرج الإطار لإلقاء نظرة فاحصة على ميداليتين بالداخل. إحداهما ذهبيَّة تأخذ شكل نجمة، والأخرى صليب فضي، وتشير الكلمات المنقوشة عليهما إلى أنهما من الحرب العالمية الثانية. إن الأشياء التي لا بد أنَّ هذا الرجل فعلها من أجل بلاده لا

تبرر سلوكه الآن، لكنها تجعلني أندم على سلوكي. أُسقط الإطار من غير قصد ويتحطَّم الزجاج.

يستغرق تنظيف الفوضى وقتًا أطول بكثير مما ينبغي، ويبدو أن قطع الزجاج الصغيرة تناثرت في كل مكان. حين أنتهي، أدس الميدالية والإطار الصغير المكسور في جيب سترتي، على أمل أن تكون هناك طريقة لإصلاحه. ثم أبدأ في إعادة بقية أغراض السيد هندرسون إلى حيث وجدتها. لم أكن جيدة قط في أن أكون سيئة.

تتوقف الموسيقى في أذني حالما أبدأ في إعادة النقود التي أخذتها من سترة السيد هندرسون.

ولكن بعد برهةٍ أسمع شيئًا آخر.

هناك شخص ما في الغرفة.

لقد كانوا يراقبونني.

تسأل جوي: «ماذا تظنين أنك فاعلة؟».

أستدير ببطء، ويداي تحومان في الهواء كما لو كنت أخشى التعرض لإطلاق النار. تقف جوي عند المدخل وتبدو سعيدة جدًّا بنفسها. إنها امرأة صغيرة العقل مغرمة جدًّا بارتداء طقمٍ من قطعتين بلون الحلوى القطنية؛ أرى أن لون طقم اليوم أزرق. تذكرني جدائلها بذيول الخنازير، وتبدو عيناها الصغيرتان اللامعتان أغمق من المعتاد. إنهما متمركزتان الآن على النقود التي أمسك بها. النقود التي كنت على وشك إعادتها.

أقول بصوت خفيض يبدو وكأنه تقليد لصوتي: «الحقيقة ليست كما تبدو أمامكما».

- بالطبع لا. أبدًا! قال السيد هندرسون إنك تسرقين أشياء من غرفته، لذا فكرتُ في المجيء والتحقق بنفسي. يبدو أنه كان على حق. أفرغي جيوبك على السرير.
- يمكنني أن أشرح...
- أفرغي جيوبك.

أفعل ما تطلبه مني -فلا خيار أمامي- وأضع الأوراق النقدية من فئة العشرة جنيهات، وزجاجات الويسكي الصغيرة فوق أغطية السرير البيضاء النظيفة.

تسأل جوي التي تميل رأسها جانبًا عندما لا أجيب: «هل هذا كل شيء؟ من فضلك لا تجعليني أُفتشِّك بنفسي».

الفكرة تجعلني أرتجف، فأدس يدي داخل جيبي مرة أخرى وأخرج بعض الأشياء الأخرى التي لا تخصني. كل شيء باستثناء ميدالية السيد هندرسون الحربية وبطاقة إديث المصرفية. تجحظ عينا جوي الصغيرتان، لا أريدها أن تبدأ في صبِّ لعناتها عليَّ الآن.

تسألني، وقد بدأت رقبتها التي تشبه رقبة الديك الرومي في الاحمرار نتيجة التوتر والابتهاج اللذين امتزجا معًا في ردة فعلها: «هل هي الغرفة رقم 14 فقط التي كنت تسرقين منها؟».

وتتصل بجميع أرقام غرف المقيمين.

- لم أكن...

تمتعض وترفع يدها: «لا تحمِّلي نفسك عناء الكذب. أوَّد أن أتصل بالشرطة بنفسي، لكن حقيقة أنك تعملين هنا بصفة ليست رسمية تمامًا تجعل الأمور معقدة. والآن سيصبح لدي فجوة أخرى في جدول ورديَّات العمل عليَّ أن أجد مَن يسدها. من الواضح أنك مطرودة، ولا تُحمِّلي نفسك أيضًا عناء سؤالي عن أي شهادة أو إسنادٍ بأنك كنت تعملين معي هنا».

يتنامى الذعر في قلبي. من الصعب الحصول على وظيفة من دون أي هُويَّة، أو حساب مصرفي، أو اسم حقيقي.

- من فضلك، يمكنني أن أشرح لكِ (ترتسم على وجهها علامة توقف لكنني أستمر على أي حال) لا أستطيع أن أفقد هذه الوظيفة.

- ولا أستطيع توظيف سارقة.

- أنا لستُ...

- اجمعي أغراضك وغادري المكان. اتركي مفاتيحك وبطاقة تعريفك في مكتبي، ويمكنك إعادة الزي الرسمي بعد غسله. ليس لدي الوقت للاستماع إلى أكاذيبك. بفضلك لديَّ المزيد من العمل لإنجازه.

تُشير إلى الباب.

ما تزال حقيبتي في غرفة إديث.

وكذلك ديكنز.

لا أستطيع المغادرة من دونه، لكن جوي تتبعني إلى بَسْطَة الدَّرَج، تتكئ على درابزين الطابق العلوي المتداعي، وتراقبني وأنا أسير نحو الدرج. لا يبدو أن لدي العديد من الخيارات، وليس هناك وقت لاتخاذ قرار بشأن ما يجب القيام به. من الصعب جدًّا التمييز بين الصواب والخطأ في بعض الأحيان.

- ولا تتعبي نفسك في محاولة الحصول على وظيفة أخرى في دار رعاية في هذه المدينة. سأؤكد على الجميع ألَّا يوظفون فتاةً تُدعى بيشنس أو يعني اسمها صبر.

أقولها، وأنا أعنيها: «افعلي ما تشائين!».

صبرٌ هو الجواب على الكثير من أسئلة الحياة.

صبرٌ هو ما كنتُ بحاجة إلى تعلُّمه من أجل البقاء على قيد الحياة.

صبرٌ هو الاسم المكتوب على شارتي، لكنه ليس اسمي الحقيقي.

إديث

إديث ليست متأكدة من المدَّة التي مرت منذ أن غادرت ابنتها دار وِنزر لرعاية المسنين، لكنها فترة طويلة بما يكفي بالنسبة إليها لتعتقد أنها لن تعود. لا يعني هذا أنها تهتم، فهي تظن فقط أنها سمعت ابنتها تقول إنها ستعود مرة أخرى قبل أن تغادر. ربما أخطأت إديث السمع، أو ربما أساءت الفهم. لا يهم. اعتادت الجلوس هنا لساعاتٍ بمفردها دون وجود أحدٍ تتحدث إليه أو شيءٍ تفعله، وتعلمت التحلي بالصبر لأنه خيارها الوحيد. تجلس على السرير، تمسِّد شعر ديكنز لتواسي نفسها، وتستحضر في ذاكرتها من جديد آخر جدالٍ لها مع ابنتها وتتساءل كيف ومتى ولماذا سارت الأمور بشكلٍ خاطئ.

إنه سؤال تعرف الإجابة عليه، ولكنها تتمنى لو لم تكن تعرف.

لم تكن حياتها هكذا دائمًا. عندما كانت إديث تعمل مفتشةً في أحد المتاجر، أظهر لها الناس الاحترام الذي تستحقه. منحتها وظيفتها هدفًا

محددًا في الحياة وشيَّدت سقفًا فوق رؤوسهم. لقد كانت أمًّا جيدة، حتى لو كانت ابنتها لا تعتقد ذلك. لم تفز إديث قط بجائزة الأم المثاليَّة، وربما ارتكبت بعض الأخطاء -ومَن لم يرتكب؟- لكنها بذلت قصارى جهدها. ففي عمرٍ مثل العمر الذي تبلغه الآن، تعلم أنَّ بذل أقصى ما بوسعك هو حقًّا كل ما يمكن لأي شخص فعله. نادرًا ما يتعلق كونك أحد الوالدين باتخاذ القرارات. لقد فعلت ما كان عليها فعله للاعتناء بكليهما.

يطرق شخص ما الباب وتشعر إديث بالذعر، فهي لم تحكم غلقه. وسرعان ما تترجم مخاوفها إلى أمل. تظن أن ابنتها ربما عادت في النهاية، لتعتذر وتأخذها بعيدًا عن هذا المكان الفظيع. تأخذها إلى البيت. تحمل إديث ديكنز وتخفيه في الحمام مرة أخرى. يبدو غير مرتاح لهذه التدابير. يطرق شخص ما الباب مرة ثانية، ومن حسن الحظ أن الكلب العجوز يعاني بعض مشاكل السمع وإلا كان سينبح. تسرع إديث للعودة إلى سريرها. تنفض شعر الكلب مرة أخرى وتسِّوي أغطية السرير. إنها جاهزة، ولكن لا يزال هناك إحساس بعدم الارتياح يغمرها حين ترى مقبض الباب يبدأ في الدوران.

لم تسمح إديث للطارق بالدخول.

تسحب اللحاف إلى أعلى مباشرةً تحت ذقنها، وتفكر في التظاهر بالنوم، ثم تقرر إبقاء عين واحدة مفتوحة بينما يَصِرُّ الباب، وتطقطق ألواح الأرضية، ويدخل شخص ما إلى غرفتها.

تقول: «أوه، هذه أنتِ».

فرانكي

حين تصل فرانكي إلى وجهتها النهائية، تشعر بالانكسار قليلًا. تستمر في استعادة الأحداث الأخيرة وردود أفعالها عليها، وتشعر كما لو أنَّ كل قرار تتخذه هو قرار خاطئ. يبدو كأنَّها نُقِلَت إلى عالمٍ مختلفٍ حين تحدق إلى خارج النافذة. مكان تعرف من قبل أنه لا يناسبها. تبدو منازل نوتينج هيل[1] التي تركن فرانكي سيارتها أمامها وكأنها مجموعة أفلام أكثر من كونها مكانًا قد يعيش فيه أشخاص حقيقيون. لقد زُيِّن هذا الركن من المدينة بالترف والنجاح، وليس مثل امتداد نهر التايمز حيث تعيش. طُليت كل مجموعة من المنازل الجميلة المتجاورة بدرجات مختلفة من ألوان الباستيل. هناك الكثير من السلال المعلقة الملآنة بالزهور الملوَّنة المُعتنَى بها جيدًا، والنباتات

---

(1) إحدى مناطق غرب لندن الشهيرة، في منطقة كنسينجتون وتشيلسي الملكية، والتي ترجع شهرتها إلى استخدامها في العديد من الأفلام، واستضافتها لكرنفال نوتينج هيل السنوي. (المترجمة)

المزروعة في الأصص على طول شارع المشاة المرصوف بالحصى. هذا إلى جانب امتلاك كل منزل نظام أمني يبدو باهظ الثمن.

توقف فرانكي المحرك وتجلس في سيارتها لبعض الوقت، في انتظار الوقت أن يلحق بها. لم ينطلق المنبه بالرنين على هاتفها بعد، لذا فهي تعلم أنها وصلت مبكرًا. تلاحظ جرح إصبعها -السبابة- الناتج عن الاحتكاك بحواف ورق إحدى كتب المكتبة سابقًا. إنه لأمر مدهش كيف يمكن لجرح صغير جدًّا أن يأبى الالتئام ويسبب الكثير من الإزعاج. لم يؤلمها الجرح حتى رأته مرة أخرى، وهذا يجعلها تتساءل ما إن كان الألم حقيقيًّا أم مجرد خيال.

تصعد إلى الجزء الخلفي من سيارتها لتغيير ملابسها، وتخلع زي السجن الرسمي وترتدي فستانًا أسود كانت تحتفظ به لهذه المناسبة. ثم تعود إلى مقعد السائق وتتحقق من انعكاس صورتها في مرآة الرؤية الخلفية. فتحدق إليها عينان خضراوان حزينتان، لم تغادرهما الهالات السوداء التي ظهرت تحتهما حين فقدت ابنتها قط. لقد غيَّرت فرانكي من لون شعرها وتصفيفته كثيرًا على مر السنين، لكن شعرها المجعد المُصفَّف في تسريحة البوب يبدو مجهدًا بقدر ما تشعر هي اليوم. من الواضح أنَّ جذور شعرها مصممة على اكتساب اللون الرمادي -على الرغم من صغر سنها نسبيًّا-، ناهيك ببشرتها الشاحبة جدًّا لدرجة أنها تبدو كالشبح. إنها تشعر وكأنها شبح، يسير في أثناء نومه عبر الحياة، في انتظار الفصل الأخير.

تتندَّى يدا فرانكي بالعرق ولا تستطيع منعهما من الارتجاف بينما ترتدي زوجًا من القفازات الجلدية الحمراء. ومن المثير للسخرية حقًّا أن معظم الأشخاص الذين التقوها -وهي أمينة مكتبة سجن هادئة وخجولة- ربما لن يستطيعوا تخيُّلها ترتكب جريمةً. إنه لمذهل ما يُمكن أن يُدفَع الشخص إلى فعله حين تنفد من أمامه الخيارات. على الأوراق، فرانكي شخص جيد. في بعض الأحيان يفعل الأشخاص الجيدون أشياء سيئة، في بعض الأحيان يضطرون إلى ذلك. لكن فرانكي تتمنى لو لم يصل الحال بها إلى هذا الحد. من المؤسف أنَّ الطبيعة البشرية مجبولةٌ على تبديد الحب وتخزين الكراهية. تبدأ بالعدِّ من واحد إلى عشرة ثم تفتح باب السيَّارة.

تَعدُّ فرانكي خطواتها من السيارة إلى مقدمة المنزل الوردي الجميل أيضًا، فهي تعرف أنه يجب أن يكون هناك أربع وثلاثون خطوة بالضبط. هذه ليست المرة الأولى التي تزور فيها هذا المكان، لكنها ستكون المرة الأولى والأخيرة التي تدخله فيها. يبدو أن كل خطوة تزيد من حدة ألم ذكرياتها وهي تعبر الشارع المرصوف بالحصى. عقلها الآن عبارة عن زوبعة من كل الأشياء التي سُلِبَتها. الأشياء التي تخشى فرانكي ألَّا تستعيدها أبدًا. شخصٌ ما يجب أن يدفع ثمن ما فقدته فرانكي، وهذا الشخص موجود داخل المنزل الوردي. تلاحظ القفل الموجود على الباب الأمامي -وهو قفل من السهل جدًّا فتحه- وتدرك أنه كان بإمكانها الدخول في أي وقت إن كانت قد اختارت ذلك. لكنها تريد أن تدخله مدعوَّة إليه.

لم ينطلق المنبه على هاتفها بالرنين بعد. لقد وصلت باكرًا، وتعتقد أنه ربما ينبغي عليها الانتظار. بعد تأجيل هذه الزيارة طوال هذه المدة، فمن المؤكد أن بضع دقائق لن تحدث فرقًا كبيرًا. ربما من الأفضل أن تتخلص من عبئها الآن. ترفع قبضتها لتطرق الباب، لكنها تحدق بعد ذلك إلى رقم المنزل اللامع المصقول: 13. تتردد مرة أخرى، بينما تهسهس الكلمات حول الأرقام داخل رأسها: رقم *13: عدد أولي، عدد مركب، عدد مشؤوم، عدد الأشخاص الذين حضروا العشاء الأخير مع المسيح، العدد الذي بدأ عنده عمر مراهقتها، عدد الرجال الذين...*

تقطع حبل أفكارها قبل أن تحيد بها عن المسار المرجو تمامًا. رقم 13 من الأعداد التي تخضع للمفارقة: فهو يجلب الحظ السعيد، وغير السعيد في الوقت نفسه. ربما تكون هذه علامة أخرى على أنها تفعل الشيء الصحيح. أم أن الكون يحاول تحذيرها من أن ما ستفعله خطأ؟ خطآن لا يصنعان صوابًا، لكن يمكن أن يجعلا العالم يبدو أكثر تجانسًا، وأقل توازنًا.

ينطلق منبه فرانكي بالرنين، وفي الوقت نفسه تمامًا، ينفتح باب المنزل الوردي.

تقول امرأة في منتصف العمر حسنة المظهر ترتدي فستانًا أحمر وحذاءً رياضيًّا مطابقًا: «أنا كِلْيُو. لابد أنك فرانكي».

تمد يدها بابتسامة دافئة، وتحتار فرانكي في كيفية التعامل معها.

تضيف المرأة وهي تشير إلى جسم أسود صغير مستدير لن يلاحظه معظم الناس أبدًا: «هناك كاميرا صغيرة سريَّة فوق الباب، أترينها؟ رأيتك تنتظرين، وبدوتِ خائفة بعض الشيء من طرق الباب، لذا اعتقدت من الأفضل أن أبادر بالمجيء وألقي التحية. يشعر الجميع بالتوتر قليلًا في المرة الأولى، لذا حاولي رجاءً نفض هذا القلق عنك. تفضلي بالدخول».

تبدو المرأة ودودة لدرجة تجعل فرانكي تشعر بالغثيان. إنها شديدة اللطف. واحدة من الأشخاص الذين يحبهم الناس فقط لأنهم يشعرون أنه ينبغي لهم ذلك حقًّا.

تعبس المرأة فتتبدَّل ملامحها: «أنتِ فرانكي، أليس كذلك؟».

تحدق إليها فرانكي وكأنها تتحدث لغة أجنبية. لم تكن تعرف شيئًا عن الكاميرا الموجودة فوق الباب. لا يمكنها إلا أن تتساءل ما إن كانت قد رأتها تقف بالخارج مرات عديدة قبل اليوم. تتردد، يملؤها الخوف الآن من أن هذه المرأة ربما تعرف بالفعل من هي فرانكي وسبب وجودها هنا. تحاول الرد، لكن الكلمات تعلق في حلقها. يبدو كما لو أنَّ حلقها يغص بكل الأشياء التي لا تستطيع قولها. ويبدو أن المرأة تتفهم الأمر، وكأن هذا هو رد الفعل الذي كانت تتوقعه. تستدير للدخول، وتشير بيدها -المطلية أظافرها بعناية- إلى فرانكي لتتبعها.

وهو ما ستفعله.

ولكن ليس قبل التفكير في الخطوات الأربع والثلاثين التي ستستغرقها العودة إلى السيَّارة. ربما لم يفت الأوان بعد للتراجع والابتعاد وعدم العودة أبدًا.

تنظر فرانكي إلى ساعتها الميكي ماوس وترى أنها توقفت. إن كانت بحاجة إلى إشارة أخرى -وقد كان هناك الكثير- فهذه واحدة إضافيَّة. حتى الوقت قد هرب منها. تعد بصمت إلى ثلاثة -الرقم الأفضل طوال تاريخ البشريَّة- قبل أن تتبع المرأة داخل المنزل الوردي.

بيشنس

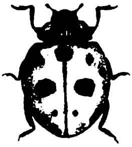

«لا تتعلَّقي كثيرًا بأيٍّ أحدٍ في غرفة انتظار الرَّب».

أخبرتني جُوي بذلك في أوَّل يومٍ لي في دار وِنزر لرعاية المسنين وكان عليَّ الإنصات إليها.

لا شيء ممَّا حدث منذ أن طردتني يبدو حقيقيًّا. لقد فعلتُ أشياء لم أعتقد أنني قادرة على فعلها، أشياء سيئة، أشياء لا أستطيع تغييرها. كانت رحلة العودة إلى «كوفنت جاردن»[1] ضبابيَّة إلى أقصى مدى. تعثرتُ بفتاةٍ مشرَّدة خارج محطة مترو الأنفاق. لم أرَها جالسة هناك، وأخشى أنَّني من كثرة ما تعرضتُ لسوء المعاملة والظلم لم أعد ألاحظ ذلك بعد الآن. الفتاة المشردة هي ابنة شخص ما أيضًا. بدا أنَّنا في العمر نفسه. أعطيتها ورقة نقدية من جيبي بقيمة عشرة جنيهات -علمًا أنَّها في حاجة إليها أكثر مني- وأظهرت امتنانًا

(1) حي ومنطقة في وسط العاصمة البريطانية لندن، وأحد شرايينها النابضة بالحياة. (المترجمة)

كبيرًا جعلني أتمنى لو أعطيتها المزيد. تحدث أشياء سيئة للمراهقين الذين يهربون إلى لندن. أنا واحدة من المحظوظين. تميل الحياة في المدينة الكبيرة إلى أن تكون أصغر بكثيرٍ من أحلام الناس بها. ينسى الناس أن الكوابيس هي أحلام أيضًا.

حالما أنعطف على الطريق يبدأ المطر في الهطول، ويغطي ضباب خفيف بشرتي. سرعان ما يبتل الطريق بنمط جميل من الانعكاسات المشوَّشة لأنوار الشوارع والمتاجر ذات الإضاءة الساطعة. يتكَّدس حي كوفنت جاردن بالسُّياح -وهو كذلك دائمًا- وأشعر وكأنهم جميعًا يحدقون إليَّ. لكن كلما أرفع بصري، لا أجد أحدًا منهم يفعل. أرتجف، جزئيًّا من البرد، وجزئيًّا بسبب شيء آخر -ربما الشعور بالذنب- وأُسرع الخطى قليلًا عبر السَّاحة المرصوفة بالحصى. كلُّ شيءٍ صاخبٌ جدًّا داخل رأسي لدرجة أنني لا أستطيع ترتيب أفكاري. عندما يكون فعل شيءٍ خاطئ هو الشيء الصحيح الذي ينبغي عمله، هل هذا يجعله مقبولًا؟

كان عالمي هادئًا جدًّا قبل الانتقال إلى وسط لندن، حيث الصخب والبهرجة. فشقة العليَّة التي كنت أقيم بها منذ ما يقرب من عام مخفيَّة بعيدًا فوق معرضٍ فنِّيٍّ صغير. لن تعرف حتى بوجودها إلا إذا رفعت بصرك لتنظر إليها، ومعظم الناس مشغولون جدًّا بالنظر إلى هواتفهم في هذه الأيام. يتصفَّحون شاشاتهم بيأسٍ بحثًا عن آراءٍ تعكس آراءهم الشخصيَّة. نافذة العليَّة صغيرة ومستديرة، مثل كُوَّةٍ في السماء، تطل من سطح المبنى مثل العين السرية. العليَّة نفسها بالكاد تتسع لسرير واحد، لكن شخصًا مثلي لا يمكنه أبدًا أن يكسب ما يكفي للعيش فيها. حتى الشقق التي بحجم صندوق الأحذية تكلف أكثر مما أستطيع تحمله. أنا لا أدفع إيجارًا، لكنني أدفع مقابل امتياز العيش هنا بطرق أخرى.

يقع معرض كينيدي في كوفنت جاردن منذ أكثر من مئة عام، ويبدو فكرةً ثانويَّة خطرت على بال المهندس المعماري أكثر من كونه جزءًا من أي خطة أوليَّة. المبنى عبارة عن تاون هاوس مبني من الطوب على الطراز الفيكتوري، بارتفاع أربعة طوابق، ويقع بين مبنيين أكبر وأضخم بكثير. تبدو المساحة التي يشغلها وكأنها كانت زقاقًا فيما مضى. ربما كانت كذلك. يمكن للأماكن

أن تصبح أفضل مما كانت، إذا أتيحت لها الفرصة، تمامًا مثل الأشخاص. لقد وُرِّث المعرض من جيلٍ رجاله محبين للفن من الطبقة الوسطى إلى جيلٍ آخر. وما زال يُوَّرث حتى الآن. آخرهم، جُود كينيدي -مالك العقار- الذي فشل في إنجاب وريثٍ لعرش المعرض، ومستقبل العمل يبقيه مستيقظًا في الليل. أعلم ذلك، لأنه غالبًا ما يأتي لزيارتي.

جود شخصٌ أنيقٌ يتمتع بالثقة في الأربعينيات من عمره، ببشرة سمراء وشعرٍ ناعم ينساب على جبينه. يتأنق دائمًا بملابس مُصمَّمة ليرتديها رجل أصغر عمرًا. ومثل العديد من الأشخاص الناجحين على ما يبدو، يتمتع بسحرٍ أكثر من الموهبة، لكن الحياة كانت لطيفة معه. وفي المقابل، كان لطيفًا معي. أو على الأقل لطيف بما يكفي للسماح لي بالعيش في العليَّة فوق معرضه الفني.

هناك ثلاثة شروط رسمية فقط لاتفاقنا:

1. *غير مسموح بإصدار أي ضجيج خلال النَّهار.*
2. *لا يُسمح لي باستقبال الزوَّار.*
3. *يجب أن أعطيه مرة واحدة في الشهر شيئًا لا أريده.*

أنا متأكدة تقريبًا من أنَّ كل من يلتقي جُود يعتبره بطل قصة نجاح ملهمة، رجلٌ ورث عملًا أغدق عليه بالسعادة والثروة. لكننا جميعًا نرتدي أقنعة، وأنا أعرف السيد كينيدي جيدًا بما يكفي لرؤية الرجل الذي يختبئ خلف قناعه. لو كان كتابًا، لكان غلافه أكثر ذكاءً وجمالًا من الكلمات المكتوبة بداخله. مثل الكثير من الأشخاص الذين يبدو أنهم يعيشون أحلامهم، لكنه *ليس* حلمه الذي يعيشه.

أشعر بأنني أخف عندما ألاحظ أضواء المعرض خافتة، وهذا يعني عادة أنه قد عاد إلى المنزل لهذا اليوم. أنعطف نحو الزقاق الصغير الذي يؤدي إلى

الجزء الخلفي من المعرض، حيث تُحفَظ الصناديق، وأفتح قفل الباب الخلفي. إنه يكشف عن الدَّرَج الضيِّق المظلم المألوف، الذي يلتف وينعطف ويصدر صريرًا على طول الطريق إلى العليَّة في أعلى المبنى. أعرف أي الدَّرجات هي الأعلى صوتًا -تلك التي يجب أن أتجنب الوطء عليها عندما لا أريد أن يسمعني أحد في الأسفل- وأعلم أنَّ هناك مئة وثلاث وعشرون خطوة إجمالًا. يزعجني أنَّ عقلي يصر على عدِّها. العادات السيئة يمكن أن تكون معدية. أفتح باب العليَّة بأقصى قدر ممكن من الهدوء -تحسبًا فقط لوجود أي شخص في المعرض بالطابق السفلي- ثم أتسلل إلى الداخل، وأحكم غلق الباب تاركة العالم خلفي.

على الرغم من أنَّ طولي لا يزيد عن خمسة أقدام وثلاث بوصات[1]، لا يوجد سوى زاوية واحدة فقط في العليَّة أستطيع الوقوف فيها بشكل مستقيم. وبسبب قرب السقف المائل، اعتدت الانحناء طوال الوقت لتجنُّب الاصطدام برأسي. أحيانًا نضطر جمعينا إلى أن نصبح نُسخًا أصغر من أنفسنا لكي نلائم القصة التي تكتبها لنا الحياة. هناك سرير فردي يستند إلى الجدار الخلفي، وخزانة كتب مصنوعة من صندوقي نبيذ قديمين، ومكتب صغير، ورف صغير يستخدم كمطبخ (يحمل ميكروويف وغلايَّة كهربائيَّة). يوجد حمام بحجم خزانة به مرحاض وحوض صغير -المصدر الوحيد للمياه-، وإضاءة ليليَّة في زاوية الغرفة، والتي تعكس مجرَّةً من النجوم على السقف من غروب الشمس إلى شروقها. أخشى الظلام، دائمًا ما كنت أخشاه.

الجدران مغطاة بقصاصاتٍ ورقيَّة فنيَّة.

لخمس سنوات وأنا أصنعها أو نحو ذلك. بدأتُ عندما كنت في الثالثة عشرة من عمري بابتكار وقص بطاقات التهنئة الخاصة بي. لكن التصاميم كبرت في الحجم، وكذلك مخيلتي. طالما شعرتُ بالخجل من عملي؛ في بعض الأحيان أعتقد أنني أصنع الأشياء لنفسي فقط. لكنني أحلم بأن أصبح فنانة حقيقيَّة يومًا ما. فالحياة من دون أحلام مجرَّد نوعٍ من الموت البطيء كما تقول إديث.

---

(1) نحو 160 سم تقريبًا. (المترجمة)

هناك دُرجٌ قديمٌ أسفل السرير، كان لدي واحدٌ مثله في طفولتي، مكان سري لتخزين الأشياء السريَّة. أستخدمه لتخزين الورق، والأقلام، والغراء، والسكاكين. لا تفيدني السكاكين في شيء إلا عندما تكون شفراتها حادة تمامًا، لذا لدي الكثير منها. الدُّرج أيضًا هو المكان الذي أحتفظ فيه بعلبة الشاي الياباني. إنها عبارة عن تحفة فنية باللونين الأسود والذهبي منقوشة بمشاهد جميلة ومتشابكة لأشخاصٍ وأشجارٍ وطيورٍ كانت في السابق ملكًا لأمي. لكنني لا أستخدمها لتخزين الشاي. ولم تفعل أمي أيضًا. وعوضًا عن ذلك، أُبقي أحلامي مخبَّأةً داخل علبة الشاي. أفتح الغطاء وأحاول دس كل النقود التي أحملها في جيوبي بداخلها. من ناحية المبدأ، سرقتُ النقود من مكتب جوي. لكنها كانت تدين لي بمرَّتب أسبوع، بالإضافة إلى تعويضٍ عن كل الدَّمار العاطفي الذي سببته لي، لذلك لم أشعر بأيِّ ذنب. على الأقل ليس في هذا الأمر. أحتاج إلى النقود للخروج من هنا ولديَّ تقريبًا ما يكفي منها.

أدرك أنني لم آكل طوال اليوم، مرَّةً أخرى، لذا أمسك بوعائي الوحيد وأملَؤُهبحبوب الشوكولاتة. ثم أنحني لأتجنب عوارض السقف المنخفضة وأجلس في مكاني المفضل: نافذة العلية. تبدو من الشارع وكأنها كُوَّةٌ مستديرةٌ صغيرة، من النوع الذي قد تجده على متن سفينة. لكن هنا، عن قرب، فهي أكبر بكثير مما قد يتخيلها الناس، إنها بحجمي تقريبًا. يذكرني تصميم المكان بالساعة، وكلما أجلس هنا، على مقعدي المؤقت المصنوع من الصناديق الخشبية والوسائد المستعملة، أشعر أنَّ وقتي أصبح ملكي مرة أخرى. خلال النهار، تغمر النافذةُ العليَّةَ بأكملها بأجمل ضوء. وفي الليل هي نافذتي على العالم، حيث يمكنني الجلوس مختبئة في الظلام، أراقب أسطح المنازل وأشاهد مسرح الحياة في الشوارع بالأسفل.

محاور ارتكاز النافذة الدائرية مفتوحة. يمكنني التسلق مباشرة إلى السطح إن أردت ذلك، إنها إحدى مشكلات السلامة العديدة التي تمنع السيد كينيدي من تأجير المساحة لمستأجر يدفع. ولكنها ميزة مفيدة عندما أحتاج إلى تخزين الأشياء التي من الأفضل الاحتفاظ بها باردة. أنا لا أملك ثلاجة. أفتح النافذة وأمد يدي إلى علبة الحليب التي كنت أحتفظ بها على الحافة. وبينما أسكب ما تبقى منها على حبوب الإفطار، أتمكن من سماع أجراس

«بيج بن» من بعيد. ألاحظ خاتم الدعسوقة الفضي الذي أهدتني إيَّاه إديث حين ألتقط ملعقتي. أشعر بالذنب تجاه ما حدث لها.

أوشك على الاختناق بحبوب الإفطار عندما يطرق أحدهم باب العليَّة. أعلم أنه هو. لا بد أنه تجنَّب وطء كل الدرجات التي تحدث صريرًا حتى لا أسمعه وهو يصعد الدرج. أظل ساكنة تمامًا حتى لا يسمعني. لا أستطيع التعامل مع هذا الآن.

يطرق الباب مرة أخرى.

- بيشنس، هل أنت هنا؟

لا أجيب، ولا أتحرك.

- إن تجاهلتِني الليلة، سأعود غدًا.

تمر دقيقة وتبدو وكأنها ساعة.

لا أصدر أي صوت حتى أسمع السيد كينيدي يعود هابطًا الدرج، قاطعًا الدرجات كلها، المئة وثلاث وعشرين درجة. ثم أختلس النظر من نافذة العليَّة وأراه وهو يسير مبتعدًا في الشارع باتجاه سوهو[1]. المطر يهطل بغزارة الآن، ويغسل كل شيء بالخارج ويجعله نظيفًا. تتناثر قطرات الماء الغاضبة على النافذة قبل أن تنهمر على الزجاج مثل الدموع. أبكي أنا الأخرى. أجلس وأبكي وأحدق خارج النافذة التي تشبه الساعة، متمنية لو أستطيع أن أعود بالزمن. يمكنه العودة غدًا إذا أراد -سأكون قد رحلت بحلول ذلك الوقت- أريده فقط أن يبقى بعيدًا الليلة. والآن بعد أن أصبح الطريق أمانًا بما لا يدع مجالًا للشك، وقد خلا لي الجو، أمسك بمعطفي وأستعد للعودة من حيث أتيتُ. من المخيف أن أعرف ما أنا قادرة على فعله عندما أُدفَع بعنفٍ إلى ذلك، لكني ما زلت بحاجة إلى إنهاء ما بدأته.

---

(1) إحدى مناطق مدينة وستمنستر، وهي جزء من ويست إند في لندن. (المترجمة)

فرانكي

تتبع فرانكي المرأة داخل المنزل الوردي. جميع أبواب الرواق مغلقة باستثناء بابٍ واحدٍ. تشعر بخيبة أمل لأنها لن تتمكن من رؤية المزيد من المكان، بعد أن انتظرت طويلًا لتدخله. يبدو أن كِلْيُو كينيدي تتمتع بحياةٍ جيِّدة ومنزلٍ جميل.

تقول فرانكي: «شكرًا لاستقبالك لي يوم الأحد».

تعرض عليها كِلْيُو بينما تمرَّان بحاملٍ خشبيٍّ: «يمكنني تعليق معطفك وحقيبتك إن أردتِ؟».

تقبض فرانكي على حقيبة يدها بقوة، وكأنها تخشى أن تسرقها المرأة: «لا».

ثمَّ تضيف، لأنَّها لا ترغب في أن تبدو وقحة: «شكرًا لكِ».

تدخلان ما يشبه غرفة جلوس مكشوفة ومملّة. ولكنها ليست كذلك في الحقيقة. إنها غرفة لأسئلةٍ ليست لها إجابات صحيحة. جميع جدرانها مطليَّة

باللون الرمادي باستثناء واحدة مُزيَّنة بورق حائطٍ باهظ الثمن ومزخرفٍ بالطيور، يجعل فرانكي تفكِّر في التحليق بعيدًا. لا يبدو أبدًا من هيئته أنَّه مكتب استشاراتٍ نموذجيٍّ، لكن ليس وكأنَّ كِلْيُو تبدو من الجهة الأخرى معالِجًا نموذجيًّا. تجلس على كرسي مكتبي مخملي متحرك فخم، بلون أحجار الفَيْرُوز، وتشير إلى فرانكي للجلوس على الأريكة المقابلة لها ذات اللون الأصفر الكناري.

تجلس فرانكي بارتباكٍ على حافة مقعدها. هناك قدر مدهش من الضوء في الغرفة المظلمة، وساعة معدنية كبيرة فوق المدفأة -مشغولة بالعد التنازلي للستين دقيقة المقسَّمة لها- ومكتب صغير في الزاوية فوقه حاسوب محمول، ومزهرية صغيرة من الزهور النَّضرة، وهاتف بقرص دوَّار عتيق الطراز. لا تستطيع فرانكي منع نفسها عن التحديق إلى كلِّ شيء. لا تستطيع التصديق أنهما أخيرًا معًا في الغرفة نفسها. وجهًا لوجه لأول مرة. وتأمل أن يكون اختيار هذا الموعد تحديدًا، بعد ساعات العمل الرسميَّة، مفيدًا في تقليل احتماليَّة تعرضهما للإزعاج.

- تسعدني مقابلتك يا فرانكي.

تبدو كلمات المرأة أكاذيب، فسماعها تقول اسمها بصوت عالٍ يتسبب في التواء شيءٍ ما داخل صدر فرانكي، وتتساءل ما إن كان من الممكن كسر قلب المرء حرفيًّا لا مجازًا. ليست المرأة فقط هي من تجعلها تشعر بعدم الارتياح، بل الغرفة نفسها. تتمنى فرانكي لو أنها رأتها قبل موعدها لأنها ليست كما تخيلتها، ولكن لم تكن هناك صور لها على الإنترنت. كلُّ شيءٍ *لطيف* جدًّا، لطيف لدرجة تُصَّعِب عليها فعل ما أتت إلى هنا لفعله. تدرك أنَّها بحاجة إلى العدِّ لتهدأ، لكن هذا ليس سهلًا في مكانٍ غير مألوف.

أربعة جدران، وثلاث نوافذ، وكرسيان، وامرأة واحدة في المنزل الوردي.

تجد فرانكي صعوبة في النظر إليها مباشرة وكأنها الشمس.

لقد التقت مُعالجِين واستشاريين وأطباء نفسيين من قبل، مجموعة كاملة منهم على مر السنين، لكن لم يكن أحدٌ منهم مثل هذه المرأة. وجه كِلْيُو مألوفٌ تقريبًا مثل وجهها، على الرغم من حقيقة أنهما لم يلتقيا قط. لطالما

بدت فرانكي وكأنَّها تعيش حياةً قيد الإنجاز، بينما تبدو كِلْيُو امرأةً سارت حياتها وفقًا للخطة. شعرها مُصَّفف في تسريحة بوب انسيابية بفرق جانبي، ومكياجها رقيق، ولكن وُضع بيدين خبيرتين. يبدو فستانها الأحمر أنيقًا وكلاسيكيًّا أكثر من كونه خليعًا أو مغريًا، فهو يجعل من قامتها القصيرة أكثر جاذبية، كما أن الحذاء الرياضي بلونه الأحمر المتطابق يكسبها مظهرًا مرحًا. تبدو أصغر من عمرها الخمسيني، لكن وجهها لا يتناسب مع جسدها الشاب، فأشياء مثل الفستان والحذاء الرياضي العصري ليست تمويهًا كافيًا، ويختبئ عمرها الحقيقي في التجاعيد حول عينيها والهالات السوداء تحتهما. تتسع عينا فرانكي حينما تبصر لطخةً غير متوقعة: ما يشبه بقعة صغيرة من الكاتشب، أو الدم، على ذقن المرأة. الأشخاص المثاليون الذين يعيشون في منازل مثالية نادرًا ما يكونون مثاليين كما يبدو ظاهرهم.

تبحث فرانكي عن المزيد من العيوب لكنها لا تجد شيئًا. تلاحظ أن حذاء المرأة يبدو جديدًا تمامًا، كما لو لم تَخْطُ به خارج المنزل من قبل، وتتساءل ما إن كانت تحتفظ به في صندوق. تحدق فرانكي إلى حذائها: لا يزال أحد رباطي حذائها مفكوكًا، كما أنَّ حالة حذائها البروج[1] الأسود مُزرية ويحتاج إلى تلميعٍ جيِّدٍ. القليل من ملمِّع مستر شين كان سيساعدها. تطوي قدميها بعيدًا عن موضع بصرها قدر الإمكان، كما لو تخجل منهما. لقد فكَّرت في بذل المزيد من الجهد، لكن كل ذلك بدا بلا جدوى. لماذا عليها أن تتظاهر بأنها شخص أو شيء يخالف طبيعتها؟ لكن المرء يحظى بفرصةٍ واحدةٍ فقط لترك انطباعٍ أوَّلٍ أو أخيرٍ جيِّدٍ. بالمقارنة مع المرأة التي تسكن المنزل الوردي، تبدو فرانكي وكأنها حصلت على ملابسها من متجر خيري في الخفاء.

لا يهم، فالانطباع السيئ يدوم أكثر من الانطباع الجيد.

تستطيع فرانكي الشعور بنظرات المرأة وهي تزحف فوق جسدها بأكمله، مما يصيبها بالحكَّة. يجري الآن تُفحصَّها مما يجعلها ترغب في الركض والاختباء.

---

(1) تشير كلمة «بروج» (Brogue)، المشتقة من الكلمة الغيلية الاسكتلندية (Bróg) التي تعني «حذاء»، إلى أي حذاء من دون كعب أو بكعبٍ منخفضٍ، تزينه الثقوب العديدة أعلى مقدمة الحذاء الجلدية. (المترجمة)

تقول كِلْيُو: «أريدك أن تشعري بالراحة (ما يجعل فرانكي تشعر بالعكس) إنَّ الاستشارة ليست شيئًا تخجلين منه، لكنني أعلم أنه قد يكون من الصعب الانفتاح على شخص غريب. أمارس هذه المقابلات منذ فترة طويلة، وأعدك بأنَّ التحدث إلى شخصٍ ما حول ما يزعجك يمكن أن يساعدك. أنا هنا للاستماع إلى ما تريدين قوله. لماذا لا تبدئين بما أتى بكِ إلى هنا اليوم؟».

الانتقام، والحزن، وقلبٌ مكسورٌ.

لا تقول فرانكي أيَّ كلمة من الكلمات التي تدور في رأسها بصوت عالٍ. ونادرًا ما تفعل ذلك، حتَّى عندما تكون بمفردها. تشعر بضيق في صدرها، وكأنها نسيت كيف تتنفس. تحدق إلى المرأة، ثم تخفض بصرها إلى يديها المختبئتين تحت القفازين وتشعر بالألم الناتج عن قطع الورق في إصبعها. كيف يمكن لشيء صغيرٍ جدًّا أن يؤذي إلى هذا الحد؟ لا أثر لجروحٍ في يدي كِلْيُو، لديها أظافر حمراء أنيقة تتناسب مع الفستان والحذاء الرياضي وأحمر الشفاه.

يبدو أن صوت الساعة المعدنية الضخمة المعلقة على الحائط أصبح أعلى، وكأنها تسخر من فرانكي وكل الأفكار التي تدور داخل رأسها.

تيك توك. *عودي إلى المنزل*. تيك توك. *اخرجي*. تيك توك. *غادري الآن*.

تقول كِلْيُو كما لو أنها تظن أنها تستطيع قراءة أفكار فرانكي: «خذي وقتك».

لا تستطيع. لم تكن لتدعوها لو أنَّها تستطيع.

الوقت هو شيءٌ تكافح فرانكي لتعرفه هذه الأيام. يمكن للوقت أن يُستعَار أو يُهدَر أو يُسرَق. قد يَحني الوقت أو يَكسر، وقد يُؤذي أو يُداوي. الوقت كفيل بإعادة كتابة التاريخ. لكن الوقت ثمين جدًّا ليؤخَذ أو يُمتَلك. يُؤخَذ *الناس* من حياتنا وأحيانًا لا يعودون أبدًا. وقد *أخذت* فرانكي *وقتها* لفترة طويلة جدًّا.

تحدق إلى الساعة مرة أخرى بينما تحسب الثواني والدقائق بسرعة كبيرة. إنها بحاجة إلى عدِّ أشيائها هي الأخرى لتغطي على صوتها، ولكن لا يوجد سوى القليل جدًّا للتركيز عليه في الغرفة.

أربعة جدران، وثلاث نوافذ، وكرسيان، وامرأة واحدة في المنزل الوردي.

تهز فرانكي رأسها وكأنها تحاول إخراج بعض الكلمات المناسبة. وتفاجئها الكلمات القليلة التي تهرب منها.

تنجح في قول: «أنا هنا بسبب ابنتي».

إنَّها حقيقة وكذبة في الوقت نفسه. تحدق إليها عينا كِلْيُو بمزيج من الفضول واللطف الذي يبدو صادقًا، وآملًا أن تواصل حديثها، وغافلًا تمامًا أنَّ فرانكي قد خسرت كل شيء بسبب ما فعلته كِلْيُو.

تسألها: «هل تريدين التحدُّث عن ابنتك؟».

لا، أريد أن أتحدث عن الطقس.

تبصر فرانكي وميضًا لشيءٍ ما في عيني المرأة وتشعر بالقلق من أن تكون قد تحدثت بصوت عالٍ. لكنه مثل اللهب المرتعش، وبمجرد أن يخبو نسيم كلماتها، تستأنف كِلْيُو نظرتها الثاقبة.

لا تستطيع فرانكي إخبار كِلْيُو أن طفلتها الوحيدة هربت من المنزل قبل عام.

لن تخبرها فرانكي بالسبب.

فهي لا تنوي البحث عن شيءٍ لن تجده أبدًا بعد الآن.

تهمس فرانكي بينما تحاول حبس دموعها: «لا أعرف إن كان باستطاعتي فعل هذا».

تقدِّم إليها كِلْيُو صندوق مناديل فضي جميل، لكنها لا تأخذ واحدًا. لا تستطيع. ولن تفعل. الشيء الوحيد الذي جاءت إلى هنا من أجله هو الإجابات *ونهاية*. تتشكَّل تقطيبة صغيرة على وجه كِلْيُو، مما يفسد كماله.

تسألها كِلْيُو، وهي تميل إلى الأمام قليلًا، وكأنها تريد حقًّا أن تعرف: «هل أنتِ بخير؟».

كما لو أنها تهتم.

تقول فرانكي بهزَّة صغيرة من رأسها، وما زالت متجنِّبة التواصل البصري: «لا».

إنها إجابة صادقة. وبدأت في العد مرة أخيرة.

أربعة جدران، وثلاث نوافذ، وكرسيان، وامرأة واحدة في المنزل الوردي.

تختلس فرانكي النظر إلى الساعة مرة أخرى. لقد أوشك موعدها على الانتهاء، وكذلك ساعتها. فإمَّا الآن أو -ربما- أبدًا.

- اسمي فرانكي فليتشر. أنتِ لا تعرفينني، لكني هنا لأن...

يقاطع صوت الهاتف المحمول بوقاحة الخطاب الذي قضت فرانكي أسابيعَ في التدرب عليه. نغمة الرنين سخيفة، كما لو أنها تسخر منها.

تقول كِلْيُو: «أنا آسفة جدًّا (تمد يدها داخل جيبٍ غير مرئي في فستانها، وتخرج الهاتف، وتتجهم، ثم تنقر على الشاشة) اعتقدت أنه كان على وضع صامتٍ. إنه موقف غير احترافي مني وأعتذر عليه. أكملي».

تُحدِّق فرانكي بفمٍ مفتوح. الأمور لا تسير حسب الخطة.

أربعة جدران، وثلاث نوافذ، وكرسيان، وامرأة واحدة في المنزل الوردي.

يبدو أنَّ هذا السيناريو سيُعاد مراتٍ لا حصر لها. تبدأ فرانكي خطابها المُجهز مسبقًا مرة أخرى، كما لو أنها لا تستطيع تذكر سطوره إلا إذا بدأت من البداية.

- اسمي فرانكي فليتشر. أنتِ لا تعرفينني، لكني هنا لأن...

يبدأ الهاتف المحمول بالرنين في يد المرأة، ولكن بصمتٍ هذه المرة.

تحدق كِلْيُو إلى هاتفها المهتز وتضغط الشاشة بأحد أظافرها الحمراء: «آسفة مرة أخرى. أكملي من فضلك».

تشعر فرانكي بأنها بدأت تتعرق، على الرغم من أن درجة الحرارة في الغرفة المثالية، وفي المنزل الوردي المثالي، مثاليَّة بالطبع. تهز رأسها بعدم تصديق، وتأخذ نفسًا عميقًا، ثم تحاول مرة أخرى.

- اسمي فرانكي...

يبدأ هاتف القرص الدوَّار العتيق القابع على مكتب كِلْيُو في الرنين، بنغمة الخط الأرضي العالية والمتواصلة.

تقول كِلْيُو، وهي تحرِّك كرسيها نحو المكتب وتلتقط سماعة الهاتف: «أنا آسفة جدًّا، آسفة حقًّا. لا أستطيع أن أتصور شيئًا سوى أن يكون هناك نوع من أمور الطوارئ العائلية».

العائلية.

تبدو الكلمة وكأنها صفعة على وجهها.

يُسحَب اللون من وجه كِلْيُو بينما تنصت لمن يتحدث على الهاتف.

تقول وهي تضع السماعة وتتجه نحو فرانكي: «أفهم ذلك، سأتصل بك من رقم مختلف في أقل من دقيقة. أنا فقط بحاجة إلى دقيقة. إنها حالة طارئة ويجب أن أتلقى المكالمة، لكنني سأعود على الفور، لذا ابقِ هنا».

ثمَّ تغادر الغرفة دون كلمة أخرى، وتغلق الباب خلفها.

تنظر فرانكي حولها في عدم تصديق، وتتساءل عمَّا يفترض أن تفعله الآن. ثم تنهض وتبدأ في ذرع الغرفة جيئةً وذهابًا وكأنها محبوسة في زنزانة. إنها كذلك من بعض النواحي: فنحن جميعًا نبني سجوننا الخاصة، المشيَّدة من قوالب الخوف والأعمدة غير المرئيَّة. تعدُّ خطواتها من أحد جوانب الغرفة إلى الجانب الآخر، لكنها تتوقف عندما تسمع صافرة إنذار الشرطة من بعيد. يخطر لها فجأة أنها لا تعرف مَن الشخص الذي كانت تتحدث إليه المرأة عبر الهاتف. ماذا لو كانت المرأة في المنزل الوردي تعرف بالفعل من هي فرانكي؟ ماذا لو اتصلت سرًّا بالشرطة؟ صوت الصافرات في الخارج يزداد حدَّة. ينضم رنين منبه هاتفها لإعلامها بانتهاء موعدها إلى أجراس الإنذار التي تدق في رأسها. وتدقُّ الساعة المعلقة على الحائط في تناغم.

يتنامى الذعر في صدر فرانكي، لكنها بعد ذلك تكتشف شيئًا ما ويتباطأ الوقت حتى تشعر كما لو أنه توقف. لم تلاحظ القصاصة الفنية المعلَّقة على الحائط المجاور للنافذة عندما دخلت الغرفة لأول مرة -وكيف قد تلاحظها مع وجود الكثير من الأشياء التي تشتت انتباهها- ولم تتمكن من رؤيتها من الزاوية التي كانت تجلس فيها منذ قليل، فلم تكن القصاصة على خطٍّ مباشرٍ مع عينيها. ولكن الآن بعد أن رأتها أخيرًا، تقف فرانكي واجمة تمامًا وتحدق إلى القصاصة الصغيرة المؤطرة. يتكوَّن التصميم المتشابك من طبقاتٍ من

الأشجار الورقية السوداء على خلفية فيروزية، والأشجار لها أعين. الكثير منها. وفي الزاوية تظهر دعسوقة مرسومة باليد. تتعرف فرانكي على أسلوب العمل الفني على الفور، والشكل الدقيق المألوف للتقطيعات الموجودة في البطاقة. إنها جميلة وفريدة من نوعها، وهي تعرف مَن صنعها. ما لا تفهمه هو كيف انتهى الأمر بقطعة فنية لابنتها المفقودة على جدار يخص المرأة في المنزل الوردي.

كِلْيُو

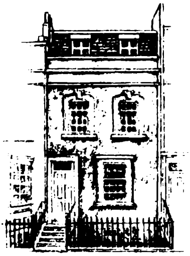

تقف كِلْيُو في ردهة منزلها الجميل في نوتينج هيل. تُنصِت إلى صوتٍ على الطرف الآخر من هاتفها، لكنها تشعر بأنَّها غير قادرة على استيعاب الكلمات التي تسمعها. كانت الكلمات القليلة الأولى سهلة بما يكفي لفهمها: «مرحبًا، أنا أتصل من دار وِنزر لرعاية المسِّنين. يتعلق الأمر بأمِّك...».

وبعد ذلك بدا كما لو أن المرأة تتحدث لغة أجنبية، كلماتها مألوفة، لكن كِلْيُو تجد صعوبة في ترجمتها. فهي صعبة جدًّا، وثقيلة جدًّا، وحاسمة جدًّا، ومخيفة جدًّا. تحتاج كِلْيُو إلى الجلوس. تجلس على الدرجة السفليَّة من الدَّرَج، تمامًا كما فعلت عندما كانت طفلة. تشعر وكأنها طفلة مجددًا الآن.

تسأل كِلْيُو ويبدو سؤالًا غريبًا في ظلِّ هذه الظروف: «هل أنتِ متأكدة؟».

يقول الصوت: «أنا آسفة جدًّا لإبلاغك بمثل هذه الأخبار المزعجة».

تتساءل كِلْيُو عن عدد المرات التي يتعين فيها على المرأة الغريبة على الهاتف إجراء مكالماتٍ كهذه. أسبوعيًّا؟ يوميًّا؟ إنها تعتقد أن إيصال الأخبار السيئة هو بالتأكيد جزء من الوظيفة في دور رعاية المسنين. من المحتمل أن يكون لديهم نصٌّ جاهزٌ. يخيِّم الصمت المربك على المكالمة لفترة من الوقت، لذا تحاول كِلْيُو جمع شتاتها وتفشل. الشخص الذي تريد الاتصال به هو الشخص الوحيد الذي لا تستطيع الاتصال به. مهما كانت الكلمات التي يجب أن تقولها ردًّا على ذلك، لن تخرج منها، ولا تعرف كِلْيُو ماذا تفعل أو كيف تشعر.

تقول في النهاية، دون أن تحرك ساكنًا: «أنا في طريقي إليكم».

- ليس عليكِ أن...

تصرُّ كِلْيُو: «لا بأس».

تغلق الخط ولا تزال جالسة على الدرج، وهاتفها بين يديها، وأفكارها في مكان آخر. ثم تتذكر المرأة التي تجلس في غرفة الاستشارة، ماذا كان اسمها؟ لقد قالت ذلك كثيرًا كما لو كان من المفترض أن يعني شيئًا ما. تتمنى كِلْيُو الآن لو أنها رفضت رؤية عميل جديد يوم الأحد، لكن المرأة بدت يائسة للغاية على الهاتف. وكِلْيُو بحاجةٍ إلى المال. فمنازل مثل هذه وعادات مثل عاداتها لا تكلِّف القليل.

تكتب كِلْيُو ملاحظاتٍ عن كل عميل بعد كل جلسة، وتحتفظ بها في ملفات مرقَّمة في خزانة ملفات وردية كبيرة في مكتبها. لا يمكنها تذكر اسم المرأة، لكن العميل الجديد هو ملف الحالة رقم 999. يبدو الأمر وكأنه تحذير الآن. أو علامة. لكن كِلْيُو لا تؤمن بالعلامات. إنها تؤمن بالاحترافية في جميع الأوقات، وهجر الحالة رقم 999 خلال جلستهما الأولى معًا هو أمر بعيد عن المثالية. تأمل أن يُصلَح أي ضرر سريعًا.

تنهض كِلْيُو وتسِّوي فستانها، متمنيةً لو كان من السهل التخلُّص من التجاعيد والطيات الأخرى غير المرغوب فيها من حياتها بالطريقة نفسها. الخيارات التي نتخذها عندما نكون صغارًا يمكن أن تطاردنا إلى الأبد. إن كان بإمكانها العودة، لتحذِّر نفسها الصغيرة من ارتكاب الأخطاء التي كلفتها

كل شيء، لفعلت بالتأكيد. لا تصدق كِلْيُو الأشخاص الذين يقولون إنهم لا يشعرون بأي ندم، فهم من نوعيَّة العملاء الذين لا يمكن لأي قدر من العلاج أن يساعدهم. تتحقق من انعكاس صورتها في مرآة الردهة، وتعدِّل وجهها، وتحاول أن تبدو وكأنها النسخة التي تعرف كيفية مساعدة الناس. ترى بقعة من شيءٍ أحمر على ذقنها وتمسحها، وتشعر بخيبة أمل من نفسها لأنها لم تلاحظْها في وقت سابق. تبدو وكأنها محتالة؛ فحياتها الخاصة مليئة بالفوضى أكثر بكثير من حياة أيٍّ من عملائها. مثل كل الأطبَّاء والمعالجين، يصبح تقديم النصائح للآخرين أسهل من تقديمها لنفسك.

كل ما عليها فعله هو الاعتذار للعميلة الجديدة، وشرح ما حدث، وسؤال المرأة العودة في موعدٍ آخر. سيكون كلا الموعدين مجانيين، وهذا من شأنه أن يفي بالغرض. فتقديم شيء من دون مقابل يمكن أن يخفف معظم أشكال خيبة الأمل. لكن لا يوجد شيء مجاني في الحياة، ليس حقًّا. وتعتقد كِلْيُو أنَّ معظم الناس سيصبحون أكثر سعادة إذا قبلوا بهذه الحقيقة. تأخذ نفسًا وترسم ابتسامةً على وجهها وتفتح الباب.

كِلْيُو على وشك التعبير عن مدى أسفها، لكن غرفة الاستشارة فارغة.

كانت ستراها لو أنَّ الحالة رقم 999 قد غادرت المنزل، لأنه كان سيتعيَّن على المرأة المرور بجوارها مباشرة في الردهة للوصول إلى الباب الأمامي. وهذا ليس الشيء الوحيد الذي تغيَّر. قطعة فنيَّة مفقودة من أحد الجدران وعلِّقَت ورقة نقدية قديمة من فئة عشرة جنيهات في مكانها. وبعد ثلاثين عامًا من العمل كمستشارة، اعتقدت كِلْيُو أنها رأت وسمعت كل شيء. ويبدو أنها كانت مخطئة. تتموَّج الستائر البيضاء الرقيقة قليلًا، وتتطاير بفعل النسيم مثل شبحين كسولين، وترى كِلْيُو النافذة مفتوحة على مصراعيها.

لقد تسلَّقت الحالة رقم 999 النافذة وأخذت القصاصة الفنيَّة المؤطرة معها.

فرانكي

يرسو قارب فرانكي الضيِّق، «*ذا بلاك شيب*» (*The Black Sheep*)، في هذه الزاوية الهادئة من نهر التايمز منذ عشر سنوات. ظلَّ مكانها المفضل في العالم حتَّى لم يعد كذلك. وحتى عندما كانت تضطر هي وابنتها إلى تغيير موقعه -وهو ما كانتا تفعلانه معظم الوقت- كان القارب دائمًا بيتًا لهما. نهر التايمز هو أطول نهر في إنجلترا، ويتعرَّج في مساره عبر تسع مقاطعات مختلفة -بالإضافة إلى مدينة لندن- ويعد السفر عبر الماء وسيلة جيِّدة للانتقال من بقعةٍ إلى أخرى داخل البلد دون أن يُكتشَف أمرك.

لا تستطيع فرانكي التوقف عن التفكير في المرأة التي تسكن المنزل الوردي. ذهبت إلى هناك لتقول الحقيقة، وليس لتجدها، لكن الحقيقة مثل الماء ودائمًا ما تتسرب في النهاية. كلُّ شيءٍ مختلفٌ الآن. لديها سبب للأمل، وحافز للاستمرار. ربما لا تزال هناك طريقة لاستعادة ابنتها الصغيرة. نادرًا ما تكون الحقيقة التي يعرفها شخصٌ ما مطابقة تمامًا لما يعرفها شخصٌ

آخر. تميل الحقيقة إلى التمدد والاعوجاج خارج الشكل لتناسب صاحبها بشكل أفضل. يختلف الناس في طريقة تذكرهم للأشياء ويمكن لذكرياتنا أن تجعل منَّا جميعًا كاذبين. لكن المرأة التي تسكن المنزل الوردي كاذبة بلا شك، وتعرف فرانكي أنَّ هذا القدر من الحقيقة صحيح.

إحدى أكبر فوائد العيش على متن قاربٍ ضيِّقٍ -وهناك الكثير منها- هي أنهما كلما شعرتا بأن الخطر قريب بدرجة كافية للعثور عليهما، كلُّ ما كان عليهما فعله هو إدارة المفتاح والإبحار بعيدًا. من السهل أن تكون غير مرئي إن كان بإمكانك إخفاء نفسك. قد يكون القارب قادرًا على السفر بسرعة ستة أميال فقط في الساعة، لكنه أثبت أنه وسيلة الهرب المثالية في أكثر من مناسبة. إلى جانب ذلك، اتفقَّ علماء الرياضيات على أنَّ ستة هو أصغر عدد مثالي[1]، وستة تعني «تَدَفُّق» باللغة الصينية[2]، ويعتقد الناس في جميع أنحاء العالم أنه رقم يجلب الحظ السعيد. السبب الوحيد وراء عدم إبحار فرانكي بعيدًا هذه المرة هو خشيتها ألَّا تعرف ابنتها أين تجدها.

لم يتجاوز عمر فرانكي الثامنة عشرة عندما وُلِدَت ابنتها الصغيرة، وهو عمر ابنتها الآن تقريبًا. كانت طفلةً جميلةً لكنها تبكي كثيرًا. عزمت فرانكي على أن تحب طفلتها بالطريقة التي كانت تتمنى أن تُحَبَّ هي بها، لكن تلك الأشهر القليلة الأولى من كونها أمًّا عزباء، بينما لا تزال هي نفسها طفلة، كانت الأصعب في حياتها. المسؤولية الساحقة، والإرهاق الدائم، والخوف: إنه شيء لا يمكنك شرحه أبدًا لشخصٍ لم يمر به.

كانت حالتها الماديَّة صعبة أيضًا، لكن فرانكي دائمًا ما تجد طرقًا لتغطية نفقاتهما. زرعت الخضروات في أواني وأكياس زراعة على سطح السفينة،

---

(1) العدد المثالي هو عددٌ صحيح موجب يساوي مجموع قواسمه جميعًا عدا نفسه. فالعدد 6 أصغر عدد مثالي لأنَّ (6 = 3 + 2 + 1). (المترجمة)

(2) يشبه نطق رقم ستة باللغة الصينيَّة (Liù) (六) نطق كلمة (Liú) (流) التي تعني «تَدَفُّق» أو «جريان» أو «انسباب» مشيرًا بذلك إلى التقدم السلس في الحياة. (المترجمة)

واحتفظت بدجاجةٍ أليفةٍ تدعى «إيجيثا كريستي»[1] والتي زوَّدتهم ببيضٍ طازجٍ أكثر مما يمكنهم تناوله. لم يكن لديهما الكثير من الأشياء الماديَّة، لكنهما لم تحتاجا إلى أيِّ شيء أيضًا. لدى كلٍّ واحدة منهما الأخرى وكان ذلك كافيًا. لفترة من الوقت على الأقل. الحياة تُبدع في الطريقة التي تمنحك بها السعادة ثم تستعيدها مرة أخرى.

منذ أن ورثت فرانكي القارب الضيِّق بلونيه الأحمر والأسود وهو يُدعى «*ذا بلاك شيب*»، ولم ترَ أيَّ سببٍ لتغيير الاسم. نحتاج جميعًا إلى شخصٍ ما أو شيءٍ مألوفٍ للتشبث به عندما تُرخَى رواسينا، ويهدد الانجراف حياتنا. يشبه القارب مركبة تارديس[2] قليلاً: فهو أكبر بكثير مما يبدو من الخارج. يستغرق المشي من طرفٍ إلى آخر به اثنتين وثلاثين خطوة. هناك ثماني فتحات إضاءة مستديرة صغيرة، توفِّر كلٌّ واحدةٍ منها إطلالة مختلفة على ضفة النهر وأشجار الصفصاف الباكية[3] التي تتمايل في الخارج. على الرغم من كونه قاربًا ضيقًا، فهو كبيرٌ بما يكفي ليحوي غرفتي نوم -واحدة عند كل طرف-، وحمام صغير، ومنطقة معيشة واسعة في منتصف القارب، تتكون من مطبخٍ صغيرٍ وحجيرة صغيرة دافئة تتوسطها مدفأة حطب.

تفتح فرانكي باب المدفأة بقفاز فرن مُبتَدَع على شكل ثعلب، وتضع قطعة حطب أخرى بالداخل. تطن ذبابة كبيرة حول القارب، تشتتها عن أفكارها، لذا تقبض على علبة قريبة من ملمِّع زجاج مستر شين -الذي يُستخدم لأغراض كثيرة لا تقتصر فقط على التلميع- وترش الذبابة وتراقبها وهي تسقط على

(1) تحريف فكاهي لاسم أجاثا كريستي باستبدال مقطع «إيجي» (Eggi) الذي يشير إلى البيض بمقطع «أجا» (Aga). (المترجمة)

(2) بالإنجليزية (TARDIS): إشارة إلى المسلسل البريطاني الشهير «دكتور هو» (Doctor Who) والذي فيه يتجوَّل الدكتور عبر الزمان والمكان بصحبة عدد من المرافقين بواسطة مركبته التي تسمى «تارديس» المموهة على شكل «كابينة هاتف للاتصال بالشرطة». (المترجمة)

(3) يعد الصفصاف الباكي (The weeping willow) الأكثر شهرة بين جميع أشجار الصفصاف، وقد سُمي بالباكي، نظرًا لانحناء أغصانه وكأنها تبكي على ضفاف الأنهار. (المترجمة)

الأرض، وتعقبها فترة صمت تبدو بصخب الأولى. لا تعرف فرانكي ما يجب فعله الآن لأن الأمور لم تسِر وفقًا للخطة. تتوقف عن تأجيل ما لا مفرَّ منه وتقطع الخطوات الخمس عشرة من حجيرة المعيشة الدافئة إلى غرفة نوم ابنتها. إنها تعلم أنها ستضطر إلى تشغيل وإطفاء الضوء ثلاث مرات، لذا تفعل ذلك بسرعة. تمرُّ المرة الأولى بسلام. وفي المرة الثانية التي تضيء فيها الغرفة، على الرغم من أنها سريعة جدًّا، تتخيَّل فرانكي رؤية فتاة تبكي على السرير. وفي المرة الثالثة تعود الغرفة فارغة مرة أخرى.

أنتِ بخير. أنتِ بخير. أنتِ بخير.

تهمس فرانكي إلى نفسها.

إن كانت تكرر الكلمات أكثر من مرة فهي تأمل أن تبدو صحيحة.

ما زالت غرفة نوم ابنتها كما كانت بالضبط قبل هربها. هناك قصاصات فنيَّة على الجدران، وملابس على الكرسي، ودمية محبوبة فوق الوسادة. غطاء البيانو العمودي القديم مفتوح، وهو أمر غريب؛ اعتقدت فرانكي أنها أغلقته. يدفعها البرد، وربما شيءٌ آخر، إلى الخروج من الغرفة، وتبدو خطواتها الخمس عشرة العائدة إلى الحجيرة وكأنها تقهقرٌ سريعٌ. تعانق نفسها في الكرسي الصغير ذي الذراعين بجوار مدفأة الحطب، وتحدق إلى النيران وهي ترقص وتومض وتطرح نمطًا متحركًا من الظلال حول القارب. هذه هي الزاوية المفضلة لديها في *ذا بلاك شيب*: زاوية القراءة الصغيرة الخاصة بها. هناك خزانة كتب قديمة من خشب البلوط مزيَّنة بأضواء خياليَّة، وأرففها مكدَّسة برواياتها المفضلة ومجموعة من الشموع المعطرة. تشعل واحدة من التي يُدَّعى أنها تساعد الناس على الاسترخاء. وفي حالة لم ينجح ذلك -والذي لم يحدث من قبل قط- تزيل فرانكي السدادة من زجاجة مفتوحة من قبل بجوار كرسيها وتصب بعض النبيذ الأحمر في كوب أمها. اعتادت شرب نبيذ مثل هذا عندما كانت ابنتها لا تزال هنا، وتتظاهر بأنه شاي. تلاحظ الجرح الصغير في إصبعها مرة أخرى وهي ترفع الكوب إلى شفتيها. إن الجرح الناتج عن الاحتكاك بحافة ورقة هو الانتقام الأخير للشجرة، لذا تلقي بقطعة حطب أخرى في المدفأة.

لقد لعب الورق دورًا كبيرًا في حياتها: فهي تعمل في مجال الكتب، وجميع القصص التي قرأتها فرانكي وأحبتها خلال حياتها كانت مطبوعة على ورق، ولم تستمتع ابنتها بشيء أكثر من قص الصور الجميلة منها. تنظر إلى القصاصة الورقيَّة الفنيَّة المؤطرة المستندة على الحائط، تلك التي سرقتها من المنزل الوردي في وقت سابق، ويبدو كما لو كانت تحدق إلى شبح. ابنتها مَن صنعت تلك القطعة. فرانكي متأكدة من ذلك، ولأول مرة منذ فترة طويلة تشعر بشيء يشبه الأمل.

لا يوجد توقيع على القطعة الفنية -فقط ما يشبه دعسوقة مرسومة باليد في الزاوية اليمنى السفلية- ولكن هناك اسم مطبوع على ملصق ذهبي لامع على الجزء الخلفي من الإطار: *معرض كينيدي، كوفنت جاردن*. الاسم والمكان مألوفان، إنه مكان زارته فرانكي منذ سنواتٍ عديدة. سيُغلق المعرض الآن، لكنها تخطط للذهاب إلى هناك بمجرد افتتاحه في الصباح. اشتدت الريح في الخارج بما يكفي لجعل النهر يضطرب قليلًا، والقارب الضيق يصرُّ ويتمايل من جانبٍ إلى آخر. في بعض الأحيان، عندما تهب العواصف، تتأرجح الصور على الجدران. تبدأ فرانكي في صب كأس آخر من النبيذ لنفسها قبل أن تدرك أن الزجاجة فارغة. لا بأس، لديها واحدة أخرى مثلها. لطالما كان تحمُّلها للكحول دائمًا أعلى من تحملها للناس. إنها لا تشرب من أجل المتعة، بل تشرب من أجل الألم. والنسيان. ولكن قبل أن تتمكن من العثور على نازعة السدادات، تسمع صوت البيانو. مفتاحين فقط في البداية، بهدوء شديد، لم تسجلهما على الإطلاق تقريبًا.

فرانكي وحدها على متن القارب، وهي متأكدة من ذلك. إنها دائمًا تقفل الباب بمجرد صعودها على سطحه، فقفل الأبواب عادة يصعب كسرها إن كنت تعمل في السجن. تتساءل ما إذا كان خيالها أو إرهاقها يخدعانها، لكنها تسمع النوتتين الموسيقيتين مرة أخرى.

يحاول عقلها تهدئة نفسه عن طريق العد وهي تتسلل ناحية غرفة ابنتها.

خمس خطوات من الحجيرة إلى المطبخ.

لا يزال القارب يتأرجح ويتمايل من جانبٍ إلى آخر، وتسمع صوت البيانو مرة أخرى.

أربع خطوات إلى الممر الصغير.

يحتوي البيانو على ثمانية وثمانين مفتاحًا. اثنان وخمسون مفتاحًا أبيض. ستة وثلاثون مفتاحًا أسود.

ثلاث خطوات إلى مؤخرة القارب.

هناك بالتأكيد عاصفة في الطريق. ربما تخيَّلت الصوت.

خطوتان إلى غرفة نوم ابنتها.

تسمع البيانو مرة أخرى. بصوتٍ أعلى هذه المرة.

خطوة واحدة إلى باب غرفة النوم.

إنه مفتوح.

اعتقدت فرانكي أنها أغلقته.

كانت الغرفة غارقة في ظلام شديد لدرجة لا يمكن رؤية ما بداخلها، لذلك تقف بلا حراك تمامًا في المدخل، تنصت إلى الصمت المشوش بينما تطرطش مياه النهر على هيكل القارب. لا بد أنها تخيلت ذلك. اعتادت ابنتها العزف على البيانو، وأخافت فرانكي نفسها بسماع أشباح ذكرياتها.

تستدير وتبدأ في الابتعاد، تتوق إلى العودة إلى تلك الزجاجة غير المفتوحة.

يبدأ صوت البيانو من جديد.

بصوتٍ عالٍ، ولكن ليس واضحًا.

لا يوجد لحن يمكن تمييزه، بل مجرد ضوضاء، مثل أن يضرب شخص ما جميع مفاتيح البيانو مرة واحدة. يرتفع الصوت أكثر بينما تستدير فرانكي عائدة نحو غرفة النوم، وأصابعها المرتجفة تصل إلى مفتاح الإضاءة.

كِلْيُو

تمتعض كِلْيُو من الاضطرار إلى مغادرة المنزل مرَّةً أخرى، مرَّتان في يومٍ واحدٍ كثير جدًّا. ولكن بالنظر إلى المكالمة الهاتفية التي تلقتها، فقد يبدو الأمر غريبًا ومريبًا حتَّى إذا لم تَعُد إلى دار وِنزر لرعاية المسنين. إنها أسعد في منزلها، حيث تشعر بالسيطرة، ملكة قلعتها وإن كانت وحيدة. لا يعني ذلك أنها ستشارك هذه المعلومة مع أي شخص. لم يعد لدى الشخص الذي تبرزه أمام العالم الكثير من القواسم المشتركة مع الشخص الذي تحوَّلت إليه.

حين تصل أخيرًا تدفع لسائق التاكسي الأجرة المحددة، من دون إكرامية، وتعود إلى دار الرعاية. كانت الرحلة إلى هنا بطيئة إلى حدٍّ مؤلم، وذلك بفضل ساعة الذروة طوال اليوم في لندن ومحاولات السائق المملة لإجراء محادثة قصيرة. لقد منح هذا كِلْيُو الكثير من الوقت للتفكير في أفكارٍ غير مرغوبة. بينما تدخل المبنى، تبدو كل خطوة تخطوها ثقيلةً، كما لو أنها لا تستطيع

تذكر كيف تمضي إلى الأمام. أو كما لو كان هناك شيء عميق بداخلها يحذرها لتبتعد، وتعود أدراجها، وتبقى بعيدًا.

في الداخل، يكاد الهدوء والسكون يغلفان المكان تمامًا. ليس على الإطلاق ما كانت تتوقعه. لا يوجد أحد في الردهة أو الصالة، فقط أصوات مكتومة باتجاه الممر وبعيدة عن الأنظار. لا تضيع كِلْيُو وقتها في البحث عن مديرة الدار، أو أي موظف، وبدلًا من ذلك تتجه بهدوء نحو الطابق العلوي، وتصعد كُلَّ درجتين من الدرج في خطوة واحدة. فهي على يقين تقريبًا أنَّها ستجد المصعد الكهربائي مُعطَّلًا، كما هو الحال عادةً. تتلهف كِلْيُو العودة إلى غرفة أمِّها ويُفضِّل أن تكون بمفردها. بعد كل شيء، *هذا* ما يفترض بك أن تفعله عندما تفقد شيئًا ما؛ تعود أدراجك.

لقد وصلتها الكثير من الإنذارات المضلِّلة من دار الرعاية قبل اليوم. كثيرة جدًّا. تتذكرها كِلْيُو كلها:

«تبدو أمك مشوَّشة».

لا جديد في هذه الناحية.

«ترفض أمك تناول الطعام».

رفضت تناوله عندما حاولت كِلْيُو طهوه لها أيضًا.

تعرَّضت أمك للسقوط.

ربما فعلت شيئًا لم يكن ينبغي لها أن تفعله.

لقد أمضت كِلْيُو فترةً طويلةً في العمل كمُعالجة نفسيَّة، ومن المستحيل أن تفشل في التعرف على الصرخات التقليديَّة لجذب الانتباه أو استجداء العطف. وفي الأغلب كانت جميع الإنذارات التي وصلتها من هذا النوع. لكن هذه المرَّة تبدو مختلفة.

«أنا آسفة جدًّا، لقد اختفت. فعلنا كل ما بوسعنا».

اعتادت كِلْيُو زيارتها مرة واحدة في الأسبوع في الفترة الأولى من انتقال أمها إلى دار وِنزر لرعاية المسنين. وإلى أن تعرَّفت على صديقة تدعى مِاي، بعد بضعة أشهر، رفضت إديث النزول إلى الطابق السفلي مثل المقيمين الآخرين. اعتادت أيضًا الجلوس في غرفة أمها وقضاء ساعة كاملة كل يوم

ثلاثاء، لكن إديث كانت تمتنع عن التحدُّث معها، وأوضحت أنها لا تريد رؤية ابنتها بعد الآن. لذلك توقفت كِلْيُو عن الزيارة. وعندما ظلت أمها ترفض التحدث عبر الهاتف، توقفت كِلْيُو عن الاتصال. لم تكن هذه هي المرة الأولى التي تتوقفان فيها -عمدًا- عن التواصل مع بعضهما بعضًا. لقد شهدت علاقتهما فترات هبوط أكثر من الصعود، وتعاقبت مناسبات عديدة على مرِّ السنين لم يتحدثا فيها مع بعضهما بعضًا لعدة أشهر. منذ أن دخلت كِلْيُو مرحلة المراهقة، والأمور بينهما حساسَّة وصعبة.

أرادت إديث العيش مع كِلْيُو في المنزل الوردي، وليس الانتقال إلى دارٍ لرعاية المسنين. لكن العيش معًا تحت سقفٍ واحدٍ لم يكن فكرة جيدة: المنزل صغير جدًّا (كذبة)، والسلالم شديدة الانحدار وضيِّقة (حقيقة)، وهذا هو المكان الذي تمارس فيه كِلْيُو عملها وليس لديها الوقت لرعاية أمِّها أو تفقد أمورها باستمرار (كذبة وحقيقة). لم تردها كِلْيُو فقط أن تعيش معها (الحقيقة كاملة). منزلها هو أيضًا مكتبها -فهي تقابل العملاء في معظم الأيام- وليس لديها الوقت أو الصبر أو الطاقة لرعاية أمِّها المسنة فوق كل ذلك، أو رعاية كلبها الموبوء بالبراغيث. كانت دار الرعاية هي الخيار الوحيد، لكن إديث استغلَّت الموقف لتصوير ابنتها نذلة وحقيرة أمام أي شخص ينصت إليها.

لم تريا أو تتحدَّثا مع بعضهما بعضًا مرة أخرى، منذ أشهر، قبل اليوم. والآن هذا يحدث.

تشق كِلْيُو طريقها عبر متاهة الممرات والشعور بالذنب يملأها حتى تجد نفسها أمام باب غرفة رقم 13. تدفع الباب المفتوح برفق، ويغمرها إحساسٌ غريبٌ بالارتياح عندما ترى الغرفة -والسرير- فارغين. تبدأ كِلْيُو -غير متأكدة من المدة التي ستستغرقها في فعل ذلك قبل أن يأتي شخص آخر- في البحث عن أدلة. أي شيء ربما فقده شخصٌ لا يعرف ما الذي يبحث عنه. هناك وعاء من مرطب أمِّها المفضل على منضدة الزينة، العلامة التجارية نفسها التي تستخدمها منذ ثلاثين عامًا. ليست كل الذكريات التي تثيرها بغيضة -لقد عاشت طفولة سعيدة لفترة من الوقت- وتدس كِلْيُو المرطب في جيبها.

تنحني لتنظر تحت السرير، لا أثر لحقيبة سفر أمها الجلدية الوردية القديمة، وكل ما تجده هو بعض عبوات بسكويت الكاسترد المأكول نصفها، ومجلة راديو تايمز، ونعل واحد، وكتابان ورقيان، ولوح من لعبة سكرابل. ليس لديها أي فكرة من أين حصلت أمها على هذه الأشياء. بكل المقاييس، لم تغادر إديث غرفتها قط، ناهيك بدار الرعاية. تفتِّش داخل الخزانة المجاورة للسرير وتتفاجأ بالعثور على بعض الرسائل. الأولى من أحد المحامين، وتسري الرعشة في يدي كِلْيُو بينما تقرأها. نحن لا نعرف دائمًا ما نبحث عنه حتَّى نجده.

في البداية، لم تتمكَّن كِلْيُو من فهم ما تعنيه الكلمات تمامًا.

استنادًا إلى الأدلة التي قدمتِها، سنكون سعداء بمساعدتك في إلغاء التوكيل العام.

تقلب الصفحة وتواصل القراءة.

كما تعلمين، يتبع مكتبنا سياسة «لا مكسب، لا رسوم». كوني مطمئنة، *فنحن واثقون من قدرتنا على استعادة منزلك وطرد أي مستأجرين حاليين.*

تتحقق من تاريخ الخطاب قبل أن تواصل القراءة، وتدرك أنه أُرسِل هذا الأسبوع.

وأتممنا إجراءات تغيير وصيتك حسب التعليمات. نترك لك نسخة في البريد.

تُسقط كِلْيُو الرسالة من بين يديها. هذا شيء فشلت أمُّها في ذكره سابقًا. تفتح الظُرُوف الأخرى التي وجدتها على طاولة السرير، حتى وجدت واحدًا بداخله حزمة سميكة من الأوراق. تشعر بالدوار بمجرد أن تبدأ في قراءتها.

هذا صحيح. لقد غيَّرت أمها وصيَّتها بطريقة ما، وتشعر كِلْيُو بمزيج من الألم والغضب. تقرأ سريعًا بقية الوثيقة حتى تجد الجزء المهم. كان من المفترض أن يُقسَّم كل ما تزال أمها تملكه -القليل ولكن القيِّم من الأسهم والمدخرات- بين شخصين، كِلْيُو واحدة منهما. الآن يوجد اسم واحد فقط في الوصية وهو ليس اسمها.

تُلقي نظرة أخيرة في أرجاء الغرفة رقم 13، لكنها لا تجد شيئًا ذا قيمة أو أهمية باستثناء دفتر ملاحظات غريب الشكل بجوار السرير، كُتب على غلافه الأمامي «قائمة الأشياء التي أندم عليها والأفكار الجيدة». تتعرف كِلْيُو على خط يد أمِّها، وتقلب الغلاف لتفتح الصفحة الأولى.

قائمة الأشياء التي أندم عليها:

1. *ابنتي*

تغلق كِلْيُو دفتر الملاحظات وتضعه في حقيبة يدها مع رسائل المحامي. إن تمكنت من إثبات أنَّ هناك اضطراب ما بعقل أمها -وهو أمر ليس بهذه الصعوبة- فقد تكون هناك طريقة لإبطال الوصية الجديدة. تشعر بالرضا لأنها لم تفوِّت أي أدلة، وأنه لا يوجد شيء في الغرفة يوضِّح أو يلمح إلى مكان أمها الآن، وتغادر الغرفة. تسرع كِلْيُو هابطة الدرج المفروش بالسجاد، لكن كل شيء لا يزال هادئًا بصورة مثيرة للدهشة حين تصل إلى الطابق الأرضي. لقد مرت ساعات منذ اختفاء أمِّها، ومن الواضح أنهم لم يعثروا عليها بعد. الشخص الوحيد في الردهة -المزدحمة على الدوام- امرأة شابَّة في أواخر العشرينيات من عمرها ترتدي ملابس أنيقة. شعرها أشقر يصل طوله إلى كتفيها بخصلات ورديَّة على جانب واحد، وترتدي بدلة نسائية من التويد[1] فوق قميص حرب *النجوم*. تحتاج كِلْيُو إلى التحدث إلى *شخص ما* حول ما حدث، وتخمن أن هذه الفتاة قد تكون مديرة الفترة المسائية. إنها صغيرة جدًّا على الوظيفة، لكن ليس من السهل العثور على موظفين للعمل في مكان مثل هذا.

تسأل كِلْيُو: «عفوًا، هل أنتِ المسؤولة؟».

تبتسم الشابَّة نصف ابتسامة: «نعم، أظنني كذلك».

- هل كنتِ أنتِ مَن اتصلت بي بشأن أمي؟
- لا، لا أعتقد ذلك.

إن الجهد الذي يتطلبه البقاء مهذبًا أمرٌ مرهق -فطالما كان الموظفون هنا غير أكفاء- ولكن كفة الأخلاق الحميدة ترجح في تأدية نتائج أفضل من

---

(1) نوع من الأقمشة الصوفية الشتويَّة الكلاسيكية. (المترجمة)

الأخلاق السيئة، لذلك تكظم كِلْيُو غيظها وتواصل: «حسنًا، هل تعرفين مَن فعل؟».

- لا أستطيع أن أقول إنني أعرف، ولكن...
- أنت تعملين هنا، أليس كذلك؟

تقول الشابة، متحدثةً بالألغاز، بينما تدس خصلة من خصلات شعرها الورديَّة السخيفة خلف أذنيها اللتين تملؤهما الثقوب: «أنا أعمل، ولكني لا أعمل هنا».

تتفحص كِلْيُو بطريقة تتفحص بها كِلْيُو الآخرين عادةً وهذا أمر مثير للأعصاب. تنتظر كِلْيُو منها أن تقول المزيد لكنها لا تفعل. في بعض الأحيان تكون الفجوات بين كلمات الشخص أكثر إثارة للاهتمام من الكلمات نفسها.

تقول كِلْيُو في النهاية: «آسفة، أنا لا أفهم».

تجيب المرأة وكأنَّ ذلك يجب أن يكون تفسيرًا كافيًا: «أنا مفتشة».

يحمر وجه كِلْيُو من الإحراج وشيء آخر، ولكنه سرعان ما يعود إلى طبيعته.

- إذن أنت تعرفين ما حدث لأمي. النزيلة المفقودة. أفترض أن هذا هو سبب وجودك هنا؟

تهز المفتشة رأسها: «لستُ هنا بشأن شخص مفقود، أنا هنا بشأن جريمة قتل».

بيشنس

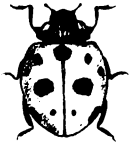

أقطع خطواتٍ أسرع من المعتاد عبر الشارع المرصوف بالحصى في كوفنت جاردن. يبدو كما لو أنني بحاجةٍ إلى ترك أكبر قدر ممكن من المسافة بيني وبين ما أعرف بالفعل أنني سأُتَّهَم به. ولكن هناك شيء آخر أحتاج إلى الاعتناء به أولًا. شخص آخر. إذا تمكنتُ من الالتزام بالخطة حتَّى الغد، فربما يصبح كل شيء على ما يرام. أذهب إلى بقالةٍ صغيرةٍ لشراء بعض اللوازم، ثم أتوجه نحو كنيسة سانت بول.

ليس للاعتراف بشيءٍ أمام الكاهن؛ أحتاج إلى جمع ما أخفيته هناك.

كانت كوفنت جاردن عبارة عن منطقة تلفُّها الحقول منذ مئتي عام مضت. وتحوَّلت تلك الحقول إلى سوقٍ ضخمة للفاكهة والخضروات، والتي تحوَّلت بدورها منذ ذلك الحين إلى متاجر ومبانٍ أصبحت وجهة سياحية قريبة من أفضل مسارح لندن. يوجد عدد قليل جدًّا من الحدائق الفعليَّة في كوفنت

جاردن في الوقت الحاضر، باستثناء واحدة سحريَّة خلف كنيسة سانت بول. إنه مكاني المفضَّل للاختباء عندما يرتفع صخب الحياة.

تُعرف بكنيسة الممثلين، بسبب موقعها على ما أعتقد في قلب أرض مسارح لندن. أعتقد أنه كان بإمكاني أن أصبح ممثلة جيِّدة: حظيتُ بالكثير من الخبرة. يلعب معظم الناس الأدوار التي تفرضها عليهم الحياة دون أن يعرفوا حتى أنَّهم يفعلون.

جميع المقاعد الموجودة في الحديقة السرية الجميلة خارج الكنيسة منحوتة ومنقوشة برسائل ذات معنى. أذكر منها عبارتي المفضَّلة التي تقول: «*عِدني ألَّا تنسَنِي. إن خيِّل إليَّ أنك ستفعل، فلن أغادر أبدًا*»[1]. أعتقد أن هناك نوعين من الناس في العالم: أولئك الذين يتمنون ألا يُنسَوا أبدًا، والآخرون الذين يأملون ألا يلاحظهم أحد من الأساس. يبدو أنني كلاهما، حسب مزاجي.

يبدو الجو أكثر برودة داخل الكنيسة منه في الخارج. يتردد صدى خطواتي على الأرضية الحجرية القديمة، ويلف المكان هدوء غريب يميِّزه. أجد حقيبة السفر الجلدية الوردية القديمة حيث تركتها بالضبط، وتغمرني موجة من الارتياح.

يهز ديكنز ذيله عندما يراني، وتسأل إديث التي تمسك الحقيبة بيدٍ وسلسلة الكلب باليد الأخرى: «هل تذكَّرتِ شراء بسكويت الكاسترد؟».

- نعم، والشاي، وعلبة من الحليب، وزجاجة من نبيذ شاردونيه. أعتذر لأن ذلك استغرق وقتًا طويلًا. كان عليَّ التأكد من أن الطريق آمن بما لا يدع مجالًا للشك لأتمكن من اصطحابك إلى المنزل.

تقول إديث: «أوه، أنا متحمسة جدًّا! لم أشرب كأسًا من النبيذ منذ أشهر *وسأعود* إلى المنزل أخيرًا!».

لا أزعج نفسي بالتصحيح إليها أن المنزل الذي سنذهب إليه هذا هو منزلي. لا تزال ترتدي معطفي فوق ملابسها، وهذا ليس تنكرًا كافيًا.

أُخبر ديكنز ويهز ذيله مرة أخرى: «أحضرتُ لك وجبةً أيضًا».

---

(1) العبارة للكاتب الإنجليزي الشهير آلان ألكسندر ميلن الذي اشتهر بكتبه حول الدب «ويني ذا بوه» (Winnie the Pooh). (المترجمة)

لقد كان يراقب أوعية طعام القطط في الكنيسة، والتي تُركت هنا للكلاب الضالة الجائعة. لطالما استغربتُ اهتمام بعض الناس بالحيوانات المشرَّدة أكثر من اهتمامهم بالبشر المشرَّدين.

تبتسم إديث: «شكرًا لك على مساعدتي على الهرب، أيتها الدعسوقة».

أجيب: «على الرحب والسعة (ليس الأمر كما لو كان لدي الكثير من الخيارات) آمل فقط ألا نقع في الكثير من المتاعب».

- لن تجد المتاعب طريقها إليك، ما لم تبحثي عنها. توقفي عن القلق. كل شيء سيصبح على ما يرام في النهاية. وإن لم يصبح، فهذه ليست النهاية بعد.

فرانكي

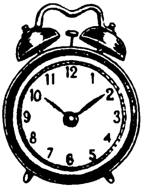

هناك دخيلٌ في منزل فرانكي؛ لم تتخيَّل صوت مفاتيح البيانو، لكن الرعب الساحق الذي شعرت به قبل قليل حلَّ محله اهتياج شديد. لا تحب فرانكي القطط. خاصَّةً السوداء التي تدخل قاربها دون دعوة، وتسمح لنفسها باقتحام غرفة نوم ابنتها، والقفز فوق البيانو. ناهيك بكونها تجلب الحظ السيء، وهو شيء لديها منه ما يكفي.

تقول، وهي تلتقط المخلوق، وتمسك به على مسافة ذراع، وتحمله إلى الخارج: «هذا القارب يُسَّمى *ذا* بلا شيب وليس *ذا* بلاك *كات*». يحدِّق إليها القط بعينين خضراوين كبيرتين حين تضعه على ضفة النهر، ثم يهرب ويختفي في الظلال.

يستغرق الأمر بعض الوقت لتنظيف غرفة نوم ابنتها. تكنس فرانكي وتنفض وتلمِّع باستخدام مستر شين حتى تقتنع بعدم وجود أي آثار للضيف غير المدعو. تريد أن تبقى الغرفة كما كانت *تمامًا* -يعمُّها القليل من الفوضى،

ولكنها نظيفة تمامًا- تحسبًّا فقط لعودتها في أي وقت. تُصدَم حين تتفحص ساعتها الميكي ماوس وترى كم تأخر الوقت. هذه الساعة واحدة من الأشياء التي لا تزال تمتلكها فرانكي منذ طفولتها -كانت ساعة أمها- وتتساءل ما إذا كان الوقت قد حان للحصول على ساعة جديدة، والتوقف عن التمسك بالماضي الذي لا تستطيع تغييره.

لقد عزمت فرانكي على خلق طفولة أفضل لابنتها، وحاولت التأكد من أن ابنتها الصغيرة تعرف أنها محبوبة، وشيَّدت لها بيتًا تشعر فيه دائمًا بالأمان والترحيب. كانت تدرس في المنزل وأبقت فرانكي عينيها مفتوحتين على الأشخاص الذين تقضي وقتًا معهم. فهما تتنقلان كثيرًا، لكن ابنتها جيدة في تكوين صداقات جديدة لتحل محل الأصدقاء القدامى. كان نهر التايمز موطنًا لهما في أغلب الأحيان، لكنهما أمضيتا وقتًا في العيش على قناة جراند يونيون وقناة ريجنت أيضًا. عرفت فرانكي أن مغادرة مكان ما تجعل ابنتها تشعر بالحزن أحيانًا، ولكن كان من المهم ألا تقنع أو تغرم بموقع واحد، في حالة الحاجة إلى الانتقال مرة أخرى. لم تضطرا إلى الهرب لسنوات حتى فعلت ابنتها ذلك. الآن أصبحت فرانكي أكثر حرصًا مما كانت عليه حتَّى من قبل.

لا يكاد هناك أي أغراض شخصية تخص فرانكي على القارب، فقط أشياء صغيرة يمكن أن تأخذها بسهولة إن اضطرت إلى المغادرة على عجل. مثل ألبوم صور ثمين يحتوي على صور لابنتها وهي تكبر. لا توجد رسائل ولا فواتير ولا أوراق. تتحقق فرانكي جيدًا من أن الباب الأمامي مقفل، ثم تطفئ جميع الأضواء، قبل أن تتوجه إلى غرفة نومها في الطرف الآخر من القارب. تستلقي على السرير في الظلام وتسترجع آخر مرة رأت فيها ابنتها الصغيرة، تكرر ما جرى بينهما من حديثٍ، تمامًا كما تفعل دائمًا قبل أن تذهب إلى النوم.

- لقد وعدتِني أن تخبرينني من هو أبي عندما أبلغ الثامنة عشرة.

همست فرانكي حينها، *والآن*: «لا أستطيع».

لذلك غادرت ابنتها، لتحاول العثور عليه بنفسها.

كانت قصة لن تنتهي بنهاية سعيدة أبدًا.

فعلت فرانكي ما فعلته لحماية ابنتها من الحقيقة. لم يكن لديها خيار، ولكن ذلك كلفها كل شيء. إن أسوأ أجزاء تاريخنا لديها عادة سيئة تتمثل في تكرار نفسها. واليوم، على الرغم من كل تخطيطاتها، سار كل شيءٍ على نحو خاطئ.

ربما لأن فرانكي كانت منزعجة للغاية قبل موعدها في المنزل الوردي.

كيف كان من المفترض أن تعرف أن دخول دار الرعاية لزيارة شخصٍ ما، زيارة سريعة، سينتهي بالطريقة التي انتهى بها؟

كِلْيُو

تقول كِلْيُو: «جريمة قتل؟».

تجيب المحققة: «نعم. أخشى أنك وُرِّطت بوجودك الآن في مسرح الجريمة، لذا سأحتاج إلى العثور على أحدٍ لإجراء مقابلة معك...».

- مَن؟

- مفتشٌ مساعد. علينا أن نجري مقابلات مع الجميع في...

- لا، أقصد مَن الذي قُتل؟

- لا أستطيع حقًّا الإفصاح عن ذلك قبل أن نتحدث إلى أقرب أقارب الضحيَّة.

- لكنِّي تلقيتُ مكالمةً هاتفيةً في وقت سابق بخصوص أمي. قالوا إنها مفقودة...

- إنها ليست أمك.

- كيف تعرفين؟

تشعر كِلْيُو أنَّ المفتشة تراقب ردود أفعالها وأنَّ التجربة مربكة. تشعر بالارتياح حين يقاطعهما بعض ضباط الشرطة ويبدؤون في تطويق دار الرعاية بالشرائط. تطلق المفتشة صراح خصلة من خصلات شعرها الوردية التي سبق ودستها خلف أذنها المُزيَّنة بالثقوب، ثم تطوي ذراعيها النحيلتين أمام صدرها المسطح. غالبًا ما يفعل العملاء شيئًا مشابهًا، فهي علامة كلاسيكية للقلق، وطريقة لإنشاء حاجز مادي عندما تتعرض لردٍّ مفحم. من الواضح أن الشابة في موقفٍ يتجاوز قدراتها.

تقول: «لقد توفيت جدتي الحبيبة في مكان *كهذا*. وقبل أن يحين أوان رحيلها، إن سألتِني».

يبدو ما تقوله غريبًا ولم تكن كِلْيُو لتسألها. تجعد أنفها من دون قصد وتقول: «لم أتعرَّف إلى اسمك».

تقول المفتشة وهي تمد يدها: «أستمحيكِ عذرًا، هذا خطأي. فأنا لم أقدم نفسي. شارلوت تشابمان، كبيرة مفتشي المباحث».

تلاحظ كِلْيُو أن أظافرها مطلية بألوان مختلفة، ولا يمكنها منع نفسها عن التفكير في أن المرأة صغيرة جدًّا، وترتدي ملابس غير مناسبة، لا تليق بأن تكون محققة أو مفتشة.

تسألها تشابمان: «ما الذي يجعل *برأيكِ* أحدًا يقتل مديرة دار الرعاية؟ رأيك *المهني*؟».

تُصدَم كِلْيُو: «ظننتك بحاجة إلى إبلاغ أقرب الأقارب».

- أنا بحاجة إلى ذلك.

- إذن لماذا...

- أنتِ طبيبة نفسيَّة، أليس كذلك؟

تُجعِّد كِلْيُو أنفها مرة أخرى: «أنا معالجة نفسيَّة. كيف تعرفين مَن أكون؟».

- إنها وظيفتي أن أعرف من هم الناس، وماذا يفعلون، وما هم قادرون على فعله. لدي انطباع بأن مديرة دار الرعاية لم تكن امرأة محبوبة.

تهز كِلْيُو كتفيها: «لا أعرف».

تخرج المفتِّشة دفتر ملاحظات، وتلعق إصبعها، وتقلب صفحات قليلة. إنها لا تبدو قلقة على الإطلاق أو في موقفٍ يتجاوز قدراتها الآن.

- لا تؤاخذينني: أنتِ كِلْيُو كينيدي، أليس كذلك؟ الفستان الأحمر والحذاء الرياضي الأحمر المطابق جعلني أعتقد أنه أنتِ. (تقطِّب كِلْيُو جبينها) لقد شوهدتِ وسُمعتِ تتجادلين مع مديرة دار الرعاية في وقت سابق اليوم. هددتكِ جوي بونيتا بطرد أمك من الدار لأنك لم تعودي قادرة على تحمل الرسوم. هل هذا صحيح؟

تسأل كِلْيُو: «شُوهدت بعيني مَن؟».

لكنها تتذكر بعد ذلك الرجل العجوز الفظ الذي كان يتسكع خارج باب مكتب جوي حينها.

- سؤال مثير للاهتمام، ولكن ليس السؤال الصحيح. هل تصعدين الدَّرج دائمًا هنا، على الرغم من أن غرفة أمك في الطابق العلوي؟

تشعر كِلْيُو باحمرار خديها: «الرياضة ليست جريمة، أليس كذلك؟».

- يعتمد على مَن تسألين. ومن ناحية أخرى، فإن القتل جريمة بالتأكيد. يبدو غريبًا بعض الشيء بالنسبة لي أنك لم تستقلي المصعد الكهربائي.

- يبدو غريبًا بعض الشيء بالنسبة لي أنك تضيعين وقتي بدلًا من القيام بعملك.

تبتسم المفتشة نصف ابتسامة مرة أخرى: «هدَّدتِ مديرة دار الرعاية في وقتٍ سابقِ اليوم، وسُمعتِ تقولين... (تفحص ملاحظاتها مرة أخرى) دعينا نرى، «سأُنهي حياتك إن حدث أيُّ شيءٍ لأمي». هل يذِّكرك هذا بشيءٍ ما؟ فأمك الآن مفقودة وجوي ماتت. إنها ليست قضية القتل الأولى لي، لكنها المرة الأولى التي أصل فيها إلى مكان الحادث وأجد امرأة ميتة في المصعد الكهربائي وهناك علامة حول رقبتها. من فعل هذا أراد أن يعرف العالم أنَّ جوي، مثل المصعد، كانت خارج نطاق الخدمة».

تسألها كِلْيُو: «هل يجب أن تخبريني بكل هذا حقًّا؟».

- فقط إن أردتُ رؤية رد فعلك على ما أقوله. هل تعلمين أن شخصًا آخر زار دار الرعاية متظاهرًا بأنه أنتِ بعد ظهر هذا اليوم ووقَّع في دفتر الزُوَّار باسمك؟ (تُحدِّق كِلْيُو إليها لكنها لا تجيب) إنه أمر مثير للريبة أن يُعثَر عليك في مسرح الجريمة تختلسين النظرات حول المكان.

- أنا لا أختلس النظرات. فكما قلتِ أنتِ، أمي مفقودة.

- حسنًا، هذا شيء يمكننا الاتفاق عليه على الأقل. ومع ذلك، أنتِ هنا، في المكان الوحيد الذي ليست فيه. من السابِق لأَوانه الحُكم على شيءٍ الآن بالطبع، لكن بالطريقة التي أرى بها هذه القضية في الوقت الحالي، هناك ثلاثة مشتبه بهم، وجريمتا قتل، وضحية واحدة. أنتِ، كِلْيُو كينيدي، المشتبه به الأوَّل حاليًّا.

بيشنس

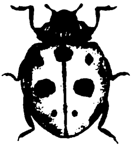

تقول إديث بينما أرشدها نحو الزقاق المظلم بجانب المعرض الفني: «هذا ليس *المنزل*».

أجيب: «ليس هو، لكنه مكان ما أعتقد أننا سنكون آمنين به هذه الليلة. هذا هو المكان الذي كان يعيش فيه ديكنز معي خلال الأشهر القليلة الماضية».

تبدو إديث غير متأثرة. إنها لا تبدو على طبيعتها على الإطلاق وهي ترتدي معطفي، وهناك حدَّة في صوتها لم أشهدها من قبل.

تسأل: «يبدو هذا الشارع مألوفًا، أين نحن؟».

- كوفنت جاردن.

تنفجر قائلة: «أعلم ذلك (على الرغم من أنني لست مقتنعة بأنها تعلم) لقد تقلص عالمنا الصغير إلى مدينة صغيرة. (لست متأكدة مما تقصده، لكنها

بعد ذلك تلين إلى النسخة التي أعرفها من إديث) حسنًا، إذا كان هذا هو ما تعتقدين أنه الأفضل، فأنا أثق بك.

أتمنى لو لم تثق بي.

يندفع ديكنز إلى الأمام، متسلقًا الدَّرج المألوف المكون من مئة وثلاث وعشرين درجة. يجب أن تقطعها إديث ببطء أكثر، لذلك نتوقف لعدة فترات راحة على طول المسافة. تستخدم الدرابزين لتعين نفسها، عازمة على الوصول إلى القمة. آخذ جميع حقائبها تقريبًا بالإضافة إلى حقيبة السفر القديمة، وأمسك بيدها الأخرى حتَّى لا تنقلب وتطيح أرضًا.

أقول: «لقد وصلنا تقريبًا».

تجيب لاهثة بينما أفتح قفل باب العليَّة: «آمل ذلك».

تشهق إديث وهي تخطو إلى الداخل، وتقول وهي تحدق إلى كل قصاصات الورق التي تغطي كل بوصة من الجدران: «يا إلهي، يبدو وكأنني داخل معرض فني، معرض رائع. أيتها الدعسوقة، يجب أن تكوني فخورة جدًّا بنفسك. أنتِ فنانة حقًّا».

أشعر بنفسي بينما أحمَرُّ خجلًا. يبدو غريبًا أن أسمح لشخص ما برؤية عملي قبل أن أكون مستعدة لمشاركته مع الآخرين. من الصعب أن أصف الشعور الذي ينتابني عندما يقول شخص ما إنه معجب بما ابتكرته، وأنه لا يوجد شيء مثله تمامًا. في بعض الأحيان، يبدو كالسحر، حيث تصنع شيئًا من لا شيء باستخدام بعض الورق وسكين فقط. أعتقد أننا جميعًا نبدأ كلوحات فارغة قبل أن يرسمنا العالم بأفكار ومشاعر نتظاهر بأنها ملكنا. وأنا أحب ذلك. فهذا يعني أننا قادرون على التغيير. كل قطعة فنيَّة هي نتاج حبٍّ وكراهيةٍ وألمٍ وفرحٍ، وهناك قطعة صغيرة مني في كل واحدةٍ منها. لم أوقع باسمي قط، لكن منذ أن بدأت إديث تناديني دعسوقة، أصبحت أرسم واحدة في الزاوية السفلية من كل ورقة. فقط لأميِّز أنها لي.

يتجه ديكنز مباشرة نحو سريره الصغير، ويدور في دائرة ثلاث مرات، ثم يستلقي ويغلق عينيه. يسعدني أنه يعرف كيف يأخذ حريته في بيت شخص آخر وكأنَّه بيتُهُ، وآمل أن تفعل إديث الشيء نفسه.

أقول لها: «يمكنك تبديل ملابسك الآن وارتداء ما كنت ترتدينه قبل المجيء إلى هنا إن أردتِ؟».

- أعتقد أن هذه فكرة جيدة. أبدو سفَّاحة أو شخصًا اختار أن يكون عاطلًا عن العمل، ويرتدي هذا الشيء، دون أي إهانة. لم أحب *هذا النوع* من المعاطف قط، ولكني أعترف أنها مريحة إلى حد ما. هل يمكنني الحصول على القليل من الخصوصية في أثناء التبديل يا عزيزتي؟

أقول: «بالطبع».

وتختفي إديث وحقيبة سفرها القديمة داخل الحمام. تعاود الظهور بعد وقت قصير وهي ترتدي فستانًا منقطًا وسترة صوفية قطنية. تضحك عندما ترى أنني أحتفظ بالحليب بالخارج على حافة النافذة.

أسألها: «أتريدين كوبًا من الشاي؟».

- لماذا بحق السماء نشرب الشاي حين يكون لدينا النبيذ؟

أضحك أيضًا، ويبدو صوت ضحكتي غريبًا وغير مألوف. أساعدها على إدخال الحقيبة تحت السرير -فلا يوجد مكان آخر لوضعها فيه- ثم أركز على فتح زجاجة الشاردونيه. وأشعر بخيبة الأمل.

أقول: «ليس لدي أي كؤوس للنبيذ».

- لا بدَّ أنَّ لديك شيئًا يمكننا استخدامه.

يبدو من غير المريح الاحتفال بعدما حدث سابقًا، لكنني أسكب بعض النبيذ لإديث في قدح ماء، وأشرب نصيبي من كوبي الخاص. فعل ذلك يذكرني بأمي.

تسأل إديث: «هل تعتقدين أننا سنفلت بفعلتنا؟».

أشرق فجأة: «أيُّ فَعلة؟».

تضحك: «الهرب!».

- أوه، سيخبرنا الزمن.

- آمل ألَّا يحدث هذا، ولكني أعتقد أنه قد يُكتشف أمرنا. فالزمن لا يمكنه سوى الاحتفاظ بأسرارنا لفترة طويلة.

يباغتني صوت الخطوات التي تصعد على الدرج، كما يحدث دائمًا. تفزع إديث بقدر خوفي حينما ترى تعابير وجهي. أحاول الحفاظ على هدوئي – كما لو أنه لا يوجد ما يدعو للقلق– ثم أضع إصبعي على شفتي وتومئ برأسها متفهمة. أطفئ الأضواء التي يمكن رؤيتها من أسفل الباب ونجلس في الظلام في صمت. يسلط ضوء القمر المنبعث من النافذة ضوءًا طبيعيًّا على الباب، ويضيء ضوء الليل وجوهنا القلقة بنجوم متحركة.

يقرع شخص ما الباب مرة واحدة. ثم مرة أخرى.

يمكننا رؤية ظله تحت الباب.

يقول صوت الرجل: «مرحبًا؟ هل هناك أحد بالداخل؟ (لا أجيب) لقد أحضرتُ إليكِ بيتزا بيبروني كبيرة، وبعض الخبز بالثوم، وكعكتين بالشوكولاتة. العنوان المذكور أمامي يشير إلى ساكنٍ في هذه العليَّة فوق المعرض الفني. هل من أحدٍ هنا؟».

أقول بينما أفتح الباب بفرجة صغيرة تكفي فقط لأستلم البيتزا التي نسيت أنني طلبتها: «نعم، نحن هنا».

مكتبة ياسمين

t.me/yasmeenbook

كِلْيُو

تقول كِلْيُو للمفتشة: «سأغادر الآن. لقد أضعتِ وقتي بما يكفي ولديَّ أشياء أهم لإنجازها».

تجيب تشابمان: «مثل البحث عن أمك؟ أتفق تمامًا. لا تقلقي، نحن نعرف أين تعيشين إن احتجنا إلى التحدث معك مرة أخرى».

كل شيء يتعلق بها -شعرها الأشقر بخصلاته الورديَّة، وهيئتها التي تشبه في نحافتها وطولها حشرةً عصويَّة، وسلوكها، وعمرها، وبشرتها الجميلة الخالية من التجاعيد- يُثير أعصاب كِلْيُو حتَّى النخاع.

تسألها كِلْيُو، وهي لا تريد حقًّا معرفة الإجابة: «هل هناك سبب لكونك وقحة لهذه الدرجة معي؟».

- ربما، أنتِ أدرى. أليس كل شيء مرتبطًا بقضايا الأم هذه الأيام؟ من فضلك لا تأخذي الأمر على محمل شخصي، فقد سبق وقيل لي إنني وقحة مع الجميع.

تستدير المحققة وتغادر الغرفة قبل أن تتاح لِكِلْيُو فرصة للرد.

يرافق ضابط شرطة كِلْيُو ويرشدها نحو المخرج الخلفي من الدار، بعيدًا عن المدخل الرئيسي الذي أصبح الآن أشبه بخلية نحل. تختلس النظر من فوق كتفها وترى الردهة مكتظةً بأشخاص يرتدون بَدَلات الطب الشرعي. حالما تغادر المبنى، تقطع الشارع بطوله مشيًا حتى تصبح بعيدة بما يكفي عن دار الرعاية ونطاق التفتيش وسيارات الشرطة والمحققة تشابمان، بحيث لا يمكن رؤيتها، ثمَّ تأخذ نفسًا عميقًا وتحاول تهدئة نفسها. نجحت في الحفاظ على تماسكها حتى هذه اللحظة -إنه لأمر مدهش ما تستطيع أجسادنا فعله حين يتعلق الأمر بحفظ الذات- لكن الآن الرعشة تسري في جميع أوصالها. تشعر بارتجاف ساقيها لدرجة تعوقها عن السير عليهما، كما لو أنها ستسقط إن حاولت ذلك، لذا تتكئ على الحائط لتستعيد توازنها. إذا علم الناس أنها خضعت للاستجواب من قبل الشرطة بشأن جريمة *قتل*، فلا تعتقد أنها ستتمكن من جعلهم ينسون هذه الفضيحة أو يغفرون لها. يمكن أن تخسر كل ما عملت جاهدة للحفاظ عليه. لم تدَّخن كِلْيُو منذ أكثر من عشرين عامًا، لكنها تكاد تقتل نفسها من أجل سيجارة الآن. تكاد *تقتله* أيضًا. لقد سئمت من كونها دائمًا الطرف الذي يتعامل مع الأشياء ويكتشف كل شيء بنفسه، لذا تحاول الاتصال به مرة أخرى. يبدو أن هاتفه مغلق بشكل دائم، وتتساءل ما هي الأكاذيب التي سيقولها هذه المرة: العمل حتَّى وقتٍ متأخر، تناول العشاء مع عميل، نسيان شاحن الهاتف. أو ربما يفاجئها بعذرٍ جديدٍ. وبمعرفتها له طوال هذه السنوات سيكون أمرًا مثيرًا للريبة إن أجاب. وكما هو متوقع، لا يجيب، لذلك ليس أمامها خيار سوى إيقاف سيارة أجرة والعودة إلى المنزل.

حالما تصل إلى المنزل الوردي، تقفل الأبواب، ثم تسحب جميع الستائر. وبعد ذلك تطفئ الأضواء وتتجه نحو السرير. تتحقق لمعرفة ما إذا كانت هناك أي رسائل بريد إلكتروني من العملاء الذين يرغبون في حجز الجلسات.

لا توجد. وبدلًا من رسائل العملاء، تجد صندوقها الوارد وقد امتلأ بالرسائل المتعلقة بعيد الأم. يجعلها هذا ترغب في إلغاء اشتراكها من كل شركة أرسلت واحدة وتحذفها جميعها. في بعض الأحيان تتمنى أن تتمكن من إلغاء الاشتراك في حياتها والاشتراك في حياة جديدة. تحاول النوم، وعندما لا تستطيع تحاول التأمل، لكن صوت أفكارها حول أمها وما حدث اليوم صاخب للغاية.

تستعيد كِلْيُو أحداث اليوم مرارًا وتكرارًا، وتحاول تخيُّل نتيجة مختلفة، مدركةً أن شكوكها الخاصَّة تكشف عن مشاعرها الحقيقية. لا يتساءل الناس ما إذا كانوا فعلوا الشيء الصحيح إلا عندما يتسلل الخوف إلى قلوبهم خشية أن يكون ما فعلوه خطأً.

كيف وصلت الأمور إلى هذه المرحلة؟ تومض الذكريات في ذهنها كلقطات خاطفة. معظم الذكريات التي تطاردها بقوَّة هي ذكريات طفولتها المبكرة، عندما لم يكن في المشهد سواهما فقط: هي وأمها. وأسوأها من بضعة عقود مضت. لم تبدُ المرأة الصغيرة والضعيفة والمسنة التي رأتها في دار الرعاية اليوم، تشبه إديث التي تسكن ذكرياتها في شيء. أفكارها حول أمها تجعلها تشعر بمزيج من الغضب والألم والشعور بالذنب، تمامًا كما هو الحال دائمًا، لكنها لديها أشياء أخرى تقلق بشأنها. مثل عدم مقدرتها على تسديد الرهن العقاري هذا الشهر. تبدو الحياة عازمة على استبدال مشكلة بأخرى؛ هناك دائمًا شيء تقلق بشأنه.

ستتصل بالبنك في الصباح لترى ما إذا كان بإمكانهم الانتظار لفترة أطول قليلًا.

ثم ستتصل بالمحامي الذي ساعد في تغيير وصية أمها.

لا تعرف كِلْيُو كيف تحل مشكلة المفتشة تشابمان.

تتصل به مرة أخرى، غير مبالية بتأخر الوقت. مع كل جرسٍ لا يُرَّد عليه، ينفد جزء صغير آخر من صبرها المُتَضَائِل. لا تترك كِلْيُو رسالة. تحدق إلى سقف الغرفة المظلمة، وبداخلها توق شديد إلى النوم، ولكنها غير قادرة على إيقاف أفكارها. تتساءل ماذا ستقول لنفسها لو كانت أحد عملائها.

متى بدأت المشاكل في علاقتك بأمك؟

هذا هو السؤال الذي ستطرحه، ولكن من الصعب الإجابة عنه. من الصعب تحديد اللحظة التي انهارت فيها علاقتها بأمها، فقد كان هناك الكثير منها. في واحدة من تلك اللحظات أعلنت كِلْيُو أنها لا تريد أن تصبح كاثوليكية بعد الآن. توقفت عن الإيمان بالله في الوقت نفسه تقريبًا الذي توقفت فيه عن الإيمان بسانتا كلوز، وقاطعتها أمها -الحريصة على ارتياد الكنائس- ولم تتحدث معها لأسابيع. ما الذي من المفترض أن يفعله الطفل عندما لا يؤمن بالأشياء نفسها التي يؤمن بها والداه؟ وهناك لحظة أخرى كانت في فترة مراهقتها، عندما هربت كِلْيُو ولم تغفر لها أمها قط ما حدث حينها. ثم أتت لحظة عيد الأم الفظيع ذاك الذي دمر ما تبقى من علاقتهما. لا عجب أنهما أصبحتا غريبتين تصادف فقط وجود صلة قرابة بينهما.

تمرر خلال قائمة كلمات في ذهنها قبل العثور على الكلمة الصحيحة.

(Estranged): هذه هي الكلمة التي يستخدمها الناس في الوقت الحاضر.

تبحث كليو عن معنى الكلمة على هاتفها، غير متأكدة من السبب، كما لو أنَّ معنى الكلمة قد يفسر سبب ما حدث بينهما:

(Estranged): لم تعد قريبًا من أحد أو ودودًا معه؛ منسلخ عنه، أو نافر منه.

يُوفِّر أصل الكلمة علينا القليل من البحث: فهي مأخوذة من الكلمة الفرنسية القديمة **(Estrange)** أي: غريب، والتي تجعلنا نرجع لنقتفي أثر أصلها اللاتيني المأخوذ من كلمتي **(Extraneare)**: بمعنى أن تعامل أحدًا كغريب، و**(Extraneous)**: بمعنى دخيل، غريب، أو لا ينتمي إلى العائلة.

كان لديها عائلة؛ لقد صنعت عائلتها الخاصة عندما رفضتها العائلة التي وُلدت فيها. اعتادت العيش مع أشخاص تحبهم ويحبونها، ولكن ليس بعد

الآن. تُلقي نظرة سريعة حول غرفة النوم الجميلة وتفخر بالمدى الذي وصلت إليه منذ قدومها من الكوخ الصغير الفظيع الذي نشأت فيه. المنزل الوردي هو حقًّا آية من الجمال، ربما يكون كبيرًا قليلًا بالنسبة إلى شخص يعيش بمفرده، لكن كِلْيُو ليست وحيدة حقًّا، فذنبها وحزنها يرافقانها دومًا، كنزيلين غير مرَّحب بهما. لقد أرادت أن تشمل حياتها أكثر من هذا، أو ربما، ما أرادته حقًّا كان أقل. عجيبة النسخ التي نظهرها للعالم من أنفسنا والأخرى التي نتركها في المنزل. لقد كانت كِلْيُو نسخًا مختلفة جدًّا، للعديد من الأشخاص المختلفين، لدرجة أنها تكافح أحيانًا لتتذكر كيف تصبح على طبيعتها. والأمر الأكثر حزنًا الآن هو أن كل هؤلاء الأشخاص، الذين كانت تحاول إرضاءهم، رحلوا.

الحقيقة، التي غالبًا ما تكون مؤلمة أكثر من الكذبة، هي أنَّ أمها لم تحبها. لم ترغب بها. لم ترد أن تعرفها. التخلي عن الطفل لا يعني دائمًا تركه. لا يزال الرفض ثقيلًا حتى بعد كل هذه السنوات، لكنها أصبحت أقوى مع تقدمها في السن، قوية بما يكفي لتتجاوزه.

لم تحبها أمها لأنها لم تصبح الابنة التي أرادتها أن تكون.

تلك هي الحقيقة.

تمسك هاتفها وتتصل مرة أخرى، لكن هذه المرة تترك رسالة.

«يجب أن نتحدث. لم تسر الأمور وفقًا للخطة تمامًا. إن كان هذا سيجعلني ألاقي نهاية سيئة، فيجب أن تعلم أنك ستلاقيها أيضًا».

بيشنس

أسكب ما تبقى من النبيذ في قدح إديث وفي كوبي. لم أكن أعتقد أنني أستطيع أن آكل شيئًا بعد ما حدث في وقتٍ سابق، لكنني تمكنت من التهام نصف البيتزا.

أسأل إديث بينما أمد إليها الصندوق: «هل يمكنني إقناعك بتناول الشريحة الأخيرة؟ (يتشمم ديكنز ويهز ذيله) ليس *أنتَ*».

- لا، شكرًا لكِ أيتها الدعسوقة. شعرتُ بلذة حقيقية مع ذلك، فلم أتناول وجبة جاهزة منذ سنوات!

- هل أنتِ متأكدة من أنه لا بأس أن تشربي كأسًا آخر؟

- إلا إن كنت تتوقعين مني أن أقود سيارة إلى مكان ما أو أدير ماكينات ثقيلة. لقد عملت في موقع بناء ذات مرة.

أبتسم: «ليس هناك ماكينات ثقيلة، ليست الليلة على أي حال. هل *استمتعتِ* بكل الوظائف التي شغلتِها؟».

- عزيزتي، معظم الناس يعملون لكسب المال، بهذه البساطة. لم أستمتع حقًّا بالعمل في متجرٍ، تمامًا كما أعتقد أنك لا تستمتعين بالعمل في دار رعاية المسنين. لقد كانت وظيفتي القبض على الأشخاص اليائسين الذين يحاولون محاولات يائسة لسرقة الأشياء، وشعرت بالأسف عليهم جميعًا. مررتُ بأوقاتٍ كثيرة تمنيتُ فيها لو أنني لم أرَ ما رأيتُ، أو فعلت ما فعلتُ. لكنني كنت يائسة أنا الأخرى، وبحاجةٍ إلى وظيفةٍ، وهذه كل ما أمكنني الحصول عليه بعد ولادة ابنتي. أتمنى أحيانًا لو أنني مفتشة حقيقية، فطالما كنت جيدة في حل الألغاز. أظننا جميعًا مفتشون في قصة حياتنا. كلنا نبحث عن أدلة حول سبب وجودنا هنا، ونجمع شظايا وجودنا ونرتب أجزاءها معًا، ونحاول حل معضلة ماذا وكيف ومَن نكون مقارنة بمن يجب أن نكونهم.

أفكِّر في كلماتها لفترة من الوقت. بدت الأمسية أكثر متعة بكثير مما توقعت. سمعت الكثير من قصص إديث من قبل -فهي تميل إلى تكرارها أحيانًا- ولكن هناك الكثير من الحكايات التي لم أكن أعرفها. لقد عاشت إديث حياة مثيرة للاهتمام مقارنة بحياتي. شغلت جميع أنواع الوظائف قبل أن تصبح أمًّا ومفتشة متجر. كانت ساعية بريد، ومرشدة مسرح، وقادت ذات مرة شاحنة آيس كريم، وعملت مضيفة جوية لسنوات قبل ولادة ابنتها. يبدو أن هذه كانت وظيفتها المفضلة من بينها جميعًا.

تخبرني: «إحدى مغامراتي في الخارج أسفرت عن كِلْيُو. أحببتُ أباها. استمتعنا بمواعيد سريَّة، وتجولنا في باريس، وفينيسيا، وروما... كنت أتمنى أن نتزوج. ولسوء الحظ اتضح أنه متزوج بالفعل من امرأة أخرى، وهو ما لم أكن أعرفه إلا بعدما حملت».

كانت أمًّا عزباء، تمامًا مثل أمي. لكنني أتصور أن الأمر كان أكثر صعوبة قبل خمسين عامًا. لم أغادر إنجلترا مطلقًا، لكن إديث سافرت بعيدًا والتقت العديد من الأشخاص المثيرين للاهتمام. يبدو من الظلم أن تعيش وحيدة في النهاية. ربما كانت كذلك دائمًا. ربما نحن جميعًا كذلك.

يرن هاتفي فوق الطاولة المجاورة للسرير، ولكني أختار تجاهله.

تحدق إديث إلى هاتفي، ثم إليَّ: «أعلم أنني مُسِّنة وبعيدة عن التواصل بعض الشيء، ولكن أليس من المعتاد الرد على هذه الأشياء عندما تحدث ضجة؟».

- ليس إذا كان شخصًا لا تريدين التحدث إليه.

أرفع الهاتف، وأقرأ مطلع رسالة أخرى من السيد كينيدي، ثم أضعه على الطاولة مرة أخرى.

تقول إديث: «مأزق مع رجل؟».

- ها! شيء مثل هذا (في بعض الأحيان يمكن للكذب أن ينقذ صاحبه، وليس فقط يؤذيه) هل يمكنني أن أسألك عن شيء؟

تأخذ إديث رشفةً أخرى من الشاردونيه: «يمكنك أن تسأليني عن أي شيء، وهذا لا يعني أنني يجب أن أجيب».

- لا بأس إن كنتِ لا تريدين ذلك. ربما لأنه عيد الأم وأنا أفتقد أمي، لكنني كنت أتساءل عمَّا حدث بينك وبين ابنتك. أعلم أنها وضعتك في دار رعاية، وأعلم أنها أخذت ديكنز منك -وهو أمر لا يغتفر- لكن من الواضح أنها تهتم بك. لقد كانت هناك من أجلك اليوم... (تشيح إديث ببصرها، أعلم أنها لا تريد التحدث عن هذا، ولكن هناك أشياء أعتقد أنني بحاجة إلى معرفتها) كيف وصلت الأمور إلى هذا الحد... الفظيع بينكما؟

تتنهد إديث وتضع كأسها: «نحن لسنا مجموع أطفالنا، إنهم معادلة مستحيلة يجب أن نتعلم كيف نحبها بدلًا من محاولة حلها. لكن الحب ليس كافيًا دائمًا. (أُقطِّب جبيني) ستفهمين يومًا ما عندما يصبح لديك أطفال. كنت صغيرة عندما أنجبت ابنتي ووحيدة جدًّا. نشأتُ في قريةٍ ساحليَّةٍ صغيرةٍ في اسكتلندا، ولم يكن هناك ترحيب بالفتيات غير المتزوجات اللاتي يحملن. وبدلًا من إحراج أمي –التي كانت تهتم كثيرًا بما يعتقده الآخرون لدرجة أنها نسيت أن يكون لها أي رأي خاص– انتقلتُ إلى لندن. كان ذلك أفضل وأسوأ شيء أفعله في هذه الظروف، لكنه يعني أنني لن أحظى بأي دعم: لا عائلة،

وسرعان ما اختفى الأشخاص الذين كنت أعتقد أنهم أصدقائي بمجرد أن فقدتُ مرحي المعتاد. عملت وادخرت المال حتَّى اليوم الذي سبق ولادة كِلْيُو. ثم بذلت جهدًا أكبر لتوفير سقفٍ فوق رأسينا وطعامٍ على المائدة. لم يكن ما فعلتُه مثاليًّا، لكنني بذلت قصارى جهدي».

- هل أحببتِها؟

- بالطبع. ما زلت أحبها. تبدين مندهشة بسماع ذلك. هناك أنواع لا حصر لها من الحب. لقد ارتكبنا أخطاءً على مر السنين، ولكن هذا لا يعني أنني لم أعد أهتم بها. إنها وحيدة، ولكن باختيارها. أعترف أنني طالما استغربتُ اختيارها لمهنةٍ تتضمن مساعدة الآخرين في حين أنها لم تكن قادرة على مساعدة نفسها قط. (تهزُّ رأسها بامتعاض) إنني كبرتُ كثيرًا وتعبت كثيرًا من إلقائها عليَّ اللوم بسبب أشياء حدثت منذ وقت طويل. ابنتي هي الشريرة في حياتي، وأنا الشريرة في حياتها. وكلٌّ منَّا تصدق أن قصتها حقيقية.

أحدق إليها وألاحظ النظرة الحالمة على وجهها. وكأنها اختفت داخل ذكرى؛ ذكرى حزينة جدًّا.

- ما زلت غير متأكدة من أنني أفهم.

- ولا أنا، لأكون صادقة معك. أحببت ابنتي، وما زلت أحبها، ولكن في بعض الأحيان يضيع الحب، وبغض النظر عن مدى الجهد الذي تبذلينه في المحاولة، لن تستطيعي العثور عليه مرة أخرى. عندما تعيشين كل هذه المدة التي عشتها، ستتعلمين أن ذكرياتنا يمكن أن تجعل منَّا جميعًا كاذبين. لن يتذكر شخصان لحظة واحدة بالطريقة نفسها تمامًا، وأحيانًا لا يتفق الناس على حقائق ما حدث أو ما لم يحدث. قرأت ذات مرة أن هناك طرفين لكل قصة، وهذا يعني أن هناك طرف يكذب دائمًا، لكنني لا أعتقد أن هذا صحيح. الحقيقة تتلوَّن وفي بعض الأحيان يصبح من الصعب تمييزها. لم أكن بحاجة إلى أن أكون البطلة في قصتها، لكنني سئمت من معاملتها لي كالشريرة في قصتها.

لا أعرف ماذا أقول. تحدق إديث إلى وجهي وكأنها تقرأ أفكاري وتسألني سؤالًا لا أعرف كيف أجيب عنه.

- أخبريني عن أمك.

أريد أن أخبرها، ولكني لا أستطيع. يبدو أنها تشعر بانزعاجي، فتسألني عوضًا عن ذلك: «هل تفتقدينها؟».

دائمًا.

أقول: «أحيانًا».

تومئ: «أنتِ لست قصتك، فالطريقة التي وصلتِ بها إلى هذه المرحلة من حياتك لا يجب أن تحدد الباقي منها. ما زلتِ صغيرة بما يكفي لتصبحي الشخص الذي تريدين، ولكن إن كنت محظوظة بما يكفي وأحبَّك شخص تحبينه أنتِ أيضًا، فلا تتخلي عنه أبدًا. هذا النوع من الفرص لا يأتي كثيرًا، وأحيانًا لا يأتي على الإطلاق. اكتبي قصتك الخاصة واجعليها قصة جيدة».

أسمع أجراس بيج بن وقد بدأت في اختراق سكون منتصف الليل فوق أسطح المنازل من بعيد.

أقول: «ربما ينبغي لنا أن نفكر في أخذ قسط من النوم؟».

- فكرة جيدة، فأنا متعبة جدًّا، ولا بدَّ أنك كذلك.

- يمكنك الحصول على السرير، ولا مشكلة لدي في النوم على الأرض.

- لا تكوني ساذجة، سنتشاركه.

- إنه سرير فردي و...

- سننام رأسًا لقدم.

لم يمضِ وقت طويل قبل أن نندس في السرير باتجاهين متعاكسين، حيث يأخذ ديكنز راحته فوق الأغطية بيننا. أعتقد أن إديث نامت، لكنها تهمس فجأة بشيء يجعلني أرغب في البكاء.

- إنَّ المرء منَّا يختبر أسوأ أنواع حسرة القلب عندما يتحوَّل شخصٌ يحبه إلى آخر لا يمكنه حبُّه. ليلة سعيدة أيتها الدعسوقة.

فرانكي

ينطلق منبه فرانكي قبل شروق الشمس، لكنها كالعادة مستيقظة. إنها تحب أيام الاثنين -فبداية أي أسبوع[1] جديد تبدو دائمًا كأنها سَبُّورَة نظيفة- ولكن لديها شعورٌ سيءٌ تجاه اليوم. الفضاء مظلم في غرفتها كما هو في الخارج، ولا يزال بإمكانها رؤية القمر من نافذة غرفة نومها. دائمًا ما يكون الجوُّ باردًا على متن القارب في الصباح، لذلك ترتدي زوجين من الجوارب وتلفُّ رداءَها حولها. ثم تجرُّ قدميها نحو المطبخ، على أمل أن يدفئها مشروب ساخن ويوقظها.

من المستحيل ألا تكون على دراية بالطقس على متن قاربٍ ضيِّقٍ، حيث يمكنك أحيانًا عيش كل فصول السنة في يومٍ واحدٍ. عندما تمطر -كما يحدث الآن- فإن صوت ارتطام القطرات على السطح يصم الآذان. ينسجم القارب مع النهر والسماء ومن الجيد أن تشعر بالارتباط بشيءٍ ما. إنه يذكرها بمدى

(1) وفقًا لأيزو 8601: يوم الاثنين هو أول أيام الأسبوع في المملكة المتحدة. (المترجمة)

ضآلتها، وضعفها، وعدم أهميتها. مجرد عاصفة واحدة يمكن أن تنهي حياتها أو قد تمر بها فقط مرور الكرام. أحيانًا تجد المتاعب طريقها إلينا مهما حاولنا الاختباء جاهدين.

الغلايَّة الكهربائيَّة أيضًا مزعجة وقديمة جدًّا، لكن فرانكي لم ترَ مطلقًا أي فائدة من استبدال الأشياء طالما لم تتعرض للكسر. تظن أنها تسمع شيئًا ما على سطح السفينة، لكن الظلام حالك خارج نافذة المطبخ، وكل ما تستطيع رؤيته هو انعكاس صورتها. أحيانًا تصرُّ القوارب القديمة وتطقطق مثل المنازل القديمة. تعثر فرانكي على كوب أمِّها وتجده ما يزال مملوءًا ببضع قطرات من النبيذ، نسيت أن تغسله قبل أن تخلد إلى النوم. تغسله الآن تحت الصنبور، وترفع أكمامها لتجنب تبللها، وتلاحظ الوشم الصغير على معصمها. لا ترتدي فرانكي أبدًا الأكمام القصيرة، حتى في الصيف، لأنها تحب إخفاءه.

الوشم عبارة عن كلمة (Shh) بخط مائل.

لقد وُشِمَت به منذ سنوات، لتذكير نفسها بأهمية الأسرار وأهمية الحفاظ عليها. الكل يريد التنقيب عن مشاكله هذه الأيام. إنهم جميعهم يريدون التحدث عمَّا يزعجهم بدلًا من فعل شيءٍ لإصلاحه. التحدث والتحدث والتحدث. المشاركة والمشاركة والمشاركة. هناك أشخاص آخرون يحبون النميمة، ويتغذون على الحديث الفارغ، ويلتهمونه، وهم جشعون جدًّا بحيث لا يعرفون متى يتوقفون، لذلك يسمنون من السكر المنتهي صلاحيته في حياة الآخرين. تجد فرانكي الأشخاص الآخرين والأشياء التي يتحدثون عنها مرهقة. إنها سعيدة لأنها تعيش بمفردها. ويصاحب هذه الفكرة اندفاعة بالذنب تجاه ابنتها. ثم تفكر في الأمس -ما رأته وما فعلته- وتعرف أنها بحاجة إلى مواصلة الانشغال، وإبعاد تفكيرها عن كل ما حدث وما قد يحدث بعد ذلك.

تُسقط كيس شاي في كوبها.

ثم تسمع صوتًا غير مألوف على سطح السفينة، مرة أخرى.

لم تتوهم سماعه.

يتوقف المطر. وتبدأ الشمس في الارتفاع بما يكفي لإضاءة النهر في الخارج والكشف عن سحابة من الضباب تتصاعد منه. تتساءل فرانكي ما

إذا كان القط الأسود قد عاد، ولكن بعد ذلك تسمع طرقًا على الباب. القطط لا تفعل ذلك. إنها الخامسة صباحًا، ولا ينبغي لأحد أن يطرق بابها في هذا الوقت من الصباح. لا ينبغي لأحد أن يطرق بابها على الإطلاق، لأنه لا أحد يعرف أين تعيش.

إلا إن كانت ابنتها قد عادت إلى البيت.

تركض فرانكي نحو الباب، وتحرك المزلاج باهتياج شديد، وتنزع السلسلة، وتفتح الباب. إنها امرأة شابة، لكنها ليست ابنتها. تتمتع الفتاة الغريبة بشعر أشقر بطول الكتفين مع خصلات وردية على جانبٍ واحد، وترتدي بدلة نسائية رمادية مع قميصٍ تحتها. تحدق فرانكي إليها، ثم إلى القميص الذي يحمل صورة ملصق فيلم قديم: «*القصة التي لا تنتهي أبدًا*» (*The Never Ending Story*).

تسأل فرانكي بنبرة حادة في صوتها قصدت إخفاءها: «أيمكنني مساعدتك؟».

تجيب المرأة بنبرة حماسيَّة وابتسامة غير مكتملة تبدوان في غير محلهما: «آمل ذلك. *ذا بلاك شيب*، يا له من اسم عظيم للقارب. لطالما أردت رؤية كيف يبدو هذا النوع من القوارب من الداخل، ولا أستطيع أن أتخيل العيش على واحد، هل هناك أي فرصة لدخولي؟».

تتساءل فرانكي إن كانت المرأة مجنونة.

- لا.

- أنا آسفة. يا لسخافتي، دائمًا ما أنسى تقديم نفسي. (تخرج بطاقة ما من جيبها وتحدق فرانكي إلى كلمة الشرطة) اسمي شارلوت تشابمان. أنا مفتِّشة مباحث وأتساءل ما إذا كان بإمكاننا إجراء محادثة؟ أعتذر عن قدومي في وقتٍ مبكرٍ كهذا، لكنني رأيتُ أضواء المكان مشتعلة وعلمت أنك مستيقظة. أعترف أنه لم يكن من السهل العثور عليك...

- هل يتعلق الأمر بابنتي؟

لقد كانت فرانكي تخشى هذه اللحظة. وظلَّت تعاني كوابيس متكررة بشأن قدوم الشرطة لتخبرها بأن شيئًا لا يمكن تصوره حدث لابنتها الصغيرة.

تهز تشابمان رأسها: «يتعلق الأمر بحادث وقع في دار وِنزر لرعاية المسنين. هل تعرفينها؟».

تبدأ فرانكي في إغلاق الباب: «لا».

- كنتِ هناك بالأمس.

- أنتِ مخطئة.

- لا أعتقد ذلك. لا توجد كاميرات في الدار –وإلا كنت سأضع نفسي أنا وهذه القضية في السرير الآن– ولكن هناك واحدة في موقف السيارات في الخلف. تُخرج هاتفها، وتنقر شاشته عدة مرات، وتعرض أمام فرانكي صورة. هذه السيارة ذات اللونين الأزرق والأبيض، التي رُكنت خارج الدار أمس، تحمل البيانات نفسها التي تحملها تلك المركونة هناك في هذا الشارع. السيَّارة مسجلة هنا وتعود ملكيتها لشخص يدعى فرانكي فليتشر. هذا أنتِ، أليس كذلك؟ إنها تشبهك تمامًا، وأنت تخرجين من السيارة وتسيرين نحو الدار، في هذه اللقطات.

تتمنى فرانكي لو أنها لا تعيش في زمن الكاميرات فيه منتشرة في كل مكان.

تخفي ذعرها جيدًا، وتقول: «هذه سيارتي لكنني لم أزر الدار. استخدمت موقف السيارات لآخذ جولة في بعض المتاجر، ففي بعض الأحيان يكون من المستحيل العثور على مساحة كافية لركن هذه الشاحنة الصغيرة».

تقول المفتشة وتعبس فرانكي: «ذلك الوشم الموجود على معصمك، لم أر مثله من قبل. (تنزل فرانكي كم ردائها لتغطيه) ما المتاجر التي زرتِها؟».

- عذرًا؟

- قلت إنك ركنت سيارتك هناك لزيارة بعض المتاجر.

- السوبر ماركت هناك بآخر الشارع. لقد نفد لديَّ الحليب.

تبتسم المفتشة، وتنقر شاشة هاتفها مرة أخرى: «بالحديث عن الحليب، كبار السن يشربون الكثير من الشاي، أليس كذلك؟ لا أستطيع تحمل هذا الشيء عن نفسي، طعمه مثل مياه البركة، ولكن هذا هو وقت تناول الشاي في الدار منذ بضعة أشهر. كما ترين من الزينة، يبدو أنه يوم عيد الميلاد المجيد. كان هناك الكثير من الزوار –أكثر من المعتاد بسبب العطلة– وهذه صورة

لأحد السكان. يناديها الموظفون بالعمة مِاي. آيةٌ من اللطف، ولكن عقلها مضطرب، كانت مقتنعة بأنها ملكة إنجلترا، واستمرت في سؤال *الجميع* ما إذا كانوا قد رأوا كلابها الويلزية، لكنها هنا تبتسم للكاميرا عندما زارتها حفيدتها. (تكّبر الصورة) وتلك أنتِ في الخلفية. هل ترين نفسك؟ كثيرًا *داخل* دار الرعاية. حيث رُئِيتِ مرة أخرى بالأمس، في وقت قريب من وقوع الحادث. أنتِ الشخص الوحيد في هذه الصورة الذي لم يتمكن أي موظف في الدار من التعرف عليه. ربما ضللت طريقك إلى المتجر في كلتا المناسبتين؟ (فرانكي لا تجيب) لا تقلقي، لدي سؤال أخير: هل تعرفين كِلْيُو كينيدي؟».

تحدق إليها فرانكي لفترة طويلة دون أن تتحدث، ثم تهز كتفيها: «لا أعتقد ذلك».

- يا للعار! قالت إنها كانت معك في منزلها في نوتينج هيل في الوقت الذي وقعت فيه جريمة القتل. كانت ستصبح حُجَّةْ غِيَاب جيِّدة لكِ، لو أنكِ فقط تعرفينها. (تبتسم المفتشة مرة أخرى) أعلم أنني أبدو شابة -بفضل الجينات الجيدة- ولكنني أمارس هذه المهنة منذ وقت طويل. طويل جدًّا. السبب الذي يجعل الشخص يكذب هو دائمًا أكثر إثارة للاهتمام من الكذبة نفسها. فلماذا تكذبين عليَّ؟

تستقيم فرانكي قليلًا في وقفتها: «لم أكذب عليكِ. ذهبتُ إلى دار الرعاية منذ بضعة أشهر لزيارة صديقة قديمة. فقدت شيئًا ثمينًا واعتقدت أنها ربما تعرف أين يمكنني العثور عليه. لا يوجد شيء غير قانوني في زيارة شخص ما في آخر مرة سجلتُ دخولي بها. هكذا عرفت عن موقف السيارات وكم يساعد في التنقل بين المحلات التجارية. ولا أعرف شيئًا عمَّن مات».

- *هذا* مثير للاهتمام الآن. قلتُ لك وقع حادث في دار وِنزر لرعاية المسنين، ولم أقل إن هناك أحد مات. هذه جريمة تضم ثلاثة مشتبه بهم وجريمتي قتل وضحية واحدة. وأنتِ، فرانكي فليتشر، المشتبه به الثاني.

النهاية

عِيدُ الأُمِّ، قبل عشرين عامًا

يسألني ضابط الشرطة وهو ينظر إليَّ بازدراء بأكثر من طريقة: «أعلم أنَّ هذا صعب، ولكن متى *رأيتِ* الطفلة آخر مرة؟ هل كانت في العربة قطعًا في السوق المركزيَّة؟».

لديه أسنان معوَّجة كبيرة جدًّا على فمه، وأرنبة أنف مستديرة، والكثير من شعر الوجه الزائد، ويشبه حيوان الفظ البحري.

- نعم، كانت في العربة. رأتها صديقتي أيضًا. لقد أخبرتك بهذا بالفعل.

يخربش شيئًا في دفتر ملاحظاته وأريد بشدة قراءته. أنا مقتنعة أنه لا يكتب أي شيء على الإطلاق، فقط يضع علامات على الصفحة. لقتل الوقت. *لإضاعة* الوقت. إنه يستخدم قلم حبر، من النوع الذي تعلمت الكتابة به في المدرسة، وأتساءل ما إذا كان ينضح أحيانًا داخل جيبه. آمل أن يحدث.

يسأل: «وكم دقيقةً استغرقتِ في الحديث مع صديقتك؟».

- لا أستطيع التذكُّر.

- ألا تحاولين؟

- ليس أكثر من خمس دقائق.

- قالت ربما عشر دقائق.

أحدق إليه. أنا متأكدة من أننا لم نستغرق كل هذا الوقت، ولكن كل شيء ضبابي.

- ربما.

يسأل: «إذن *ربما* مرَّت عشر دقائق كاملة قبل أن تلاحظي أنها اختفت؟».

كل كلمة من كلماته مغلَّفة بالأحكام الاستباقيَّة. تقول عيناه ما لا يقوله فمه: *أم مهملة*. هذا ما سيفكر فيه الجميع إذا لم يفعلوا بعد. لا أستطيع تحمل ثقل نظرته الجريئة إليَّ دون أن يحرك رمشًا، لذا أشيح ببصري بعيدًا. يقول ببطء وكأنني غبيَّة: «قد يكون التوقيت ضروريًّا بالنسبة لنا للعثور على الطفلة».

أعتقد أنَّ بعض الرجال يولدون متعالين.

أقول: «عشر دقائق على أقصى تقدير».

ويتحول وجهه إلى شيء أكثر بغضًا من ذي قبل.

- لم تلقِ عليها نظرةً أو تتفقدينها لعشر دقائق؟

نبرته وخزيي يجتمعان عليَّ ويكممان فمي فلا أستطيع الكلام. أومئ بدلًا من ذلك. تضيع الكلمات، ويضيع الأمل. عشر دقائق مدة لا تعدو رمشة عين حقًّا عندما تعتني بشخص ما طوال اليوم وكل يوم إلى الأبد. رمشتُ واختفت الطفلة. لماذا لا يفهم هذا الرجل؟ لماذا لا يصدقني؟ لماذا لا *يفعل* شيئًا؟

يسأل: «هل تتذكرين ماذا كانت ترتدي الطفلة؟».

لديها اسم. هل يمكنك تذكر ذلك؟

أقول وقد استعدت صوتي مرة أخرى وأتمنى أن يختفي هذا الحشد الصغير من الناس الذين تجمعوا حولنا في السوق. إنهم لا يقصدون الخير، فهم ليسوا مواطنين مكترثين، إنهم مجرد أشخاص *فضوليين* ليس لديهم أي شيء أفضل

يفعلونه، ويستمتعون بالعرض المجاني لحسرة قلب شخص آخر. الناس يحبون المأساة الجيدة ما دامت ليست مأساتهم الخاصة: «بالطبع أتذكر. كانت ترتدي بدلة نوم قطنية وردية اللون».

يسأل: «هل أنتِ متأكدة من اللون؟».

ربما كانت بيضاء؟

- بالطبع. أنا متأكدة أيضًا من أنه يجب عليك البحث عنها، وعدم إضاعة الوقت في التحدث معي. لقد خطفها شخص ما، لماذا لا تفعل شيئًا؟

- تبدين متأكدة جدًّا من أن الطفلة قد اختُطفت...

- حسنًا، إنها لم تتبخَّر في الهواء!

تمنيتُ *أن تختفي ابنتي، والآن شخص ما خطف الطفلة.*

- عليكِ الحفاظ على هدوئك. فالهيستريا لن تساعدنا أو تساعد الطفلة.

- هستيريا؟ أريد أن أنتزع قلم الحبر من بين أصابعه السمينة وأفقأ به كلتا عينيه. سيكون ذلك هستيريًّا، ولكنه مُرضٍ أيضًا للغاية.

- هل هناك شخص تشكين فيه؟ شخص كان بينكما نزاع؟ شخص لديه دافع لأخذ الطفلة؟

نعم. نعم. نعم.

أهز رأسي: «لا».

بيشنس

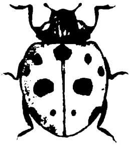

أحلم بأناسٍ يكشفون كل أسراري، ويغمرني شعورٌ بالارتياح حين يوقظني صوت المُنَبِّه من كابوسي. أمدُّ يدي لأصل إلى هاتفي وأطفئه، وأبقي عينيَّ مغمضتين، وأنقر بأصابعي على الشاشة حتى يلف الصمت العليَّة مرةً أخرى.

باستثناء أنَّني أستطيع سماع شخص يتنفس.

لستُ أنا، وليس ديكنز -الذي يحب دائمًا النوم على سريري بدلًا من سريره- هناك شخص آخر هنا.

يؤلمني رأسي، مثلما يحدث عندما أشرب كثيرًا. أستغرق بضع ثوانٍ لأتذكر النبيذ وما فعلته. تبدأ أحداث اليوم السابق في التفكُّك والتَسَرُّب إلى داخلي، فتشوِّش آثار سُكْري، وتغمر ذهني المتعب بالذكريات، تلك التي أفضل أن أنسى معظمها. إن كنتُ سأخبر أحدًا بنسخة الأمس مني، فسأرسم نفسي بطلة أنقذت امرأة ضعيفة من موقفٍ صعبٍ. لكني أخشى أن يظن الآخرون

في النهاية أنني اختطفت امرأة مسنة. لقد كانت لدي أسبابي، ومعظمها جيِّد. أعتدل قليلًا في جلستي وأرى خصلات شعر إديث المجعدة الرمادية مبعثرة فوق الوسادة على الطرف الآخر من السرير. لا تزال نائمة والغرفة غارقة في الظلام باستثناء مصباحي الليلي الذي يعكس مجرَّةً من النجوم المتحركة عبر الجدران. عادة ما تجعلني مراقبتها أشعر بالهدوء، لكني أسمع ضجيجًا آخر غير مألوف.

لا أتوَّهم ذلك. أستطيع سماع خطوات تصعد الدرج نحو العليَّة، ليست متسللة أو هادئة، إنه صوت شخص يريد أن يُسمَع.

قال السيد كينيدي إنه سيعود عندما رفضت فتح الباب الليلة الماضية. علمتني التجربة أنه رجل يلتزم بكلمته، لكنني لم أعتقد أنه كان يقصد العودة في السادسة صباحًا. المعرض في الطابق السفلي لا يفتح قبل التاسعة. يبدو واضحًا جدًّا الآن أنه لم يكن عليَّ إحضار إديث إلى هنا، لكنني اعتقدت أن لدينا الوقت للنهوض والخروج قبل أن يعود.

إن كان هو، فهو على الأقل لا يستطيع الدخول، منذ أن ثبَّتُ المزلاج والسلسلة. تندفع عيناي كالسهم نحو الباب بحثًا عن الطمأنينة فلا تجدا شيئًا. لا أفهم، فأنا أُحكِم قفل الباب *دائمًا*. لا بد أنني نسيت فعل ذلك بعد استلام البيتزا. إلا أنَّني *متأكدة* وأتذكَّر جيِّدًا تحققي من قفل وأمان كل شيءٍ قبل الذهاب إلى السرير. يطرق أحدٌ ما الباب، مرة واحدة فقط، ويطير النوم من عيني إديث وتفتحهما لتجدني. إن كان وجهها مرآةً لوجهي، فلا بدَّ أنَّني أموت رعبًا. أهز رأسي وأرفع إصبعي إلى شفتيَّ. أسمع خشخشة مفاتيح. تسحب إديث الأغطية فوقها، وتحمل ديكنز، وتسرع للاختباء في الحمام. وبعد ثوانٍ، يدخل شخص ما العليَّة ويشعل الضوء. دائمًا ما تجعلني اللمبة المكشوفة أفكِّر في مشاهد الاستجواب في الأفلام.

يقول السيد كينيدي وهو يحدِّق إلى علبة البيتزا الكبيرة وزجاجة النبيذ الفارغة: «*حسنًا، أليست هذه صورة جميلة؟*[1] يبدو وكأنه كان لديك حفلة. هل صعد صبي إليك هنا؟».

---

(1) عبارة شهيرة ودارجة ذُكرت في فيلم «سانتا كلوز» (Santa Clause) على لسان سكوت كالفين. (المترجمة)

ينبح ديكنز نباحًا منخفضًا وأسعل لأغطِّي على صوته.

يحب جُود كينيدي ارتداء البدلات الباهظة وقناع العبوس الدائم. يبدو جيدًا بالنسبة إلى رجل في الأربعينيات من عمره. تناسبه الملابس العصريَّة، وكذلك شعره الرمادي الذي تغزوه خصلات بيضاء. يتمتع بصوت مخملي مهذَّب يمكن أن يسحرك أو يدمرك بجملة واحدة حسب حالته المزاجية. تجعلني النظرة البادية على وجهه الآن أرغب في الاختفاء.

يقول: «اعتقدتُ أنني كنت واضحًا جدًّا بشأن القواعد عندما سمحت لك بالبقاء هنا، لكن من الواضح أنني كنت مخطئًا. *لا ضجيج. لا زوَّار*. وبعد كل شيءٍ فعلته من أجلك».

أتذكر المرة الأولى التي قابلت فيها جُود كينيدي وأتمنى لو لم أقابله قط.

لقد أخذت أمي أكثر من نصيبها العادل من الأسرار. كانت امرأةً كتومةً جدًّا وليس لديها أصدقاء حقيقيون. اتضَّح أن عالمها يدور حولي، وهو ما أحببته وكرهته في الوقت نفسه. لم يبدُ أنها تريد أو تحتاج إلى أي شخص أو أي شيء آخر، ولم يبدُ أنها تريدني أن أريد أو أحتاج إلى أي شخص آخر أيضًا. كنت أدرس في المنزل. وكلَّما بدأت أشعر بالاستقرار في مكانٍ ما، أو أكوِّن صداقات، أصرَّت على تغيير موقعنا والانتقال. ومن ناحية ثانية، بدا وكأننا نهرب باستمرار، وأحيانًا في منتصف الليل. وعلى الرغم من كل ذلك، حظيتُ بطفولة سعيدة، وأكثر سعادة من أغلب الظن. ولكني شعرت دائمًا كما لو كان هناك شيء مفقود. علمتُ أن التنقُّل في كثير من الأحيان لم يكن أمرًا طبيعيًّا. كنت متأكدة من أن الأمر يتعلق بأبي، لكنها لم تخبرني مَن هو. رفضت أن تخبرني بأيِّ شيءٍ عنه على الإطلاق، لكنها وعدتني أن تفعل عندما أبلغ الثامنة عشرة من عمري، ثم حنثت بوعدها.

احتفظت أمي بأسرارها في علبة شاي ياباني صغيرة وعتيقة باللونين الأسود والذهبي، أخفتها خلف اللوح الخشبي المُقلْقَل في المطبخ. ونبَّهت عليَّ ألَّا أفتحها إلا في حالة الطوارئ، لكنني فتحتها بغضب بعد عيد ميلادي الثامن عشر وأدهشتني محتوياتها. كانت هناك لفافة من النقود أكبر مما رأيت من قبل، وظرفًا موجهًا إليَّ. وجدت داخل الظرف ملاحظة:

إن حدث ولم أعد إلى البيت يومًا، خذي هذا المال وابحثي عن مكانٍ آمنٍ للبقاء فيه. وسأجدك عندما أستطيع. اعلمي أنني أحبكِ أكثر مما كنت أعلم أنه من الممكن أن أحبك.

وكان الشيء الوحيد الآخر الموجود في العلبة عبارة عن بطاقة عمل لمعرض كينيدي في كوفنت جاردن، وجهها الأمامي مطبوع باسم جُود كينيدي بأحرف ذهبية لامعة. الفن هو حبي الأول، وبالتأكيد لم أرث هذا الشغف من أمي، فقد أمضت حياتها مختبئة داخل الكتب وقصص الآخرين، لكنها احتفظت ببطاقة هذا الرجل في علبة الطوارئ لأتمكن من *العثور* عليها. ويمتلك معرضًا فنيًّا. بالطبع اعتقدت أنه أبي.

سرقت النقود وعلبة الشاي، وحزمت حقيبتي، وهربت، وركبت القطار إلى لندن، ودخلت معرض كينيدي ورأسي مرفوع وقلبي مملوء بالأمل.

سألت: «هل أنت جُود كينيدي؟».

- إنه أنا، كيف يمكنني أن أساعدك؟

لم أتردد رغم كل الدلائل التي أشارت إلى أنني مخطئة: «أعتقد أنك أبي».

يضحك، بقوَّة، ثم يحدق إلى وجهي: «هل هذه مزحة؟ (أهزُّ رأسي) مَن دفعكِ إلى هذا؟ لقد جعلتني أصدِّقك لدقيقة. *أعتقد أنك أبي!* هل هذه كذبة أبريل؟».

لم تكن كذلك، ولكني شعرت وكأنها واحدة.

قال: «عزيزتي، أنا لستُ أباكِ قطعًا».

- كيف تعرف ذلك؟

- حسنًا، لم أرافق امرأة في حياتي. لذا من الواضح أن... (بدأت في البكاء كالفتاة الصغيرة التي كنتها في ذلك الوقت) طفلتي العزيزة، من فضلك لا تبكي. سينفِّر ذلك الناس ويعوقهم عن دخول المعرض وسيتوقف

نشاط العمل أكثر مما هو متوقف. هل أنتِ بخير؟ ربما أستطيع المساعدة؟

وتلك هي المشكلة منذ ذلك الحين.

لم يتوقف عن مساعدتي.

عرض عليَّ مكانًا لأقيم فيه في العليَّة فوق المعرض.

- أفضل من أن ينتهي بكِ الحال في الشوارع، أنا في غنى عن تعذيب ضميري.

حتى أنه ساعدني في الحصول على وظيفة في دار وِنزر لرعاية المسنين. كنت ممتنة جدًّا في البداية لكل ذلك. لكن في بعض الأحيان يفعل الناس من أجلك أشياء لطيفة لأنهم يريدونك أن تشعر بأنك مدين لهم. وفي مرحلةٍ ما سيطلبون منك أن تمنحهم شيئًا في المقابل. وطلب، ومنحته، وكلفني ذلك أكثر مما أستطيع تحمله.

ولهذا هو هنا الآن.

يلقي نظرة فاحصة على إحدى قصاصاتي الفنيَّة المعلقة على الحائط. «أنتِ مدينة لي بواحدة من هذه لبيعها في الأسفل» يصر على اختيار الواحدة التي يريدها ولا يعطيني أي فلس مقابلها، كان ذلك «الإيجار» الشهري الذي اتفقنا عليه حالما أفرغتُ أغراضي. ثمَّ، بالإضافة إلى ذلك، طلب مني التجسس على شخص ما في دار وِنزر لرعاية المسنين. وكان هذا هو السبب الحقيقي وراء مساعدتي في الحصول على وظيفة هناك. ولهذا السبب صادقت إديث في البداية، ولكن عندما تعرفت إليها، بدأت أحبها. لا أفهم لماذا لا يحبها.

في الأسبوع الماضي طلب مني أن أفعل شيئًا لا يمكن تصوره.

والآن هو هنا، يريد أخبارًا عنها، ولا يعلم أنها مختبئة في الحمام.

- هل هناك أي أخبار عن أمي؟ ألم تمُت بعد؟

إديث

تتعرف إديث على صوت ابنها في العليَّة.

- هل هناك أي أخبار عن أمي؟ ألم تمُت بعد؟

تكمم فمها بيدها لتخمد الأصوات التي تريد أن تغادره، وتشدُّ على ديكنز مثل طفلٍ يتشبث بلعبته المفضلة. يتمنى ابنها موتها. يمكنها التوقف عن الاختباء في الحمام ومواجهته، لكنها خائفة جدًّا. إديث -التي أمضت حياتها لا تخاف أبدًا من أي شيء أو أي شخص- خائفة الآن من كل شيء وكل شخص بعد ما حدث بالأمس. وكيف لا تخاف؟

لقد مرت سنوات عديدة منذ أن كانت إديث وابنها يتحدثان. كلما تحدثا اختلفا، لذلك خلصا إلى أنه من الأفضل عدم التواصل. وكان القرار مشتركًا. تختلف أسباب عدم تحدثها إلى ابنها تمامًا عن أسباب عدم تحدثها إلى ابنتها. لطالما كان خسيسًا وأنانيًّا -حتى في طفولته- لكنه كبر ليصبح شخصًا لا تعرفه أو لا تريد معرفته. شخص لا تعترف به حتَّى أنه ابنها. لا علاقة للأمر

بكونه يمتنع عن الزواج، على الرغم أنها متأكدة من أن هذا ما يعتقده. إديث لا تحب ابنها لأنه إنسان كريه وبغيض للغاية. إنها تخجل من نفسها على تربية مثل هذا الشخص الوضيع. عندما يسألها الناس إن كان لديها أطفال، تقول لهم على مضض إن لديها ابنة. لا تذكر شيئًا عن جود، ولم تفعل ذلك منذ فترة طويلة. تتمنى إديث كثيرًا لو لم تنجب أطفالًا على الإطلاق.

تسمع باب العليَّة يُغلَق. يعود الهدوء مرة أخرى، لكنها تنتظر بضع دقائق قبل أن تخرج.

تقول الدعسوقة بمجرد أن تفتح إديث باب الحمام: «أستطيع أن أشرح لكِ الأمر، لماذا لا تجلسين؟».

لا تتحرك إديث من مكانها. ترى حقيبتها مفتوحة وتدرك أنَّ الفتاة كانت تبحث في أغراضها.

تسأل إديث: «كيف تعرفين ابني؟ (تحدق الفتاة إلى الأرض، ولا تستطيع حتى النظر في عينيها) ابني الذي لم أتحدث معه منذ سنوات، ابني الذي لم أخبرك عنه قط».

- أنا آسفة لأنك اضطررتِ إلى سماع ذلك. لقد ساعدني في الحصول على وظيفة في دار الرعاية، ومنذ ذلك الحين وأنا...
- وأنتِ ماذا؟ تتجسسين عليَّ؟ وتعودين *إليه* بالتقرير؟ تكذبين عليَّ في كل شيء؟ اعتقدت أننا كنا أصدقاء يا دعسوقة. اعتقدت أنني أستطيع أن أثق بك، ولكن من الواضح أنني لا أستطيع أن أثق بأي شخص.
- يمكنك الوثوق بي.

تهز إديث رأسها: «أريد العودة إلى البيت. بيتي. قلتِ إن هذا هو المكان الذي ستأخذينني إليه عندما غادرنا دار الرعاية».

تقول الفتاة: «أنتِ أيضًا كذبتِ عليَّ».

- في ماذا؟
- لماذا لم تخبريني قط أن لديك ابنًا؟

تجيب إديث: «لأنه ليس لديَّ واحد، هذا الرجل غريب بالنسبة لي. إخفاء الحقيقة والكذب لا يستويان. لم يكن يتواصل معي لسنواتٍ إلا عندما يريد شيئًا ما -النقود عادةً- وقد سئمت من ذلك. أنا لا أتحدث عنه لأنني، حسنًا، أعتقد أن عدم حب طفل واحدٍ لأمه قد يكون مجرد حظ سيء. وقد نشأ كلا طفليَّ على كراهية أمهما وهذا يشير إلى أن المشكلة قد تكون أنا. أريدك أن تأخذيني إلى المنزل. الآن. كما وعدتِني. وبعدها لا أريد رؤيتك مرة أخرى. هل طلب منك حقًّا أن...».

- نحتاج إلى خفض أصواتنا، فالمعرض في الطابق السفلي.
- إذن هذا هو المكان الذي أنا فيه الآن، فوق معرض كينيدي! علمت أن هذا الشارع يبدو مألوفًا. ربما ينبغي لي أن أتصل بالشرطة وأخبرهم أنني مختطفة هنا.

ترد الفتاة بقدرٍ من التحدي لم تكن إديث تتوقعه، لم تعد تبدو الدعسوقة التي تعرفها: «كلانا يعلم أنك لن تفعلي، لكن افعلي ما تشائين واتصلي بالشرطة إن كنت تريدين ذلك».

تقول إديث، وشعور أنها عجوز حمقاء يملؤها: «طوال هذا الوقت اعتقدت أنك تهتمين بي حقًّا».

تصرُّ الفتاة وهي تحدق إلى الحقيبة المفتوحة على أرضية العليَّة: «أنا حقًّا أهتم. هل أخذتِ شيئًا من هنا الليلة الماضية؟».

- إنها حقيبتي، أستطيع أن أفعل بها ما أريد. هل أنت متواطئة مع ابني؟
- بالطبع لا. أستطيع أن أشرح لكِ كل شيء...
- تابعي إذن، هل أكل القط لسانك؟

ترتسم على ملامح الفتاة تعبير غير لائق: «الأمر معقد، ولا أعتقد أن لدينا الوقت لذلك الآن، لكنني أسمعك».

- بالطبع يمكنك سماعي، فلديك أذنان.
- عندما التقينا أوَّل مرَّة واكتشفتُ أن كلبك قد أُخذ منك، استخدمت مدخراتي لاستعادة ديكنز. لقد اعتنيت به وبذلت قصارى جهدي

لمساعدتك منذ ذلك الحين. لماذا قد أفعل ذلك إذا لم أكن أهتم؟ لن أوذيك أو أوذي ديكنز أبدًا. يجب أن تعرفي ذلك. هل تصدقينني؟

تحدق إديث إلى الفتاة بنظرة خيبة أمل خالصة: «أصدقك».

تقول: «أنا آسفة، أنا حقًّا آسفة، ولكن هذا المكان ليس آمنًا لأي منَّا الآن. أحتاج إلى حزم بعض الأشياء لنغادر من هنا. ثم يمكننا التحدث كما يحلو لنا. ما رأيك في ذلك؟».

- بينما تحزمين أمتعتك، أريد أن آخذ ديكنز في نزهة مشي. كما اعتدت أن أفعل.

تحدق الفتاة إليها: «هل ستعودين إن تركتك تذهبين».

تركتك تذهبين.

تعطي الكلمات انطباعًا بأنها حبيسة، وتعتقد إديث أنها ربما تكون كذلك. لقد جعلت منها الشيخوخة أسيرةً. اعتادت العيش مستقلة وحرة، لكنها الآن تعتمد على الآخرين في كل شيء. إديث ليس لديها أي نقود وأعطت الفتاة بطاقتها المصرفية. لقد تصرفت مثل عجوز حمقاء لكنها ليست كذلك.

تقول الفتاة: «أريدك أن تثقي بي».

تومئ إديث: «أنا *أثق* بك وبالطبع سأعود. آسفة لأننا تشاجرنا».

تبتسم الفتاة وتبدو راضية عن إجابتها على الرغم من أنها كذبة.

تهتم إديث بالدعسوقة كثيرًا لكنها لم تثق بها ثقة كاملة قط.

وكيف يمكن أن تثق؟

لقد عرفت إديث مَن تكون الفتاة حقًّا منذ أول مرة التقيتا فيها.

فرانكي

ينبغي لفرانكي أن تكون أكثر حذرًا من الآن فصاعدًا. لا يمكن أن يُقبَض عليها. إنها تعرف ما يحدث لموظفي السجن الذين يرتكبون جرائم تؤدي بهم إلى الحبس. لن يفيدها أنها كانت أمينة مكتبة في شيء. إن تمكنت الشرطة من إثبات ما فعلته فرانكي وانتهى بها المطاف في السجن، ستكون نهايتها. يجب أن تجد ابنتها وبعد ذلك ستحتاج إلى الابتعاد والبدء من جديد. تسرَّب الوقت والخيارات من بين يديها.

لم يسبق لفرانكي أن زارت كوفنت جاردن في مثل هذا الوقت الباكر من الصباح من قبل. تفضِّل كيف تبدو المنطقة الآن: هادئة، دون أي زحام أو ضجيج، فقط صوت كعبيها على الشوارع المرصوفة بالحصى. وتخمن أن الوصول إلى وجهتها سيستغرق ثلاثًا وثلاثين خطوة أخرى. يستغرق سبعًا وعشرين فقط، لذا فهي لم تكن بعيدة. في بعض الأحيان تكون الحقيقة أقرب مما نعتقد.

تتوقف وترفع بصرها لتلقي نظرة على المبنى العتيق الجميل الضيق، وتستغرق دقيقة لتقدر عمره وهندسته المعمارية، بما في ذلك العليَّة الصغيرة الموجودة في الأعلى. هناك عبارة «**تأسس عام 1886**» منقوشة على لوح حجري فوق باب معرض كينيدي الأزرق الفاخر، وتتخيَّل فرانكي العائلة نفسها التي تعمل في هذا المبنى طوال تلك السنوات، جيلًا بعد جيل، يحذون حذو أسلافهم. لا بدَّ أن السير لمدة طويلة تحت الظل يصِّعب رؤية طريقك الخاص. تأخذ فرانكي نفسًا عميقًا وتطرق الباب. المعرض لم يُفتَح بعد، لكن الأنوار مضاءة ويمكنها رؤية شخص ما بالداخل.

وعندما لا يجيب أحد، تطرق مرة أخرى. أقوى قليلًا هذه المرة.

ينظر رجل حسن الملبس بشعر منسدل في اتجاهها، ويصيح من مسافة قصيرة، مشيرًا إلى ساعته باهظة الثمن: «لم نفتح بعد، عودي في الساعة التاسعة».

يتحدث ببطء، معتقدًا أنها ربما تكون سائحة، أو غبية جدًّا، أو كليهما.

تحدق فرانكي إليه. الرجل طويل القامة، وأسمر البشرة، بملامح استحقاقيَّة مرسومة بخطوط خفيفة على وجهه. في منتصف الأربعينيات من عمره إن كان عليها أن تخمن، وهو ما ليست مضطرة إلى فعله، لأنها تعرف بالضبط من هو هذا الرجل. لقد التقيا من قبل، رغم أنها متأكدة من أن جُود كينيدي لا يتذكرها. إنها لنعمة أن تكون عُرْضَةً للنسيان في بعض الأحيان. قبل عشرين عامًا جاءت إلى هنا وطلبت مساعدته. ولم يساعدها حينها. لقد حاول فقط أن يبيع لها بعض الأعمال الفنية الرديئة وأعطاها بطاقة عمله -التي احتفظت بها- لكنها ستجعله يساعدها الآن. يدير جُود ظهره إليها، فتكور فرانكي قبضتها وتطرق الباب مرة أخرى. يلتفت، ويدير عينيه مثل مراهق، ثم يسير نحو المدخل، ويشير إلى لافتة «*مغلق*». لديه يدان لم تنخرطا في عملٍ شاقٍّ من قبل.

تحمل فرانكي القطعة الفنيَّة المؤطرة التي أخذتها من المنزل الوردي. يحدق إلى القطعة ثم يرفع بصره إليها. يبدو أن سمرة الشمس -في غير موسمها- تنضح من وجهه المتغطرس.

تقول عبر الباب الزجاجي، بعد أن رأت أنها جذبت انتباهه أخيرًا: «أريد أن أتحدث معك عن هذه، ولن أغادر حتى أفعل ذلك».

يجيب وهو ينظر إليها من جميع الاتجاهات: «لم أرها من قبل قط».

تقلب الإطار: «إذن لماذا تحمل اسم هذا المعرض على ظهرها؟».

ينظر جُود خلفها إلى شيء ما من بعيد. تستدير فرانكي لتلقي نظرة، ترى ضابط شرطة يتمشَّى في الشارع على الجانب الآخر من كوفنت جاردن. للحظة، تظن أن المفتشة التي ظهرت على القارب هذا الصباح تلاحقها، لكنها ستكون حينها قد أصيبت بجنون الارتياب. المفتشة لا تعرف شيئًا حقًّا، لو كانت تعرف لقُبِضَ على فرانكي بالفعل. تسمع صلصلة، وعندما تستدير فرانكي عائدة، تجد الباب مفتوحًا.

يقول جود، وهو يرشدها لدخول المعرض: «من الأفضل أن تدخلي».

وبمجرد أن تدخل، يغلق الباب خلفها مرة أخرى، باستخدام سلسلة من الأقفال والمزاليج والسلاسل المعقدة.

لا تحب فرانكي أن تُحبس في مكان ما، ما لم يكن لديها مفتاح.

تتبيَّن معالم محيطها. المعرض أكبر مما يوحي به شكله الخارجي الضيق، ويمتد طويلًا بعيدًا عن الشارع. به سقف مرتفع بشكل مدهش وطابق ثانوي. يبدو الدرج الخشبي الحلزوني المعقد المؤدي إليه كما لو أنه نُحت من جذع شجرة واحدة. لا توجد تقريبًا بقعة على الجدران الرمادية غير مشغولة بالأعمال الفنية. هناك أشياء تناسب الجميع هنا، ولكن الأسعار بجانب كل قطعة تعني أن معظم الناس لا يستطيعون سوى النظر. فرانكي ليست خبيرة فنية -كان ذلك شغف ابنتها وليس شغفها- لكنها تعتقد أن هذا المكان جميل. من شأنه أن يصبح مكتبة رائعة.

يقاطع جُود أفكار فرانكي، ويقول: «لا أتذكر القطعة الفنيَّة التي لديك هناك. ولكن إن كان بإمكاني مساعدتك، سأفعل».

الكذب ينضح من جميع كلماته.

تقول فرانكي وهي ترفع ذقنها قليلًا، فالناس مثله لا يحترمون أمثالها أبدًا: «أريد أن أعرف عن الفنان الذي صنع هذه، لا بدَّ أن لديك سجلات».

- أخشى أن بعض الفنانين يفضلون عدم الكشف عن هويتهم.
- نحن لا نتحدث عن بانكسي[1] وأنا لست حمقاء. لقد عملت مع المجرمين لسنوات، وأعرف عندما يكذب شخص ما. أنت لست جيدًا في ذلك. من أين حصلت على هذه القطعة؟

يقطِّب جبينه: «هل أعرفك؟».

تتردد، ولكن لثانية واحدة فقط. تقول فرانكي وهي ترفعها مرة أخرى حتى لا يتمكن من تجنب النظر إلى القطعة أو إليها: «صنعت ابنتي هذه القطعة الفنيَّة، وأنا متأكدة من ذلك. إنها مراهقة الآن، ولا تزال طفلة عمليًّا. إذن من *أين* وكيف حصلت عليها؟».

تبدأ عين جُود اليمنى في الارتجاف: تشنج عصبي، دليلًا على كذبه.

- تنشِّط ذاكرتي نفسها. على الرغم من أنني لا أستطيع تذكر الفنان، أعتقد أنني أتذكر من يملك هذه القطعة الفنية الآن. القطعة التي تحملينها ليست *ملكك*، أليس كذلك؟ إذن من أين حصلت عليها؟
- هل تعرف أين ابنتي؟
- أنا لا أعرف حتَّى مَن تكون ابنتك. انظري، من الواضح أنك مستاءة جدًّا. يبدو كما لو كنتِ تبحثين عن طفلتك وإن كان بإمكاني مساعدتك سأفعل. ما اسمها؟
- نيللي فليتشر.

يهز رأسه بعد أن يبدو عليه الارتياح: «أعتذر إذن، ولكن يمكنني أن أقول بصراحة إنني لم أسمع هذا الاسم من قبل قط».

تتمعن فرانكي في وجهه ولا تشعر إلا بالدمار عندما تستنتج أنه يقول الحقيقة. ولكن بعد ذلك، بينما كانت على وشك المغادرة، تلمح قطعة فنيَّة أخرى على المكتب خلفه، وهناك دعسوقة مرسومة في الزاوية.

---

(1) فنان جرافيتي إنجليزي مشهور ومجهول في الوقت نفسه، يعيش في إنجلترا، ولا يزال اسمه الحقيقي وهويته موضوع تكهنات. (المترجمة)

كِلْيُو

تدفع كِلْيُو لسائق التاكسي أجرته، ثم تنزل إلى كوفنت جاردن قبل أن تراقب السيَّارة السوداء وهي تبتعد، وتتساءل ما إن كان ينبغي لها البقاء فيها لبعض الوقت. تبدأ المحلات التجارية والمقاهي في فتح أبوابها، ويتردد صدى أصوات الأقفال والأبواب في جميع أنحاء الشارع، لكن باب معرض كينيدي لا يزال يحمل لافتة *مغلق*. لا عجب أن المكان لم يحقق ربحًا لسنوات. يزعجها اضطرارها إلى طرق الباب، وأنه سيراها وستتاح له الفرصة ليقرر إن كان سيسمح لها بالدخول أم لا. اعتادت كِلْيُو أن يكون لديها مفتاحها الخاص.

يمكنها رؤية شكله داخل المعرض، لطخة ظل لرجل يجلس بمفرده خلف المكتب في الخلف. تكوِّر قبضتها قبل أن تحتاج إلى ذلك لأنها لا تضطر إلى الطرق على الإطلاق. فكما لو كان يشعر بوجودها، يرفع بصره ويراها في اللحظة نفسها التي تراه فيها تقريبًا. يبدو الوقت وكأنَّه يتمدد بينما يحدقان

إلى بعضهما بعضًا، وأعينهما تقول ما لن تنطق به شفتاهما. عندما تُترك الكلمات دون أن يفصَح عنها لفترة طويلة، تنتهي صلاحية معناها. ينهض، ويجتاز الأرضية الخشبية ببطء، ويسمح لها بالدخول. يقفل جُود كينيدي الباب خلفه، تاركًا لافتة *مغلق* في مكانها. كلاهما يعلم أنه من الأفضل أن تُجرى هذه المحادثة على انفراد.

إنها المرة الأولى التي ترى فيها كِلْيُو شقيقها الأصغر منذ ما يقرب من عام، ولكنهما يلتقيان من دون عناق. ولا حتَّى مصافحة. على الرغم من أنه لم يكن ليُوجَد حرفيًّا على هذه الأرض لولاها.

تقول: «كنتُ أتصل بك».

يجيب: «أعلم. اعتقدتُ أننا اتفقنا على التوقف عن التواصل».

أربعون عامًا مضت، وما زالت تراه الطفل الذي اعتاد أن يكونه: مكابرٌ، وعنيدٌ، وأنانيٌ حتَّى النخاع. إنَّ رؤية أحد أفراد عائلتها تشعرها وكأنها على متن رحلةٍ عبر الزمن، وهي لا تفضل أن تتذكر تلك النسخة القديمة من نفسها. في طفولتهما، كانا يتنافسان باستمرار على فُتاتٍ من الحب والاهتمام في بيتٍ لا يقدم سوى القليل من منهما. وفي مراهقتهما، تعلَّما عدم إضاعة الوقت في البحث عن شيء غير موجود. هذا المكان، المعرض، يجعل كِلْيُو تفكر في أبيها. لا يعني هذا أنَّها تعرف الرجل. التقته مرتين: المرة الأولى في العاشرة من عمرها، ومرة أخرى في الثلاثينيات من عمرها. ظنَّت أنها ارتكبت خطأً كبيرًا حتَّى لا يريد أن يفعل أي شيء من أجلها، لكنها لم تكن المشكلة. كانت أمها مَن أراد أبوها الابتعاد عنها. ولسوء الحظ -بالنسبة إلى جميع المعنيين- فقد تسبَّب في حملها مرتين قبل أن يكتشف ذلك.

شعرت كِلْيُو بثقة كبيرة عندما دخلت إلى هنا، لكنها الآن تشعر بأنها وضيعة وغبيَّة وخائفة. ومع ذلك، لن تسمح له بالتسلط عليها بعد الآن. ليس الآن. ليس مجددًا أبدًا.

تسأله كِلْيُو وهي تنظر إلى عينيه مباشرةً وتنتظر أن يتفضَّل وينظر إليها: «أعتقد أنَّك تعرف؟».

ينظر جُود إلى ساعته باهظة الثمن بدلًا من ذلك: «أعرف ماذا؟».

- ما حدث لأمِّنا؟

- هل ماتت؟

- لا! فُقدت.

- هل هذا كل شيء؟

تحاول كِلْيُو مقاومة الرغبة في لكم وجهه المتعجرف الغبي، وتسأله: «ألا تتحقق من هاتفك أو تستمع إلى الرسائل؟».

- إن كنت لا أريد، وإن كانت الرسائل منك.

- الأمر جاد. لقد قُتل شخص ما.

- ما لم تكن أمَّك، فأنا لا أهتم حقًّا.

- ما بك؟ لا أستطيع الاستمرار في التعامل مع كل هذا بمفردي. إنها أمك أيضًا.

يتجهم: «أعرف من هي وما هي. *أنا* مَن تعامل مع الأمور عندما كنتِ مشغولة جدًّا، أو حزينة للغاية، أو قررتِ أنك لا تريدينها أن تعيش معكِ في النهاية. أنا مَن اضطر إلى زيارتها والاطمئنان عليها في جميع المناسبات على مر السنين عندما أدرت أنتِ ظهرك. أنا مَن اعتنى بـ...».

تقول كِلْيُو: «لقد اعتنيت بنفسك».

- كانت بحاجة إلى المساعدة.

- ليس نوع المساعدة التي قدمتها لها. لقد خدعتها. جعلتها توقِّع على أشياء لم تكن لتوقع عليها قط إن فهمتها. رتبت لها أن تنتقل إلى دار رعايةٍ شنيعة، دون علمها أو علمي. سلبتها كل ما تحبه، بما في ذلك كلبها المفضَّل، ثم تركتها تعتقد أنني المسؤولة عن كل ذلك.

- أنتِ كذلك بالفعل، لقد طلبتِ منها الانتقال إليها.

- على الأقل تركتها تنتقل عندما كانت في أمس الحاجة إلى مساعدة شخصٍ ما. كان من الممكن أن تُترك لتتعفن في منزلها لو تُركَ الأمر لك. كانت تتعثر وتسقط *طوال* الوقت، وتنسى تناول حبوب القلب، وتترك موقد الغاز مشتعلًا عن غير قصد، وكادت تفجر نفسها وبقية بيوت

الشارع، وعندما لم نتمكن من العثور على مكان مناسبٍ لها لتعيش فيه، لم تفعل أنت شيئًا.

- أنتِ مثل أمك تمامًا، هل تعلمين ذلك؟ كما لو أصبحتِ نسخة منها. تغيير الحكاية إلى أي قصة تناسب ضميرك بشكل أفضل. غض الطرف عن أي شيء يجعلك تبدين ابنة خسيسة. فعلتُ ما يجب فعله.

تبدو كلماته وكأنها سلسلة من الصفعات والقرصات واللكمات القويَّة، لكن ما زالت في جعبة كِلْيُو بعض الكلمات اللاذعة التي يمكن أن ترشقه بسهامها.

- أيُّ شيءٍ فعلتَه لها، فعلتَه من أجل الميراث.

يهز كتفيه: «هل أنتِ متأكدة من أنك لا تتحدثين عن نفسك، يا أختي العزيزة؟ إنه مجرد مال».

تجول كِلْيُو ببصرها حول المعرض الفني الذي كان جميلًا في السابق. لقد صُدمت عندما ترك أبوها الذي التقته مرتين فقط هذا المكان لها ولأمها ولجود –الذي التقاه مرة *واحدة* فقط– في وصيته. انتقلت ملكيته إلى الثلاثة جميعًا منذ ذلك الحين، على الرغم من أن كِلْيُو وأمها شريكتان صامتتان جدًّا. اتضح أن جدهما كان يمتلك المعرض قبل أبيهما، وهو مشروع عائلي حقيقي لعائلة لم تكن حقيقية على الإطلاق. وعلى الرغم من كل الفرص والمنح التي تلقاها شقيقها لتطوير المكان، لم ينجح سوى في تدميره. أرادت كِلْيُو بيع المكان منذ البداية، وتظن أنهم قد يضطرون إلى ذلك الآن. لم يهتم جُود قط بالفن أو صُنَّاعه. لا يهتم إلا بشيئين: المال ونفسه.

تستدير كِلْيُو للمغادرة، ولكن ليس قبل أن تُبدي ملاحظة لاذعة: «حسنًا، إن كان «مجرَّد مال» فلن تنزعج كثيرًا عندما تعلم أن أمَّنا قد غيرت وصيَّتها، وتقدمت بطلب لإلغاء التوكيل العام الذي منحنا التحكم في شؤونها المالية. حتى أنها طلبت من أحد المحامين استعادة منزلها».

يقول، بينما يقف قريبًا من كِلْيُو بدرجة تشعرها بعدم الارتياح: «عمَّ تتحدثين؟».

فمنذ أن كانا مراهقين، وهو دائمًا أطول وأقوى وأعلى صوتًا منها. كما أنه جيِّد جدًّا في معرفة كيف يجعلها تشعر بالسوء حتَّى يشعر هو بالتحسن.

تقول، غير قادرة على إخفاء نشوة انتصارها: «لقد تفوَّقت أمُّنا عليك، ولم تمر خطتك، بخداعها للعيش في دار رعاية، وإخراجها من منزلها، واختلاس جزء كبير من أموالها لتعين به نفسك، دون أن يلاحظها أحد».

- لقد حصلتِ على نصف المال...

- والذي استخدمتُه في دفع رسوم المكان الرهيب الذي وضعتَها فيه.

- حسنًا، لن تضطري إلى الدفع بعد الآن.

تسأل كِلْيُو: «ماذا يعني ذلك؟».

وعندما لا يُجيب جود، تُخرج الظرف من حقيبتها وتقول: «هذه نسخة من وصيَّة أمي الجديدة. إلَّا أنه، كما تقول، مجرد مال».

يقول وهو ينتزع الوثيقة من يديها: «لم يكن المال مجرَّد مال قط».

- أعلم أنك لم تكن قط من محبي القراءة، لذا دعني أعفيك من الإحراج الذي سينتابك إثر عدم قدرتك على فهم كل الكلمات الطويلة. تخطط أمُّنا لترك كل ما تبقى لديها تقريبًا لشخص غريب.

يقلب الصفحات حتى يصل إلى الفقرة التي تتحدث عنها: «وأرى أنها تترك ثلثها من معرضي لكِ».

- أنا لا أهتم بالمعرض، تمتَّع به كما شئت. لكني كنتُ قد عقدت الأمل في الحصول على بعض النقود.

- كيف بحق السماء غيَّرت امرأة عجوز طريحة الفراش وصيَّتها؟

- ليست طريحة الفراش، فهي تختار فقط عدم مغادرة غرفتها بإرادتها. من الرسائل التي قرأتُها، فقد زار هذا المحامي دار الرعاية وشهد أحد المقيمين الآخرين على الوصيَّة الجديدة. السيد هندرسون. نحن بحاجة إلى العثور على أمي. ربما لا تزال هناك طريقة لإصلاح ذلك، حتى لا تضطر إلى التفريط في المعرض...

- حتَّى لا تضطرين إلى التفريط في منزلك الوردي الثمين، تقصدين؟ لا تتحدثي كما لو كنت لا تحتاجين إلى المال أيضًا.

- *أنا* مَن استخدمتْ أموالها الخاصة لتغطي المبلغ الفلكي المطلوب مقابل رعايتها. لذا، نعم، الأمور صعبة بعض الشيء.

- الحال من بعضِه، لكن كل ما تفعلينه هو الشكوى من كل شيء. لم تفعلي شيئًا للمساعدة في إدارة هذا المكان لأكثر من عقد من الزمان، لكنك لا تزالين تعتقدين أنه يحق لك الحصول على ثلثه.

- لأنني أملك ثلثه!

- ومع ذلك، كنت *أنا* مَن تخلَّى عن أحلامه ليتبع خطوات أبينا ويحافظ على إرث العائلة...

- إرث العائلة! أنت بالكاد تعرف الرجل...

- لم يكن ذلك *خطأه*.

- حسنًا، لم يكن خطأي أيضًا. وترك المعرض لنا نحن الاثنين. ونصيبي فيه يساوي نصيبك.

- ولهذا كان ينبغي لك أن تقرضيني بعض المال عندما طلبت منك.

- أخبرتك أنه لم يعد لدي المزيد من المال.

- ولكن يمكنك تحمُّل تكاليف الاحتفاظ بهذا المنزل الوردي السخيف؟ لا أعرف سبب إصرارك على البقاء في منزل تسكنه الأشباح. إنه كبير جدًّا لعجوز عزباء وحيدة.

تمامًا كما كان الحال عندما كانا طفلين، كان شقيق كِلْيُو يعرف دائمًا نقاط ضعفها. كيف تحدث الكلمة أكبر قدر من الأذى. لم تكن تعيش بمفردها دائمًا.

تسأل وشعور الهزيمة يملؤها: «هل ستساعدني أم لا؟».

- بما أنك طلبت ذلك بأدبٍ، نعم. إذا لم نتمكن من العثور على أمِّنا العزيزة، فلنبدأ في التحدث إلى الشخص الذي قررت أن تترك كل شيء له.

- كما لو أنني لم أفكر في ذلك. المشكلة هي أنني لم أسمع قط عن فتاةٍ باسم بيشنس ليدل، مما يجعل العثور عليها أمرًا صعبًا بعض الشيء. ما الأمر؟ لماذا يبدو وجهك وكأنك تعرضت لسكتة دماغية؟

يبتسم جُود كاشفًا عن ضروسه المتوَّجة: «أعرف مَن تكون بيشنس، والأهم من ذلك، أعرف أين هي».

تحدِّق كِلْيُو إليه: «ماذا؟ كيف؟ أين؟».

يقول وهو ينظر نحو السقف: «إنها تعيش في العليَّة».

بيشنس

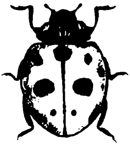

أسمع أصوات مرتفعة قادمة من الطابق السفلي في المعرض، ويغمرني للحظة شعورٌ بالقلق من أن تكون إديث قد ذهبت إلى هناك لمواجهة ابنها. أُسرع نحو النافذة المستديرة وأشعر بالارتياح عندما أراها تتمشى عبر الشارع المرصوف بالحصى، متجهة خارج كوفنت جاردن ونحو النهر، وديكنز يهرول إلى جانبها. أفتقد العيش على الماء. كان صوت ارتطامه بالقارب تهويدة نومي. بعد كل ما حدث بالأمس، يدهشني أنَّني نمتُ الليلة الماضية بأكملها.

أنا قلقة بشأن بقاء إديث بالخارج هناك بمفردها لكنها وعدت بعدم الغياب لفترة طويلة. ليس كما لو أن لديها أي مكان آخر تذهب إليه. إلى جانب ذلك، أنا بحاجة إلى القليل من الوقت للاستعداد، فحالما آخذها إلى حيث سآخذها، لن أعود إلى هنا. أحزم معظم أغراضي، بما في ذلك جميع قصاصاتي الورقيَّة تقريبًا، لكنني سأترك واحدة ورائي. عبارة عن ثعلب أسود أراه أحيانًا من

نافذتي في وقت متأخر من الليل. الثعالب السوداء نادرة للغاية وكانت أمي تقول دائمًا إنها *سيئة الطالع*. تجعلني هذه القصاصة أفكر دائمًا في جُود كينيدي، لذا سأتركها له ليجدها. القليل من الحظ السيئ ليتذكرني به.

أسحب الدُّرج من أسفل سريري وأُخرج علبة الشاي الياباني من مخبأها. ثم أفرغ كل النقود التي أمضيتُ العام الماضي بأكمله في ادخارها أسفل السرير. بالإضافة إلى المبلغ الصغير الذي أخذته من مكتب جوي بعد أن طردتني، لدي ما يقرب من خمسة آلاف جنيه إسترليني. بحلول نهاية اليوم، بمجرد أن آخذ إديث حيث تريد، سيكون لدي ضعف هذا المبلغ، ما يكفيني لاستئجار شقة استوديو صغيرة تطلُّ على النهر، ودفع مصاريف سنتي الأولى في مدرسة الفنون إن كنت محظوظة بما يكفي للالتحاق بها بمجرد تقديم الطلب. هذا كل ما أريده: مكان آمن لأعيش فيه وأكمل تعليمي. لقد عملت بجد. أستحق هذا. من الطبيعي أن أشعر بالذنب بسبب ما حدث، لكنه لم يكن خطأي. على الأقل هذا ما أستمر في إخبار نفسي به.

أسمعُ أحدًا يصعد الدرج نحو العليَّة وأشعر بالارتياح لعودة إديث وديكنز. قالت إنها ستعود بعد عشر دقائق فقط، ويجب حقًّا أن ننطلق.

يقول صوت امرأة خلفي: «هل هذه هي؟».

أُسقط علبة الشاي الياباني وأستدير.

يقف السيد كينيدي عند المدخل مع امرأة رأيتها من قبل. ترتدي اليوم فستانًا أسود مع حذاء رياضي أسود وتضمر العداء في ملامحها.

يجيب جود: «هذه هي».

تسأل المرأة: «*أنتِ* بيشنس ليدل؟».

ينفجر جود: «هل أنت صمَّاء أم مجرد غبيَّة؟ أخبرتك بالفعل أنها هي».

ثمَّ يسأل وهو يحدق إلى النقود المتناثرة على السرير: «من أين *لكِ* كل هذه الأموال؟».

أجيب بهدوء: «كنت أدخر المال».

وتمنيتُ لو أنني غادرتُ قبل خمس دقائق.

يقول جود: «لا بدَّ أن الأمر استغرق *وقتًا طويلًا* لتوفير هذا المبلغ النقدي من راتب عاملةٍ بدار الرعاية. هل أنت متأكدة من أنها لكِ؟ ربما تكون أموال أمنا؟ لقد اكتشفت للتو أنك خدعتِها لتغيير وصيَّتها».

لا أعرف ما الذي يتحدث عنه. أحدِّق إلى جود، ثم إلى المرأة، لكن من المستحيل قراءة وجهها. أعلم أنني يجب أن أدافع عن نفسي، ولكني لا أعرف كيف. أهز رأسي كما لو أن ذلك قد يطرد بعض الكلمات المناسبة، لكن لا شيء يخرج.

تسألني المرأة: «هل تعرفين أين أمنا؟».

ولا أعرف كيف أجيب.

وتضيف بينما تتفحص كل جزء من العليَّة بعينيها الحزينتين: «بيشنس اسم مثير للاهتمام. أتساءل ما إن كان اسمك الحقيقي؟ أتساءل ما إن كان أي شيء تقولينه صحيحًا؟».

تنتزع حقيبتي من السرير وتفتحها.

أشعر بالدوار عندما أدرك ما رأته المرأة.

- حسنًا، رخصة القيادة هذه تحمل اسم بيشنس ليدل بالفعل، ولكنني أشعر بالفضول لمعرفة سبب وجود بطاقة أمي المصرفية في محفظتك. (ترفع المستطيل البلاستيكي في الهواء) وثقت أمي بك. *أنا* وثقتُ بكِ.

يحدِّق جُود إليها: «هل التقيتما من قبل؟».

- بالطبع لا (تنفجر المرأة في وجهه قبل أن تعود إليَّ) ما أعنيه هو أن الأشخاص مثلي يجب أن يثقوا بأشخاصٍ مثلك للتصرُّف بطريقة أخلاقيَّة. مع أحبائنا. وهذا ما ندفع لك مقابلًا له.

أقول: «كنتِ على حق في الثقة بي. وكذلك إديث».

تسأل المرأة: «إذن أي هي؟».

يسأل جُود مرَّة أخرى: «هل أنتما متأكدتان من أنكما لا تعرفان بعضكما بعضًا؟».

تنفجر كليو: «أنت مَن يعرف مَن هي هذه الفتاة وأين تعيش. حتى الآن، لم أسمع قط عن أي فتاة يعني اسمها صبر، وقد نفد صبري أنا».

ثم تصرخ في وجهي: «أين أمنا؟».

يتحدث جُود قبل أن تتاح لي الفرصة للإجابة: «لا أعتقد أن الطفلة تعرف مكان الحقيبة القديمة، لكن من الواضح أنها كانت تسرق النقود من حساب أمنا...».

أقول أخيرًا وقد استعدتُ صوتي: «توقَّف عن اتهامي بالسرقة! طلبت مني إديث شراء الأشياء التي تحتاج إليها وهذا كل ما فعلته».

يسأل جود: «إذن لماذا ما زلتِ تحتفظين ببطاقتها المصرفية؟».

تحدق كِلْيُو إلى خاتم الدعسوقة في إصبعي: «ومن أين لكِ ذلك؟».

يتراءى أنها تنكمش بوضوح، كما لو أن شخصًا ما قد سحب كل الحشو منها، لكن جُود ذاهل كحجر. مكتبة ياسين

أقول: «في الحالتين ليس خطأي. السبب الوحيد الذي يجعلني...».

تقاطعها المرأة بنظرة على وجهها من شأنها أن تخرس فرقة موسيقية: «لا تقولي كلمة أخرى، لقد سمعتُ ما يكفي من الأكاذيب».

يومئ جود: «لأول مرة أتفق معك. ربما سيكون للشرطة حظ أكبر...».

تقاطعه المرأة: «أنا متأكدة من أنه لا داعي لذلك».

يقول: «لقد اتصلت بهم بالفعل، وهم في الطريق إلينا».

تبدو مصدومة بقدر ما أشعر: «أعتقد أننا اتفقنا على عدم الاتصال بهم الآن؟».

- بالطبع اتصلت بالشرطة، ولا أعرف لمَ لا نفعل. أمنا المُسِّنة والضعيفة مفقودة. هذه الفتاة التي حاولتُ مساعدتها –من خلال منحها مكانًا آمنًا للإقامة *ومساعدتها* في الحصول على وظيفة– قابلت إحساني إليها بسرقة ما يبدو أنه آلاف الجنيهات من أمِّنا، وخدعتها لتغيير وصيَّتها. ويتضح أنها ربما اختطفتها أيضًا! لا يمكننا *التراجع* عن الاتصال بالشرطة، فبكل ما نعرفه الآن ربما قتلتها أيضًا.

أريد أن أصرخ بالكلمات لكنها تخرج كهمسٍ خفيفٍ: «كيف يمكنك أن تقول ذلك؟».

- من الواضح أنك لستِ سوى كاذبة، وسارقة، وشابة مضطربة جدًّا...

لا أنتظر سماع بقية خطابه؛ العالم مكدَّسٌ بالرجال الذين يحبون سماع دَوي أصواتهم. أنتزع حقيبتي وأجمع أكبر قدر ممكن من النقود، وأدفعها داخلها بقوَّة. أركض متجاوزة باب العليَّة وأنزل أول بسطة من الدرج قبل أن يتمكن أي شخص من إيقافي. سأغير اسمي، وأبدأ من جديد، ولن يتمكن أحد من العثور علي. ربما سأعود إلى البيت، وأعود إلى أمي، وأحاول إصلاح الأمور. أركض إلى البسطة التالية، ثم إلى الأخرى. أنعطف حول الزاوية الأخيرة، وبينما أقترب من الباب الخارجي، أرى ضابطي شرطة في نهاية الدرج يعترضان طريقي. تظهر خلفهما امرأة بشعرٍ أشقر وخصلات ورديَّة.

تبتسم إليَّ: «المشتبه به الثالث، مرحبًا بك».

إديث

تسير إديث نحو النهر برفقة ديكنز، وهي تعلم أن الدعسوقة ربما تراقبهما من نافذة العليَّة. لقد حطَّت الفتاة من قدرها واستخفَّت بها، وتخشى إديث أنها ربما تكون قد بالغت في تقدير الفتاة. عندما تأكدت من أنها بعيدة عن الأنظار، استدارت عائدة واتجهت نحو كنيسة سانت بول، الكنيسة التي تركتها فيها الفتاة لفترة من الوقت بالأمس. المكان الذي أخفت فيه إديث شيئًا تحتاج الآن إلى جمعه.

اعتادت إديث على إصدار الأحكام عليها من قِبَل الشباب بسبب عمرها المتقدم. اعتقدت أن بيشنس مختلفة لكن إديث تتفهم ذلك. عندما كانت مراهقة، كان كل شخص فوق الثلاثين يبدو بالنسبة إليها في العمر نفسه: كبيرًا في السن. وهي الآن في *الثمانين* من عمرها. أين ذهبت السنوات؟ إحدى فوائد التقدم في السن هي أنها أصبحت أقل اهتمامًا بما يعتقده الآخرون عنها. لكنها أرادت أن تحظى بإعجاب الدعسوقة. أن تحبها حتى، مهما بدت

حماقة ذلك. ربما في أعماقنا جميعًا نريد أن نكون محبوبين. ربما نحتاج إلى أن نكون كذلك.

تقول إديث بصوت خفيض بينما يعبران الطريق: «أخشى أنني كنت حمقاء (ينبح ديكنز) لا تتظاهر بأنك لم تُخدَع بها أيضًا. ظننتُ أنه من المفترض أن تكون الكلاب قُضاةً متمرسين في الحكم على الشخصية. (ينبح ديكنز مرة أخرى) حسنًا، فسِّر لها الشك في صالحها[1] إن أردت، لكنني كنتُ مفتشِّة جيِّدة (يُميل الكلب رأسه ليرفع بصره إليها) أعلم أنني لم أكن مفتشة حقيقية، بل مجرد مفتشة متجر، لكن الاختلاف بين المهنتين ليس كبيرًا. (ينبح ديكنز مجددًا) ماذا ستفهم؟ أنت كلب. هل تتذكر مِاي، صديقتي في دار الرعاية؟ كانت تفهم. ولكنها مفتشة كذلك. لقد كانت أيضًا كل ما أملكه من صحبة لفترة من الوقت، وقد علمتني أنه في بعض الأحيان عليك أن تتظاهر بأنك الشخص الذي يعتقده الناس لتنجو. كنت مفتشة جيدة، بل الأفضل، وفقًا لرأي المدير الإقليمي، لكن العمل جعلني حزينة، من خلال القبض على أشخاص لا يستحقون أن يُقبَض عليهم. السماح لشخص ما بالإفلات من ارتكاب خطأ ما هو في بعض الأحيان الشيء الصحيح الذي ينبغي عمله».

يبدأ المطر في الهطول وتتمنى إديث لو أنها فكرت في إحضار مظلة. تفتح بوابة حديقة الكنيسة ويتبعها ديكنز إلى الداخل.

- ربما ينبغي لنا أن نعطي الدعسوقة فرصة أخيرة؟ ماذا تعتقد؟ يا له من أمر فظيع أن تكون كبيرًا جدًّا، ووحيدًا للغاية، ولا تعرف سوى شخص لطيف واحد في العالم.

ينبح ديكنز مرة أخرى، كما لو أنه يستطيع قراءة أفكارها.

- أنت على حق. ربما أعرف شخصًا لطيفًا واحدًا فقط، ولكني أعرف ألطف كلب. يجب ألَّا تتذمري، وألَّا تشتكي. قبل تشكل أي قوس قزح، يجب أن تمطر دائمًا. هيًّا، دعنا ندخل الكنيسة حتى يتوقَّف هذا المطر. الأمور معتمة الآن، ولكنني متأكدة من أنها ستشرق.

---

(1) في النصوص القانونية، يُقصد بهذه العبارة: «تفسير الشك لصالح المتهم»، أي تبرئته لعدم كفاية الأدلة، أو لعدم ثبوت التهمة ،أو لوجود شبهة أو شك في ثبوت ارتكاب الجريمة. (المترجمة)

يهز ديكنز ذيله وإديث مقتنعة بأنه يفهم كل كلمة. اعتادت أن تجري محادثات منتظمة مع كلبها منذ فترة طويلة. جميع الكلاب تتحدث، ولكن فقط للأشخاص الذين يعرفون كيف ينصتون. يجلس عندما يصلان إلى أبواب الكنيسة وتحتاج إديث أن تشد على طوقه قليلًا.

تقول: «هيَّا، أعلم أنك لا تحب المباني الدينية، ولكن ليس هناك ما يدعو للخوف».

يهز ديكنز رأسه كما لو أنه يختلف معها، لكنه على الأرجح ينفض المطر عن شعره فحسب.

يجلسان على مقعد الكنيسة نفسه الذي كانا يجلسان عليه بالأمس، في انتظار مغادرة الشخص الذي يصلِّي على بعد بضعة صفوف. اعتادت إديث زيارة كنيسة مثل هذه كل يوم أحد حتى تدمرت العلاقة بينها وبين الرب. لم تخاطبه منذ سنوات وحتَّى الآن. كما كانت أمها تجعلها تذهب إلى الكنيسة كل أسبوع. لقد كرهت ذلك، ثم جعلت أطفالها يفعلون الشيء نفسه، ولكن فقط من أجل أن تلتحق كِلْيُو بمدرسة جيدة. فقد كانت جميع المدارس الأخرى في المنطقة التي يعيشون فيها مكتظة وتعاني نقصًا في الموظفين. ولذلك حرصت إديث أن تجعل كِلْيُو وجُود يرتديان أفضل ملابسهما يوم الأحد ويذهبا إلى القدَّاس لمحاولة ترك انطباع جيد لدى المعلمين وأولياء الأمور الآخرين في المدرسة الكاثوليكية. لمنحهما بداية في الحياة أفضل من بدايتها. تعليم جيد وفرص عمل أفضل، حتى لا يضطرا إلى العمل بجدٍّ بالغ ويفوتهما الكثير من متع الحياة. لا يعني أن كِلْيُو قدَّرت ذلك أو أي شيء آخر حاولت فعله من أجلها. وليس كما لو أن إديث أرادت الاستيقاظ مبكرًا في يوم الأحد، بعد العمل لستة أيام متواصلة في الأسبوع. لقد توقفت عن الإيمان بالله منذ زمن طويل. إن الإيمان والخوف متشابكان جدًّا بحيث لا يمكن رؤيتهما منفصلين في هذه الأيام. لكن شعور الملاذ الذي يمنحه أي مكان مقدَّس -سواء أكان حقيقيًّا أو متخيَّلًا- هو الشيء الذي ما زالت تجده مثيرًا للإعجاب. على مرِّ التاريخ، كانت الكنائس مكانًا آمنًا للناس عندما يشعرون بالخوف، أو الحزن، أو يحتاجون إلى مكانٍ للاختباء. تمامًا كما تفعل إديث الآن.

من الواضح أن الدعسوقة كانت تكذب عليها بشأن عدة أشياء.

تقول إديث: «لا تقلق يا ديكنز. نحن بحاجة فقط إلى وضع خطة».

لكنها تظن أن الكلب يعرفها جيدًا لأنه يحدق إليها بعينين كبيرتين حزينتين. يعرف كلبها متى تكون سعيدة، ومتى تكون حزينة، ومتى تكون خائفة. يعرفها كلبها أفضل من أي شخص آخر. يلهث بهدوء ولا تعرف إديث كيف تهدئه لأن لديه حق في قلقه.

- أولًا وقبل كل شيء، نحن بحاجة إلى التخلص من هذا.

تمد إديث يدها أسفل المقعد الذي جلسا فوقه بالأمس، حتى تجد أصابعها الكيس البلاستيكي المخبَّأ تحته. عندما تتأكد من أنها بمفردها، تلقي نظرة خاطفة داخله. لم تحب إديث هذا الشيء قط. لماذا قدَّم لها زملاؤها السابقون في المتجر تمثالًا برونزيًّا لعدسة مكبرة كهدية تقاعد لن تعرف مصيرها أبدًا. قدَّرت هذه اللفتة، لكنها كانت تفضل الحصول على المال. نُظِّف التمثال جيًّدا ومُسِح جيًّدا، لكن ما زال هناك ما هو من المؤكد أنَّه آثار دماء على التمثال. إنها لا تحتاج إلى أن تكون مفتشَّة حقيقيَّة لتعرف ذلك. تعرف إديث الفرق بين الوقت الذي يجب فيه أن تُخبَّأ الأشياء، والوقت الذي يجب فيه التخلص من الأشياء -إنه أمر كان عليها فعله من قبل- وسلاح الجريمة يجب أن يختفي، إلى الأبد، بلا شك.

فرانكي

تشعر فرانكي بالقلق من أنها تضيع وقتها في الجلوس في السيارة خارج معرض كينيدي، لكن حدسها يدفعها إلى البقاء. من الواضح أن جُود كينيدي كان يكذب بشأن شيء ما -فهو يبدو مثل ذلك النوع من الرجال الذين لا يعرفون شيئًا عن الاستقامة- وهي الآن متأكدة من أن قصاصات الورق التي كان يبيعها من صُنع ابنتها. إن كان يكذب بشأن معرفته مَن تكون، فمن المحتمل أنه يكذب بشأن معرفة مكانها. غادرت فرانكي عندما طلب منها جُود ذلك، لكنها ظلت تراقب المعرض منذ ذلك الحين.

حتَّى الآن، أحصت ثمانية وعشرين شخصًا يمرون بالجوار: تسع عشرة امرأة وتسعة رجال. كان هناك أيضًا اثنتا عشرة سيارة أجرة سوداء، وثلاثة أشخاص يأخذون كلابهم في نزهة، وشاحنة آيس كريم واحدة. ترى فرانكي شرطي المرور يقترب وتلعن بصوت خفيض. لقد اضطرت مرَّة بالفعل إلى القيادة حول المبنى لتجنب الحصول على تذكرة. الشارع مكتظ بالخطوط

الصفراء المزدوجة مما يجعل من المستحيل ركن السيارة بشكل قانوني، ولكن لا يوجد مكان آخر يوِّفر رؤية واضحة للمعرض، والذي لا يزال مغلقًا، على الرغم من أن ساعات العمل تشير بوضوح إلى أنه لا ينبغي أن يكون كذلك.

ترفع فرانكي عينيها عن المعرض للحظة لتحدق إلى الكنيسة القديمة الجميلة التي ركنت سيارتها أمامها. تقول اللافتة إنها تُدعى كنيسة سانت بول، ويمكنها رؤية ما يشبه حديقة سريَّة مسوَّرة خلف المبنى. إنه من نوعية الأماكن التي تعرف أن ابنتها ستحب قضاء الوقت فيه. كانت ابنتها الصغيرة تحب دائمًا الكنائس والمقابر القديمة، والكثير من الأشياء التي كانت تخيف فرانكي. البنات لا يحذون حذو أمهاتهن دائمًا.

تقرقر بطن فرانكي، لتذكِّرها بأنها لم تأكل أي شيء اليوم. يوجد مقهى لطيف المظهر على بعد مسافة قصيرة من الطريق. ربما يمكنها ترك السيارة هنا لدقائق، ومن المؤكد أن بعض القهوة ستساعد على إيقاظها، وإن جلست بجوار النافذة ستظل قادرة على مراقبة المعرض. يدفعها الجوع والتعب إلى المخاطرة بذلك.

لم تر سيارة الشرطة وهي تدخل الشارع بينما تخطو داخل المقهى.

لم تتناول فرانكي أي طعام في مكانٍ خارج البيت منذ أشهر. المكان رخيص ومبهج، ولكنه يبدو سرياليًّا ومترفًا. تجد طاولة مريحة لشخص واحد وتبدأ في قراءة القائمة.

لا ترى الشرطيين وهما يسيران نحو المعرض.

إنها مجرد قائمة إفطار، ولكن هناك العديد من الخيارات. يتمتع الناس بالكثير جدًّا من الخيارات هذه الأيام. تقرر فرانكي أن تطلب وجبتين من وجبات الإفطار الكلاسيكية، واحدة لتأكلها في المقهى والأخرى لتأخذها معها، ستعطيها للمتشرد الجالس في الشارع بالخارج. تطلب ما تريد من النادلة، التي تجري معها محادثة قصيرة حول الطقس على أمل الحصول على إكرامية.

لا ترى فرانكي فتاة تُوضَع في سيارة الشرطة بقيادة المفتشة نفسها التي زارت قاربها هذا الصباح.

يصل الطعام الذي طلبته بسرعة، لكن هاتفها يصدر صوتًا داخل حقيبتها قبل أن تتمكن من تناول قضمة، مما يعني أنها لا ترى سيارة الشرطة التي تمر بجوارها عبر النافذة. لم يصدر هاتفها صوتًا منذ عام تقريبًا -إلا إن كان منبهًا ضبطته بنفسها- والصوت غير المتوقع يجعلها تقفز. تتحقق من الوقت على ساعتها الميكي ماوس، وتفترض أنها رسالة نصيَّة من العمل لمعرفة سبب عدم حضورها اليوم. لكنه ليس شخصًا من السجن. إنها ابنتها. لقد مر عام تقريبًا منذ هربها.

الرسالة النصية قصيرة، ثلاث كلمات فقط:

ساعديني يا أمي.

كِلْيُو

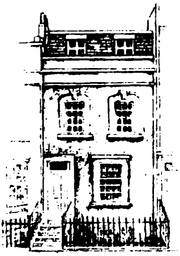

تقول كِلْيُو بينما تتبع شقيقها على الدَّرج عائدين إلى العليَّة: «لم يكن عليك الاتصال بالشرطة».

يغمرها شعورٌ بالارتياح لأن المفتشة غادرت على الفور مع الفتاة ولم تكلف نفسها عناء الصعود إلى العليَّة: كان الموقف سيزداد سوءًا إن وجدت المفتشِّة تشابمان كِلْيُو *هنا*. تحدَّث ضابط شرطة آخر إلى كِلْيُو وجُود بعد أن قُبِضَ على بيشنس، ولكن لا تزال هناك العديد من الأسئلة الأخرى التي تنقصها إجابات.

يسألها جود، بنبرة غضب مكتومة لا يتحدث بها إلا معها فقط: «لماذا لم يكن عليَّ الاتصال بهم؟».

- لأنه إن كانت الفتاة تعرف مكان أمي، فلن تخبرنا الآن.

تنقطع أنفاس جُود -فطالما كانت علاقته بالتمارين الرياضيَّة بعيدة- لكن ليس هناك منافسًا لكِلْيُو في صعود الدرج. تتقدم في خطواتها، أملًا في الوصول إلى العليَّة قبله، لتكسب بعض الوقت. تحاول أن تفكر لكن أفكارها تتراجع مذعورةً أمام الحقائق. ربما ارتكبت خطأً.

تقول كِلْيُو وهي تفكِّر بصوت عالٍ: «لم تثق أمي في أي شخص -ولا حتَّى نحن- فلماذا تثق بفتاةٍ عشوائيةٍ التقتها في دار الرعاية؟ (جُود لا يُجيب) هل تخبرني بالإجابة عن طريق التخاطر؟».

تسأل لكنه لا يزال لا يجيب، ربما يفكِّر في كيفية حل المشكلة بدلًا من التفكير في سبب المشكلة، كما هو الحال دائمًا. تتساءل كِلْيُو حول ما ستقوله الفتاة للشرطة.

تقول: «اشرح لي الأمر مرَّةً أخرى. كيف بدأت هذه *المراهقة* في العيش هنا، وكيف حصلت بعد ذلك على وظيفةٍ في دار الرعاية حيث كانت تعيش أمنا؟ تبدو تلك صُدفة كبيرة جدًّا، وأنت تعلم أنني لا أؤمن بالصدف».

يهزُّ جُود كتفيه بالطريقة نفسها التي اعتاد أن يهزهما بها في طفولته عندما لا يرغب في الإجابة عن سؤال. يبدأ في العبث بأزرار أكمام قميصه الأبيض الناصع، البارزة تحت أكمام سترته الأنيقة. لكنه يفاجئها بعد ذلك عندما يخرج من فمه فجأة شيء يبدو وكأنه الحقيقة.

- لقد ظهرت الفتاة هنا منذ نحو عام. كانت طائرًا صغيرًا هزيلًا، تحمل حقيبةً ضخمةً على ظهرها، وفي صوتها عزمٌ ما. ظنَّتني أبوها المفقود منذ زمن طويل، هل تستطيعين تصديق ذلك؟

يضحك، لكن كِلْيُو لا تضحك.

تسأل، ومن الواضح أنهما استعادا شخصيتَي ناقر ونقير التي اعتادا التعامل بهما في طفولتهما: «هل من المفترض أن ألعب دور المفتِّش كولمبو[1] لتفسير ما قلتَه للتو، أم ستخبرني ماذا يعني ذلك؟ ما الذي يجعلها بحق السماء تظن *أنك* أبوها؟».

---

(1) إشارة إلى الشخصية الرئيسيَّة التي اختلقها ويليام لينك وريتشارد ليفنسون في المسلسل التلفزيوني البوليسي الأمريكي «كولومبو» (Columbo). (المترجمة)

- ربما تكون حالة بسيطة من حالات التفكير الرغبوي[1]؟ إن توقفت عن الثرثرة وحاولتِ *الإنصات* إليَّ، سأخبرك بما حدث. لا عجب أنك تعانين نقصًا في عدد عملائك هذه الأيام، فهم يأتون إليك لتلقي العلاج وربما لا يحظون بأي فرصة لقول شيء. كما كنت *أحاول* أن أقول، شرحتُ للفتاة أنني لستُ أباها -حيث يجعل عدم اقترابي من امرأة قط ظنها في غير محله- وبدأت في البكاء و... شعرتُ بالأسف من أجلها. كان من الواضح أنها هربت من شخص ما أو شيء ما وأردتُ أن أقدم إليها المساعدة. لقد ذكَّرتني بكِ على الأغلب، عندما هربتِ. وكنا لا نزال أطفالًا. لذلك سمحتُ لها بالبقاء هنا في العليَّة لفترة من الوقت.

لا تريد كِلْيُو أن تتذكَّر متى هربت من البيت أو لماذا، فقد حدث ذلك منذ عمر مضى.

تسأل بدلًا من التفكير في ذلك: «هل كانت تدفع الفتاة إيجارًا؟».

- لا.

- بطريقة أخرى... ما المقابل الذي حصلت عليه؟

- أختي العزيزة، هل تقولين إنني لا أقدِّم المساعدة لأحد إلا إن كانت مساعدتي له ستعود عليَّ بالنفع بطريقةٍ ما؟

- نعم.

- وقحة.

- أعتقد أن ما نحتاج إلى التركيز عليه الآن هو العثور على أمنا.

يقلب جُود عينيه: «حظ موفق في ذلك».

تجول كِلْيُو ببصرها في أنحاء الغرفة الصغيرة وتلاحظ القصاصة الفنيَّة المعلَّقة على الحائط. قصاصة الثعلب الأسود. تقول وهي تلقي نظرة فاحصة: «تبدو مألوفة لي. ألم ترسل لي واحدة من هذه القصاصات في عيد الميلاد؟».

---

(1) ويسمَّى أيضًا التفكير بالتمني: تكوين الاعتقادات واتخاذ القرارات القائمة على رغبات الفرد بتمني ما يريده عوضًا عن التفكير الذي يستند إلى الأدلة، أو العقلانية، أو الواقعية. (المترجمة)

- نعم. لم يكن ينبغي لي أن أفعل. حظيت هذه القصاصات بشعبية كبيرة في المعرض، لقد بعتُ...

- لماذا أرسلت لي هديةً في عيد الميلاد الماضي؟ لم نكن نتحدث حتى في ذلك الوقت.

- أخبرتك أنَّ الفتاة ذكرتني بك قليلًا.

- إنها لا تشبهني مطلقًا في شيء...

- أنت محقة، إنها جميلة. أقصد موقفها. كنت لا أزال صغيرًا جدًّا عندما هربتِ كمراهقة، لكني أتذكر ذلك. أظن أنني اشتقت إليك في ذلك الوقت لأنك كنت أمًا بالنسبة لي أكثر مما كانت أمي.

لم تسمعه كِلْيُو قط يقول ذلك من قبل، ولم تكن تعرف حتى ما إذا كان يتذكر عدد المرات التي وضعته فيها في السرير، أو رافقته إلى المدرسة، أو حضَّرت له العشاء. كانت أمهما دائمًا في العمل. أخبرتهما أنها مفتشة، وأن وظيفتها مهمة، لكن كل ما كانت تفعله حقًّا هو القبض على سارقي السلع المعروضة في المتجر.

يكفهر وجه جُود مرة أخرى: «لا داعي للغرق في عواطفك الجيَّاشة الآن. لقد خيَّمت على حكمي لحظة نادرة من الحنين، هذا كل ما في الأمر. لا تقلقي، لن يحدث ذلك مرة أخرى. لا أعرف لماذا أزعجت نفسي بمحاولة فعل شيء لطيف. أعتقد أنك تبرعتِ بالقطعة التي أرسلتها إليك في مزادٍ خيري؟».

لا تصحح كِلْيُو له المعلومة، أو تفصح عن مدى إعجابها بها، للدرجة التي دفعتها إلى تعليقها على حائط الغرفة التي تقضي فيها معظم وقتها.

تسأل كِلْيُو، مدركة التعبير الذي يظهر على وجه شقيقها دائمًا عندما يفوز برهان أو يحل لغزًا: «ماذا سنفعل الآن؟».

يقول: «كانت هناك امرأة».

- يا لها من معلومة! أي امرأة؟

- امرأة. في الطابق السفلي، ومعها القطعة الفنيَّة التي أهديتك إياها في عيد الميلاد. هل *ألقيتِ* بها في متجرٍ خيري؟ افترضتُ أن هذا هو المكان الذي وجدتها فيه.

تهز كِلْيُو رأسها: «لا، سرقتها عميلة جديدة من منزلي وتسلقت هاربة بها من النافذة بالأمس. (يحدقان إلى بعضهما بعضًا لفترة من الوقت، ويضعان كراهيتهما المتبادلة جانبًا لأن كلاهما يعلم أنه لا يستطيع إصلاح هذه الفوضى بمفرده) هل كنت تدفعُ للفتاة مقابلًا لأعمالها الفنيَّة؟».

- سمحت لها بالبقاء هنا وأعفيتها من الإيجار مقابل القطعة الفنيَّة الفريدة...

- تقصد أنك استغللت محنتها واستثمرت موهبتها لصالحك.

- لم أكن سوى سامريٍّ صالحٍ. عندما أشارت مديرة دار الرعاية المريعة تلك إلى مدى نقص عدد الموظفين لديهم، اقترحت عليها أن تساعد الفتاة في العمل هناك. وفَّرتُ لها سقفًا فوق رأسها، ووظيفة. كيف كان من المفترض أن أعرف أنها كانت فنانة محتالة؟

يبدو *وكأنني أطالع نفسي في مرآة*. تفكِّر كِلْيُو.

ثمَّ تقول: «ينبغي لك ألَّا تتحدث بالسوء عن الموتى، لكنني أوافقك على أنها كانت مريعة».

- ماذا؟ مَن مات؟

- مديرة دار الرعاية التي قلت للتو أنها مريعة...

- هل تقولين إن جوي ماتت؟

- لم أكن أعلم أنك تعرف اسمها الأول، خاصة أنك لم تزر دار الرعاية أو أمَّنا مطلقًا. (يحدق جُود إليها، وفمه ينفتح وينغلق مثل سمكة ذهبية) ماذا؟ حاولت أن أخبرك سابقًا.

يسأل: «متى؟ كيف ماتت؟».

- عُثر عليها مقتولة في المصعد الكهربائي، وهناك علامة «خارج نطاق الخدمة» حول رقبتها. (يظهر على وجه شقيقها شيئًا غير مألوف، وتدرك كِلْيُو أنه هكذا يبدو عندما يُصدَم بشيءٍ ما) على الأقل هذا ما سمعته. فمن الواضح أنني لم أر ذلك بأم عيني.

- اللعنة!

تقول كِلْيُو التي تريد أن تغير الموضوع بعدما تلاحظ شحوب وجه شقيقها قليلًا: «هل يهمنا ذلك؟ لماذا *برأيك* تحتجز الشرطة الفتاة؟».

- بتهمة السرقة من أمِّنا.

- لا أعتقد أنهم كانوا سيرسلون مفتشة وسيارتين وضابطين من أجل اختفاء بعض الأموال من حساب أمي البنكي، أليس كذلك؟

يسأل: «لماذا قد يقتل أحد جوي؟».

- أتصوَّر أنه كان هناك طابور من المتطوعين بطول ميلٍ لفعل ذلك.

- هل تظنين أنَّ الفتاة فعلتها؟

تقول كِلْيُو: «لا، أنا متأكدة تقريبًا من أنها لم تفعل».

يحدِّق جُود إليها: «هل تظنين أنَّ أمنا فعلتها؟».

- لماذا قد تقتل أمي مديرة دار الرعاية؟

- سيفسر ذلك سبب اختفائها إن كانت قضت على جوي وهربت. لكنك على حق، هذا أمر مثير للسخرية. (يستعيد وجهه ملامحه، ويبدو كما لو أنه خرج من غيبوبة مؤقتة وعاد إلى طبيعته الفظيعة) حسنًا، ربما علينا أيضًا أن نحسن استخدام هذه النقود، فهي على الأرجح كانت نقود أمنا (يبدأ في جمع النقود من فوق السرير).

- قالت الشرطة ألا تلمس أي شيء قبل أن يرسلوا أحدًا.

- ما الفرق إن كان هناك بضع مئات من الجنيهات على السرير بدلًا من بضع آلاف؟ قد يستغرق الأمر شهورًا لحلِّ وصيَّة أمي إن رفعت القضية إلى المحكمة. لا تقولي لي إنك لا تحتاجين إلى المال أيضًا؟ فأنتِ بلا شك متأخرة في سداد الرهن العقاري لشهرٍ على الأقل.

- تتصرف كما لو أن أمنا *ماتت*. إنها مفقودة فقط. ربما نعثر عليها.

- لا يمكنك العثور على شيء لا تبحثين عنه.

تحاول كِلْيُو إخفاء ما تجعلها كلماته تشعر به.

تسأل: «ماذا عن متعلَّقات الفتاة الشخصيَّة؟».

- من أجل ذلك صُنعت حاويات القمامة. سأتخلص من كل هذا بمجرد أن تأخذ الشرطة كل ما تحتاج إليه لتوجيه الاتهام إليها. باستثناء القطع الفنيَّة، يمكنني بيعها في الطابق السفلي.

تقول كِلْيُو: «أعتقد أننا يجب أن نترك كل شيء كما هو في الوقت الحالي».

لكنها تراقبه وهو يجمع المزيد من النقود. هناك شيء يزعجها. شيء لا يبدو صحيحًا. لا تزال هناك قطعة من اللغز مفقودة، وهي تعرفها.

تقول، متسائلة ما إذا كانت مشاركة هذه المعلومة معه فكرة جيدة: «كان لدى أمي ثلاثة زوار في دار الرعاية أمس. هذا ما قالته لي الشرطة».

- يا لها من معلومة!

- أنا، ومحامٍ، وامرأة تتظاهر بأنها أنا.

- لماذا قد يتظاهر *أي شخص* بأنه أنت؟

- هذا ما أريد أن أعرفه. وقَّعت في دفتر الزوار باستخدام اسمي، صدمت عندما رأيته. أنا متأكدة من أن كل هذه الأشياء مرتبطة بطريقة ما.

- حسنًا، أعتقد أن اللغز قد حُلَّ. خدعت الفتاة أمنا، وربما قتلت جوي، والآن بعد القبض عليها واعتقالها، ستبطُل الوصيَّة الجديدة. كل شيء هنا هو من حقنا برأيي. بغض النظر عن حضور أمنا أو غيابها.

ينساب شعر جُود الناعم مقتحمًا عينيه تمامًا كما كان يحدث عندما كان طفلًا. عليه أن يرفعه الآن بطريقة تجعله يبدو سخيفًا جدًّا في عمره.

تسأل كِلْيُو: «ماذا لو كنت مخطئًا؟ ماذا لو كانت الفتاة تقول الحقيقة؟ ماذا لو كانت بريئة وتركت أمُّنا لها كل شيء لمجرد أن الفتاة كانت لطيفة معها؟».

يستدير جُود لمواجهتها ويقول: «أعتقد أنك مَن تحتاجين إلى تحرِّي الصدق».

يضيق صدر كِلْيُو: «ما الذي يفترض أن يعنيه ذلك؟».

- كلانا يعلم أن الفتاة تشبه شخصًا آخر، وربما هذا هو السبب الحقيقي وراء ما فعلته أمنا. (تبدو كلماته وكأنها لكمة في وجه كِلْيُو لكنها تومئ

برأسها، فلديه وجهة نظر) انظري، أعلم أن كل هذا كان... صعبًا (يتابع جود) لكن كل شيء سينتهي قريبًا.

يبدو كما لو أن شقيقها الصغير يتصرف بلطف لأول مرة منذ سنوات، مما يجعلها تشعر بعدم التوازن. لم تكن الأمور هكذا دائمًا بينهما. ولكن بحلول الوقت الذي ينهي فيه حديثه، كان من الواضح أن شقيقها هو بالضبط مَن تعرفه.

يقول وهو يجمع المزيد من النقود ويدسها في جيوبه: «عندما ينتهي كل هذا... ليست هناك حاجة حقًّا إلى أن نبقى على اتصال. بمجرد موتها ودفنها، فليذهب كلٌّ منَّا في طريقه. اتفقنا؟».

كلماته تحطمها.

لا تجيب كِلْيُو. ولا تنظر إليه حتَّى. في عقلها دوامات من الأفكار والذكريات السيئة. وتستمر في التفكير في خاتم الدعسوقة حول إصبع الفتاة وتتساءل ماذا ستقول للشرطة.

بيشنس

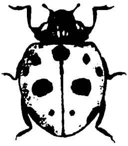

أُلقِيَ القبضُ عليَّ. أتظاهر بأن الأمور ليست سيئة كما تبدو، وأقول لنفسي إنَّ مَن أُلقي القبض عليها هي فتاة تُدعى بيشنس ليدل، وبما أن هذا ليس اسمي الحقيقي، فإن النسخة الحقيقية مني لا تزال حرة طليقة. لكنني لا *أشعر* بالحرية في الجلوس في غرفةٍ صغيرة أشبه بالصندوق في مركز الشرطة. كل ما يحدث منذ أن دخلت غرفة إديث للمرة الأخيرة يبدو وكأنه شيء يحدث لشخص آخر.

أرسلتُ رسالة نصيَّة بينما كنت في سيارة الشرطة، ولم يخبرني أحد أنني لا أستطيع ذلك.

وصلتني رسالة نصية أيضًا، بعد مدةٍ ليست طويلة:

إن حافظتِ على هدوئك، سأساعدك.

وسرعان ما تُبعت بأخرى:

إن لم تحافظي على هدوئك، فأنتِ وشأنك.

وأخرى:

لا تنبسي بكلمة.

توقَّف السائق عندما سمع صوت هاتفي. نزل الضابط الجالس في مقعد الراكب الأمامي، وفتح الباب، وأخذ هاتفي المحمول، ثم وضع مجموعة من الأصفاد حول يديَّ. كانت ثقيلة ومؤلمة. أعتقد أن جميع رجال الشرطة الجيدين كانوا خارج الخدمة اليوم لأن لدي شرطيين سيئين.

أنا لا أحب الشرطة. ليس فقط بسبب الأصفاد أو الطريقة التي عاملوني بها، ولكن لأن أمي لم تكن تحب الشرطة أيضًا. على الرغم من أنني لم أفهم حقًّا السبب. علمتني ألا أثق بهم، لكنها علمتني بعد ذلك ألا أثق بأي مخلوق. *لا يمكن الوثوق بالناس*، كانت ستقولها بهزة رأس خفيفة وإيماءة امتعاض. ربما كان ينبغي لي الإنصات إليها. أعتقد أنني بدأت أفهم لماذا أمضت أمي حياتها كلها في الهرب، حتى لو كنت ما زلت لا أعرف لماذا أو من ماذا.

لم أدخل مركز شرطةٍ من قبل قط. منذ وصولنا إلى هنا، وهم يرفعون بصماتي ويلتقطون صورًا لوجهي. واستمر العديد من الأشخاص -بعضهم يرتدي الزي العسكري والبعض الآخر لا- في استجوابي. و*حاولت* الإجابة عن أسئلتهم بقدر ما استطعت. أخبرتهم بالاسم الذي كنت أستخدمه خلال العام الماضي وأعطيتهم عنواني الحالي: العليَّة في كوفنت جاردن. لم يصدقوا أنني لا أعرف اسم الشارع أو الرمز البريدي. فبعد أن أمضيت معظم حياتي في العيش على سطح قارب، هذه ليست تفاصيل تشغلني.

بعد ذلك، تركوني في هذه الغرفة البيضاء القذرة. هناك كرسيان وطاولة وقليل من الأشياء الأخرى. لم آكل أو أشرب شيئًا اليوم. أنا جائعة وعَطْشَى وأحتاج حقًّا إلى الذهاب إلى الحمام، لكنني خائفة جدًّا من السؤال. خائفة جدًّا من الحركة. خائفة جدًّا من قول أو فعل أي شيء. لقد فقدت كل الأموال تقريبًا التي قضيت العام الماضي في العمل بجدٍّ لجمعها، ولا يمكنني أبدًا العودة إلى العليَّة الآن، مما يعني أنني بلا مأوى. فقدت قصاصاتي الفنيَّة وأملي في

الالتحاق بمدرسة الفنون. فقدت كل شيء، وكل ذلك لأنني حاولت أن أفعل الشيء *الصحيح*.

عندما يُفتح الباب أخيرًا، أقفز في مكاني، وأتساءل ما إن كانت تجعلني ردة الفعل هذه أبدو مذنبة. من الواضح جدًّا أنهم يعتقدون أنني كذلك.

تقول المرأة التي رأيتها لفترة وجيزة قبل أن أُقتِيد إلى سيارة الشرطة: «مرحبًا مرة أخرى، أنا المفتِّشة شارلوت تشابمان. آسفة لجعلك تنتظرين».

تغلق الباب خلفها وتجلس على الجانب الآخر من الطاولة. إنها شابة، ربما في أواخر العشرينيات، ولديها شعر أشقر بطول الكتفين بخصلاتٍ ورديَّة على جانب واحد. إنها ترتدي بدلة نسائية من التويد فوق قميص، وهناك عدة خواتم فضية في أصابعها. لا تبدو بهيئة مفتشة.

تسأل: «هل أُحضر إليك أي شيء؟ شاي، قهوة، ماء؟».

أقول على الرغم من شعوري بالعطش: «لا».

- هل أنتِ متأكدة؟ سنبقى هنا لفترة من الوقت.

أهز رأسي: «شكرًا لك».

لقد نشأت على أن أكون مهذبة دائمًا، حتَّى مع الأشخاص الذين لا أعرفهم أو أحبهم.

- كما تشائين. للتدوين: ذكرتِ أنَّ اسمك بيشنس ليدل، وعمرك ثمانية عشر عامًا، وتقيمين في العليَّة أعلى معرض كينيدي في كوفنت جاردن. هل هذا صحيح؟ (تتشابك أفكاري قليلًا وتتداخل، ويبدو أنني لا أستطيع تسويتها بسرعة كافية لتكوين رد، لذلك أومئ بدلًا من قول أي شيء) هل يمكنك الإجابة بصوت عالٍ من فضلك؟ (تسألني وهي تشير إلى آلة صغيرة على الطاولة، وألاحظ أظافرها المطلية كلها بألوان مختلفة. وأقارنها بأظافري غير المطلية والمقضومة).

أجيب، وأنا أشعر بالخجل من صوتي الآن بعد أن علمت بوجود التسجيل: «نعم».

ويبدو وكأنه صوت شخص آخر.

- لقد قبض عليك بتُهَم سرقات عديدة من المقيمين في دار وِنزر لرعاية المسنين. يزعم أبناء إحدى المقيمات أيضًا أنك أجبرتِها على تغيير وصيتها. (ترفع حاجبيها ثم تتابع القراءة) تلك المقيمة تدعى السيدة إديث إليوت. استُخدِمَت بطاقتها المصرفية مؤخرًا بمعدل مرة واحدة على الأقل في الأسبوع، على الرغم من أن السيدة إليوت لم تغادر غرفتها منذ عدة أشهر. التُقِطَت صورة شخص يطابق مواصفاتك على كاميرات المراقبة في الأوقات التي استُخدِمَت فيها البطاقة. عُثر على البطاقة المصرفية نفسها داخل محفظتك في وقت سابق اليوم، والسيدة إليوت مفقودة. (ترفع المفتشة بصرها إليَّ كما لو تتوقع مني أن أقول شيئًا، وعندما لا أفعل، تواصل) قُبِضَ عليكِ في شقةٍ فوق المعرض الفني الذي يديره ابن السيدة إليوت، حيث عثرنا لاحقًا على مبلغ كبير من النقود يُعتقد أنه سُرِقَ من حسابها. وكنت ترتدين خاتم المرأة الذي ادعيتِ أنه هدية. اكتشف الضباط أشياء أخرى مسروقة، والآن هناك أمر آخر يجب مناقشته... كيف تصفين مديرتك في دار الرعاية، جوي بونيتا؟

وقحة، وغدَّارة، وعديمة الخبرة، ومهملة، وغير جدير بالثقة، ومتنمرة، وكاذبة، وسارقة.

أقول: «لا بأس بها».

تحدق المفتشة إليَّ بشدة: «سأحاول توفير بعض الوقت لكلينا، وسأكون ممتنة إن فعلتِ الشيء نفسه. لماذا قتلتِها؟».

أستغرق لحظات لاستيعاب ما قالته للتو.

- أنا... أنا لم أفعل. لا أعرف شيئًا عن ذلك. هل ماتت حقًّا؟

تتنهد المفتشة تشابمان: «أعتقد أننا سنسلك الطريق الصعب. نعم ماتت. أؤكد لكِ. وآخر مرة شُوهدت فيها حيَّة عندما كانت في طريقها إلى الطابق العلوي لمواجهتك بشأن سرقة أشياء تخص... (تتحقق من دفتر ملاحظاتها) السيد هندرسون، الذي أفادنا وقدَّم لنا بيانًا شاملًا حولك. عُثِرَ على ميداليات الحرب المسروقة من السيد هندرسون مخبأة تحت سريرك في العليَّة، مما لا

يعطينا أي سبب للشك في روايته. هل قبضت عليك جوي متلبسة؟ هل دخلت ووجدتك تسرقين أشياء الرجل العجوز؟ هل لهذا السبب قتلتِها؟».

- أنا لم...

- هل تنكرين سرقة الميداليات الحربية التي وجدناها تحت سريرك؟

- أعترف أنني أخذتُ الميداليات، ولكني كنت سأعيدها. رأتني جوي، ولكن...

- ولكنك عِندَئِذٍ قتلتِها.

- لا!

- إن الغرض من وضع الجثة في مصعدٍ معطَّلٍ، واضحٌ، حتَّى لا يعثر عليها أحد لبضع ساعات، لكننا لا نزال قادرين على معرفة متى ماتت تقريبًا وكان ذلك قريبًا من الوقت الذي خرجتِ فيه من مكتبها وصعدت لتعثر عليكِ. ولم يرها أحد بعد ذلك. لقد ماتت نتيجة إصابة قوية في الجمجمة، نحن متأكدون من ذلك، لكن بماذا ضربتها؟ ولماذا سحبتِ جسدها الهامد إلى المصعد ورسمتِ علامة «خارج نطاق الخدمة» حول رقبتها؟ (تصمت للحظة متوقعةً مني أن أتحدث، ولكن ليس لدي أي شيء لأقوله. لا أصدر أي ردَّة فعلٍ حتى مع ما قالته للتو لأنني لا أعرف كيف) أين سلاح الجريمة؟

أقول: «لا أعرف (هذه هي الحقيقة لكنها تستمر في التحديق إليَّ) أنا لم أقتل أحدًا. لم يذكر أحد أي شيء عن جريمة *قتل* عندما قُبِضَ عليَّ».

- آسفة لذلك، أو بالأحرى، كان ينبغي لي أن أخبرك، لكنني كنت أنتظر نتيجة بعض الاختبارات. إنه لأمر مدهش ما يمكن أن يفعله فريق الطب الشرعي هذه الأيام. فالأدلة التي يستطيعون العثور عليها في مكان الحادث تثبت مَن فعل ماذا. لذلك لا يهم حقًّا ما إن كان المتهم كاذبًا جيدًا أم لا: الأدلة تخبرنا بكل ما نحتاج إلى معرفته. أعتقد أنني أهدرت الكثير من الوقت معك بالفعل. هل لديك أي أسئلة؟

- ألا أستطيع إجراء مكالمة؟

- هذا سؤال جيد. نعم تستطيعين. دوري لطرح سؤال. لماذا تريدين إجراءها؟

أتذكَّر الرسالة التي تخبرني ألا أنبس بكلمة، ولا أجيب. إنها لا تصدق أي شيء أقوله على أي حال. سئمت من محاولة الدفاع عن نفسي وربما قلت بالفعل أكثر مما ينبغي. تومئ المفتشة تشابمان برأسها وكأنها تستطيع قراءة أفكاري، وللحظة أفزع من فكرة أنها ربما تستطيع. تتنهد وتهز رأسها.

- أنتِ صغيرة جدًّا. ما زالت الحياة بأكملها أمامك. إن أخبرتني بالحقيقة بشأن ما حدث، فربما لا تضطرين إلى قضاء كل حياتك في السجن. (ما زلت لا أقول أي شيء، ولكنني أشرع في البكاء) حسنًا، كما تشائين. وبيني وبينك، يجب أن تسألي عن التمثيل القانوني لأنك ستحتاجين إليه. لم توَّجه التُهَم إليك رسميًّا بعد، ولكنك ستمثلين أمام المحكمة. لدي سؤال أخير الآن: اسمك. الاسم الذي زوَّدتنا به ليس اسمك الحقيقي، أليس كذلك؟ ولهذا السبب استغرق الأمر بعض الوقت حتى نستطيع التحقق من بياناتك، لأنه لا يوجد أحد باسم بيشنس ليدل يحمل تاريخ ميلادك. يمكننا التحقق من هذه الأشياء في الوقت الحاضر، كما ترين. إذن مَن أنت؟ حقًّا؟

أستطيع أن أثبت أن بيشنس *ليس* اسمي الحقيقي، وأنني اخترت لقب ليدل نسبة إلى أليس ليدل، أليس *الحقيقية* في بلاد العجائب. كانت قصتي المفضلة في طفولتي، القصة التي طلبت من أمي أن تقرأها لي قبل أن أتمكن من قراءتها بنفسي. ولكن لماذا يجب أن أساعد هذه المرأة التي حسمت أمرها بشأني بالفعل؟

أجفف دموعي: «أوَّد إجراء تلك المكالمة».

فرانكي

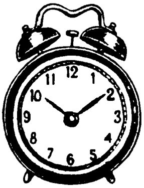

أرسلت فرانكي عشرات الرسائل النصيَّة إلى ابنتها، لكن لم يكن هناك رد. ومن خلال خدمةٍ في هاتفها، عرفت أنَّ الرسائل لم تُقرَأ حتَّى. طلبت رقم نيللي خمسين مرة لكن مكالماتها تذهب مباشرة إلى البريد الصوتي. وهو مجرد تسجيل عام، وليس صوت ابنتها، الصوت الذي تفتقده كثيرًا. تتساءل باستمرار ما إن كانت تتوَّهم رؤية الرسالة النصيَّة، ولكنها لا تزال موجودة، في كل مرة تتحقق منها: ساعديني يا أمي.

تعاني فرانكي ألمًا في صدرها وتشعر وكأنها لا تستطيع التنفس. تتذكر هذا الشعور. في المرة الأولى التي اختفت فيها ابنتها –في سوقٍ مركزيَّة من بين جميع الأماكن– كانت لا تزال صغيرة جدًّا. لا يهم أنها في الثامنة عشرة من عمرها الآن؛ الشعور بالذعر والخوف الساحق لم يختلفا تمامًا. ابنتها الصغيرة في حاجة إليها وهي لا تعرف حتى من أين تبدأ البحث. تضع بعض

النقود على الطاولة مقابل وجبة الإفطار التي طلبتها ولم يعد لديها أي شهية لتناولها، ثم تغادر المقهى. تُسرع بالعودة إلى سيارتها -أربعًا وعشرين خطوة- وترى مخالفة وقوف صفراء على الزجاج الأمامي. تنزعها وتدسها داخل حقيبتها وترفع بصرها في الوقت المناسب لرؤيتهما: صاحب المعرض والمرأة التي تعيش في المنزل الوردي. معًا. يقفان أمام زقاق ضيق.

يسيران نحو المعرض وتلمح فرانكي اللافتة المعلقة على الباب لا تزال *مغلق*، على الرغم من اقتراب الوقت من الظهيرة. يتأكد جُود كينيدي من أن الباب مقفل، ثم يسير مبتعدًا عبر الشارع المرصوف بالحصى باتجاه ميدان طرف الغار[1]. وتبتعد المرأة التي تعيش في المنزل الوردي في الاتجاه المعاكس. لا يتعانقان أو يودعان بعضهما بعضًا. يبدوان وكأنهما غريبان ويبدو المشهد بأكمله غريبًا بعض الشيء، لذا تقرر فرانكي تفقُّد الزقاق الذي خرجا منه للتو بنفسها.

تعج منطقة كوفنت جاردن بالسياح والمتسوقين، لكن الحياة علمتها أن الناس بشكل عام منشغلون بأنفسهم لدرجة تجعلهم لا يلاحظون ما يفعله أو ما لا يفعله شخص آخر. أمامها ثماني وأربعون خطوة من السيارة إلى الزقاق. في البداية، يبدو أنه لا يوجد شيء هناك -فقط بعض الحاويات وصناديق الورق المقوَّى التي تركت هناك لإعادة التدوير- ولكنها بعد ذلك تلمح الباب على جانب المبنى.

فتح الأقفال -من دون مفاتيح- بالنسبة إليها أمرٌ لا يمثل أي صعوبة. فهو من أول الأشياء التي علمتها سجينة في إتش إم بي فعلها. لقد صُدمت جين الكسولة -كما تحب أن تُعرَف- بصدق من المبلغ الذي دفعته فرانكي لصانع الأقفال عندما فقدت مفاتيح بابها. وعلَّمتها جين -التي كانت مدمنة عمل في الخارج والداخل، ولم تكن كسولة على الإطلاق- ما يكفي حتَّى لا تحتاج أبدًا

---

(1) ميدان يقع في حي وستمنستر، وسط لندن، تأسس في أوائل القرن التاسع عشر حول المنطقة المعروفة سابقًا باسم تشيرنغ كروس. يخلد اسم الميدان ذكرى **معركة طرف الغار**، الانتصار البحري البريطاني في الحروب النابليونية على فرنسا وإسبانيا التي وقعت في 21 أكتوبر 1805. (المترجمة)

إلى رجل لفتح الباب مرة أخرى. تعتبر الأقفال الحديثة أكثر تعقيدًا بعض الشيء، ولكن النوع الأساسي، الشكل الذي تجده في معظم الأبواب، يسهل فتحه عندما تتعلم كيف. تحتفظ فرانكي بأداة في حلقة مفاتيحها وستكون بالداخل في أقل من ثلاثين ثانية.

المنظر الذي يستقبلها مخيب للآمال، مجرد سلالم. كثير من السلالم. بإجمالي مئة وثلاث وعشرين دَرجة، تكتشفها عندما تصل إلى القمة. ثم هناك باب آخر، مما يعني قفلًا آخر يجب فتحه. تدفع الباب الثاني وتلهث. هناك قطعة فنيَّة ورقيَّة من دون إطار لثعلبٍ معلَّقة على الحائط، وكانت ابنتها هنا، وهي متأكدة من ذلك. تندفع فرانكي نحو السرير وترفع الوسادة إلى وجهها، وما زالت *رائحتها* تفوح منها. ربما كانت نيللي في هذه الغرفة عندما كانت فرانكي بالأسفل في المعرض هذا الصباح. كذب عليها صاحب المعرض، لا ينبغي لها أن تتفاجأ. فعائلة كينيدي عائلة مليئة بالكاذبين.

تنظر حولها ببطء، كما لو كانت خائفة مما قد تجده أيضًا. تتعرف على بعض الملابس المعلَّقة على الحامل وتلمسها لتتأكد من أنها حقيقية. هناك أشياء أخرى مألوفة على السرير، بما في ذلك علبة الشاي الياباني التي استخدمتها فرانكي للاحتفاظ بنقود الطوارئ بداخلها. تفتح العلبة لكنها تجدها فارغة. المكان كله يعطي انطباعًا غريبًا ويبدو كما لو أن شخصًا ما غادره في عجلة من أمره. ثم ترى حافظة أعمالها الفنية مستندة إلى الحائط. تفتح سحَّابها وتبكي بينما ترى قصاصة تلو الأخرى، صنعتها ابنتها كلها، وهي متأكدة من ذلك.

تشعر فرانكي بالعجز وهي تقف في وسط العليَّة المهجورة. إنَّ الحب بين الأم وابنتها مثل عَقدٍ مُوقَّعٍ بحبرٍ سري، لكن الشروط والأحكام تتفاوت. كل شخص لديه أم، ولكن ليس كل شخص لديه حب الأم. ستظل فرانكي تحب ابنتها دائمًا مهما حدث. هذا ما وقَّعت على فعله. إن الاقتراب من استعادتها إلى هذا الحد ثم فقدانها بطريقة ما هو أمر مدمر. إنها لا تعرف ماذا تفعل الآن، أو أين تبحث، أو كيف تجدها.

لكنهما يعرفان.

وفرانكي تعرف كيف تجدهما.

تأخذ أعمال ابنتها الفنية وتركض هابطة الدرج -المئة وثلاثة وعشرون درجة- ثم تسرع إلى السيارة. ستزور فرانكي المرأة التي تعيش في المنزل الوردي مرة أخرى، وهذه المرة لن تكلف نفسها عناء تحديد موعد.

كِلْيُو

الانشغال يُبقي كِلْيُو في مأمنٍ من أفكارها. فالتمتُّع بالكثير من الوقت للتفكير والشعور واستعادة الذكريات أمر خطير. عادةً ما يكون لديها عملاء لرؤيتهم والاستماع إليهم ومحاولة مساعدتهم، لكنها ألغت جميع مواعيدها اليوم. ونتيجة لذلك، المنزل هادئ جدًّا وصوت أفكارها ومخاوفها عالٍ جدًّا. تحتاج إلى ضجيج مخاوف شخص آخر ليطغى على صوت مخاوفها الخاصَّة. تتجول كِلْيُو في الطابق الأرضي وكأنها تائهة في المنزل الذي تعيش فيه، وتفتح الأبواب كما لو أنَّها تتوقع العثور على أحدٍ يختبئ خلفها. ولكن لا يوجد أحد آخر هنا. ليس بعد الآن.

قراءة الناس وفهمهم والتنبؤ بسلوكهم ليست مجرد وظيفة كِلْيُو، إنها قوتها الخارقة. لكن طالما كانت محاولة فهم نفسها صعبة. ولم تستطع إعادة

تجميع نفسها مرة أخرى بعد ما حدث، لا يعني ذلك أنها حاولت حقًّا، فهي فقط لم تعتقد أنها تستحق الترميم.

لم تعش كِلْيُو دائمًا بمفردها في المنزل الوردي. كانوا ثلاثة فيما مضى: كِلْيُو، وزوجها، وطفلتهما الصغيرة. كانت لديها عائلة سعيدة في سالف الزمان، على الرغم من أن الأمر يبدو الآن وكأنه حلم. فحواف ذكرياتها ممزقة قليلًا وبهتت مع مرور الوقت. كانت تلك أفضل الأشهر والأيام والساعات والدقائق في حياتها، لكن سعادتها سُرقت منها. تنكمش على نفسها، وتفكر في هؤلاء الأشخاص الثلاثة الذين كانوا يعيشون هنا، الأشخاص الذين لم يكن لديهم أدنى فكرة عن أنهم على وشك خسارة كل شيء يستحق. لم تعد هذه النسخة من كِلْيُو موجودة، وذكريات ذلك الوقت تجعلها تشعر وكأن شبحها يطاردها. تتساءل ما الشيء المختلف الذي كانت ستفعله لو كانت حُذِّرت مما قد يحدث، والإجابة هي نفسها دائمًا: كل شيء.

كان الاعتناء بالطفلة يرهقها بالتأكيد طوال الوقت، وربما لم يكن زواجها مثاليًّا –ما هو الزواج؟– لكنها ملكت كل شيء، ولم تتمكن من رؤية ما تملكه حتَّى أخذ منها. كان ينبغي لها أن تستمتع بالحياة أكثر عندما كان هناك الكثير مما يجعلها سعيدة. تتجه كِلْيُو إلى الطابق العلوي، مرورًا بغرفة نومها، وبمحاذاة بسطة الدرج، حتى تصل إلى الغرفة القابعة في نهاية القاعة. كانت تخشى كثيرًا فتح هذا الباب، لكن الأمر يبدو مختلفًا هذه الأيام. فهي الآن غرفة *جمع الأشياء* الخاصة بها. من المرجَّح أنها أجمل غرفة في المنزل، بأفضل إضاءة وإطلالات، لكن كِلْيُو لم تعتد قط قضاء الكثير من الوقت هنا بسبب ما *كانت* عليه هذه الغرفة من قبل. حتَّى طَلَتْ الجدران الوردية بطلاء رمادي حزين، واستبدلت الأرضيَّة الخشبيَّة الصلبة بالسجادة، وجلبت نجارًا ليخطط تلك الجدران الرمادية من الأرض إلى السقف بالرفوف. ظنَّ أنه كان يبني مكتبة. وبدت فكرة جيدة –أن تملأ الغرفة بقصصٍ لها نهايات أكثر سعادة من نهايات قصصها الخاصة– لكن ما كانت تجمعه كِلْيُو ليس الكتب.

إنها تحب هذا المنزل وتكرهه. استمرت في حبِّه والاهتمام به لفترة أطول من أي شخص في حياتها. تكره كِلْيُو المنزل لأنه لم يعد المنزل الذي كان فيما مضى، لكنها لا تستطيع بيعه أبدًا، أو مغادرته إلى الأبد، لأنها لا تقدر

على ترك ألمها وراءها. لا يستحق ذلك. عندما تُغلَق الأبواب في وجهها وتضيق بالحياة ذرعًا -كما يحدث أحيانًا إن لم تُبقِ نفسها مشغولة- تسمح كِلْيُو لنفسها بالفرار إلى المقبرة. تقطع المسافة إليها مشيًا، فهي على بعد شارع واحد فقط، ويبدو ذلك العدل بعينه؛ فهي تعتقد أنها تستحق الذكريات التي تطاردها ليلًا ونهارًا، وأن تُذكَّر باستمرار بكل ما لديها وكل ما فقدته. إنه شكل من أشكال إيذاء النفس الذي يلحم الأجزاء المتبقية منها معًا.

اليوم، مثل أيام عديدة مضت، المقبرة الصغيرة في نهاية الشارع فارغة. الشيء الوحيد الذي يبدو مختلفًا بالنسبة إلى كِلْيُو هو الإحساس الغريب بالمراقبة. هذا الشعور يصيبها بالقشعريرة، لكن عندما تستدير لا تجد أحدًا هناك. تحب الوحدة ممارسة الحيل على الناس. وكذلك الشعور بالذنب. تجد كِلْيُو شاهد القبر الصغير وتجثو على ركبتيها أمامه، ولأول مرَّة لا تهتم إن اتسخت ملابسها. تتساءل أين تريد أمها أن تُدفن، ويغمرها شعور بالانزعاج لأنها لا تعرف الإجابة.

تعتقد كِلْيُو أنَّ الفتاة التي عاشت في العليَّة وعملت في دار الرعاية ربما تعرف. ربما تعرف كل أنواع الأشياء عن أمها التي لا تعرفها كِلْيُو. يميل الغرباء إلى رؤية نسخة مختلفة من الأشخاص الذين نحبهم. ولا تزال كِلْيُو تحب أمها، لكنها ملتزمة بكرهها أيضًا. إنها تشك في أن تلك الفتاة تعرف كل الأشياء السيئة التي فعلتها أمها، لأنها لو كانت تعرف لما حرصت إلى هذه الدرجة على المساعدة. يبدو أن كل ما يراه أي شخص عندما ينظر إلى إديث إليوت الآن هو سيدة عجوز لطيفة. ليس كل من نلتقيه في الحاضر هو الشخص نفسه الذي كان في الماضي.

أمُّها المسنة مفقودة لكن كِلْيُو تشك في أنها ضائعة.

تعتقد أنها تعرف أين تجدها، ولكنها ليست مستعدة للبحث عنها.

وكِلْيُو سعيدة بمقتل مديرة دار الرعاية.

كانت المفتشة على حق في الاشتباه في أن كِلْيُو ارتكبت شيئًا خاطئًا، ولكن مثل أمها، كِلْيُو جيدة جدًّا في إخفاء شخصيتها الحقيقية عن بقية العالم. دائمًا ما يتسرع الناس في الحكم على الآخرين بناءً على مظهرهم،

والطريقة التي يتحدثون بها، ووظائفهم. يُنظر إلى المعالج النفسي على أنه شخص لطيف وحنون وذكي. شخص يمكن أن يكون الناس معه صادقين كالكتاب المفتوح. شخص يمكنهم الوثوق به. إن عرف الناس من هي حقًّا وما هي قادرة على فعله فلن يثقوا بها مرة أخرى أبدًا.

تُقبِّل كِلْيُو أصابعها ثم تلمس شاهد القبر الصغير، مدركة أنه لا يوجد أحد هناك حقًّا. تعتقد أن الموت هو النهاية. إنها لا تؤمن بالله، لكنها تتمنى أحيانًا لو كانت تؤمن بشيء. تشعر بالغيرة من الأشخاص الذين يعمِّر الإيمان قلوبهم، الأشخاص الذين يعتقدون أن هناك حياة أخرى بعد مماتنا. لقد رحل الأحباب الذين فقدتهم كِلْيُو منذ تلك السنوات إلى الأبد، ومن دونهم تبدو حياتها فارغة ولا معنى لها. أثار عيد الأم هذا العام بعض الذكريات الحزينة في نفسها وجعل عقلها يملأ الفراغات بكلمات غير صحيحة. يرتدي الأمل وجهًا عطوفًا، ولكنه غالبًا ما يكون قاسيًا.

تسمع شيئًا مجددًا، صوت انكسار غصين، لكن عندما تستدير لا ترى شيئًا. فهي بمفردها في المقبرة وكِلْيُو لا تؤمن بالأشباح.

لكنها مسكونة بذكرياتها.

تتمنى أحيانًا أن تهرب وتترك حياتها وتبدأ حياة جديدة. لكنها لا تستطيع ذلك. لا أحد يستطيع. ليس حقًّا. فالأشخاص الذين كناهم دائمًا ما يلحقون بنا في النهاية. لذا تفعل كِلْيُو شيئًا لم تفعله منذ سنوات وتسمح لنفسها بالبكاء.

مكتبة ياسمين

t.me/yasmeenbook

فرانكي

تراقب فرانكي المرأة التي تعيش في المنزل الوردي وهي تجثو وتجهش بالبكاء أمام شاهد قبرٍ صغيرٍ، وهو نوع يستخدم فقط عند دفن الأطفال الصغار. تشاهد كيف تهتز كتفاها بينما تنتحب، وكيف تتعثر عندما تنهض، وكأن الحزن يثقلها ويصعِّب عليها الوقوف على قدميها. لدى فرانكي رغبة غريبة في تهدئتها -فهي لا تحب أن ترى أي شخص يتألم، حتَّى الأشخاص الذين آذوها- لكنها تبقى مختبئة خلف شجرة إلى أن تتأكد من رحيل المرأة.

تبعتها فرانكي إلى هنا وهي سعيدة أنها فعلت. ظنَّت أنها تعرف كل شيء عن المرأة التي تعيش في المنزل الوردي، لكنها لم تكن على علمٍ بهذا الأمر. تشق طريقها بين القبور المغطاة بالطحالب، حتى تصل إلى شاهد القبر الصغير الذي كانت المرأة تبكي أمامه. ما زال يبدو جديدًا. تقرأ الكلمات المنقوشة على الرخام الأبيض:

إليانور كينيدي

10 سبتمبر 2002 – 30 مارس 2003

المحبوبة إلى الأبد

إنه قبر طفلة عمرها أقل من سنة. وبرؤية أنها ولدت في شهر سبتمبر، لا تستطيع منع نفسها عن التفكير في ابنتها. لدى فرانكي الكثير من الذكريات السعيدة حول الاحتفال بعيد ميلاد ابنتها كل ربيع، دائمًا في ذلك الوقت المجيد من العام عندما تبدأ الأوراق في الظهور على الأشجار بعد شتاءٍ طويلٍ ومظلمٍ، وتبدأ الزهور في التفتُّح. هذه المرأة المسكينة لم تتمكن من الاحتفال بأي عيد ميلادٍ مع ابنتها، ولا واحد. إنَّ معرفة أن المرأة التي تعيش في المنزل الوردي قد عانت من الألم المدمر لفقدان طفل تُغيِّر في الأمر شيئًا. تبعت فرانكي كِلْيُو، عازمة على مواجهتها، لكن لم يعد هناك أي جدوى. المرأة لا تعرف مكان ابنة فرانكي، فرانكي متأكدة من ذلك الآن.

تتحقق من هاتفها مرَّةً أخرى، لكن لا توجد مكالمات أو رسائل جديدة. فقط الرسالة الأخيرة:

ساعديني يا أمي.

تريد فرانكي ذلك، لكنها تحتاج إلى العثور على ابنتها أولًا. فهي تعلم أن الشرطة لن تساعدها، لكنها تتساءل ما إن كان هناك أحد في السجن قد يتمكن من تتبع هاتف ابنتها. ليس من الجيد أبدًا أن تكون مدينًا لأحد السجناء بمعروف، لكن في هذه الحالة يستحق الأمر المخاطرة. بالأمس، لم تظن أنها ستعود إلى السجن أو إلى وظيفتها قط، لكن الأمور مختلفة الآن. لديها أمل وهدف مرة أخرى؛ لا تزال ابنتها في حاجة إليها. إن تمكنت فرانكي من العثور عليها وإصلاح ما انكسر، فإن الاحتفاظ بوظيفتها حتى تتمكن من توفير مصاريف معيشتهما هو أمر بالغ الأهمية. إنها متأخرة عدة ساعات عن ورديَّتها، لكنها تشك في أن أي شخص سيلاحظ إن وصلت إلى هناك قبل

جلسة المجموعة اليوم. بصفتها رئيسة أمناء المكتبة، تتمتع فرانكي بالحرية في الدخول والخروج كما يحلو لها في معظم الأوقات. فهي لم تقدِّم استقالتها رسميًّا، لكنها لم تكن تخطط للعودة إلى العمل مرة أخرى. ربما هناك طريقة لإعادة كل شيء إلى ما كان عليه والتظاهر بأنَّ شيئًا من هذا لم يحدث.

يستغرق الطريق ساعةً بالسيارة عبر لندن إلى سجون إتش إم بي، وعندما تصل أخيرًا إلى موقف سيارات السجن، تجد أن شخصًا آخر قد ركن سيارته في مكانها المعتاد. من البديهي أن الموقف ليس ملكًا لفرانكي، وهو متاح للزوَّار وكذلك الموظفين، ولكن هذا المكان الذي تركن فيه *دائمًا*. هذه ليست علامة جيدة. تبدِّل ملابسها وترتدي زيَّها الرسمي في الشاحنة، وتخبئ هاتفها في حمالة صدرها. مخاطرة أخرى، لكنها تستحق.

من المعتاد أن يكون هناك ثلاث وسبعون خطوة من السيَّارة إلى بوابة السجن، ولكن لأنها لا تستطيع ركن السيارة أينما تريد، يزداد عدد الخطوات إلى اثنتين وثمانين خطوة. تشعر فرانكي بالانزعاج مرة أخرى. تتردد، متسائلة ما إن كانت هذه علامة أخرى، لكنها ترى سيارة نقل النزلاء تقترب من بعيد. يخضع جميع الموظفين والسجناء للتفتيش من خلال المرور بالبوابة نفسها. إن لم تستعجل، سيكون هناك طابور وهَرجَلَة، لكن قد تكون الهَرجَلَة هي كل ما تحتاج إليه. تُخرج فرانكي تصريح عملها وتتجه إلى الداخل.

تضع حقيبتها في خزانتها، ثم تعدُّ الخطوات بصمتٍ إلى مكتب الاستقبال. الحارس المناوب اليوم هو رجل صغير ممتلئ غالبًا ما يكون في إجازة مرضيَّة. وهذا ليس شيئًا يمكن لأي طبيب أن يساعد فيه، فالرجل يعاني كسلًا غير قابل للشفاء. نفسه قصير وكذلك قامته، ولا يمكنها منع نفسها عن التحديق إلى شعره الأبيض المجعد الأشعث وحاجبيه المماثلين بينما يتحقق من تصريح مرورها الأمني. يرفعه بالقرب من وجهه -ربما يحتاج إلى نظارات- ويفحص شاشته مرتين، على الرغم من أنه عمل مع فرانكي ما يقرب من عشر سنوات. يهمهم ويسمح لها بالمرور كما لو كان يقدم لها معروفًا. يذكرها الرجل بالماعز غير الودود الذي رأته هي وابنتها ذات مرة في حديقة حيوان لندن.

هناك ثماني وعشرون خطوة من مكتب الاستقبال إلى غرفة المسح. تضع فرانكي مفاتيحها وأي شيء معدني على السير المتحرك كما هو الحال

دائمًا، ثم تمر عبر ماسح الأجساد الضوئي، وتتوقف عندما يصدر صوتًا. تمر عبره مرة ثانية -كما تنص القواعد على وجوب ذلك- وتصدر الآلة صوتًا مرة أخرى، مثلما كانت تعلم أنه سيحدث. تقف فرانكي جانبًا مع مباعدة ساقيها قليلًا ورفع ذراعيها في الهواء، كما هو متبع في البروتوكول. تشعر بالفعل بأنها بدأت تتعرق. تحرِّك الموظفة الآن عصا الكشف عن المعادن حول حدود جسدها فقط، وبرفق. ومع ذلك تطن العصا مرتين.

تقول فرانكي: «آسفة، ربما تكون حمالة صدري الجديدة. فهي مدَّعمة بسلك معدني».

- كنتِ في موعدٍ غرامي ساخن، أليس كذلك؟
- فاترٌ بالأحرى.
- ها!

تستديران عندما تسمعان قافلة الواردين الجدد تدخل إلى مكتب الاستقبال؛ هذا هو أحد سجون النساء في المنطقة وهو على وشك الازدحام.

تتنهد فرانكي: «واردون جدد».

تقول زميلتها: «ليساعدني الرَّب، كنت على وشك الذهاب للتدخين. تفضلي بالمرور وأتمنى لك حظًّا سعيدًا في الموعد!».

ترد فرانكي: «شكرًا لك».

تعلم أنه لو قُبِضَ عليها وهي تهرِّب هاتفًا إلى السجن، فلن تُطرَد فحسب، بل ستُحبَس. تجمع أغراضها، وتتفحص ساعتها الميكي ماوس، وتدرك أنها بحاجة إلى الإسراع. تستخدم فرانكي أكبر مفتاح معلَّق بحزامها لفتح الباب، ثم تعبر الفناء وهي تشعر بأنَّ هناك مَن يراقبها. تستخدم مفتاحًا آخر لدخول مبنى (B). أمامها أربعون درجة لتصل إلى طابقها، لكنها تصعد درجتين درجتين اليوم. مفتاح آخر. ثم اثنتين وعشرين خطوة إلى المكتبة. تستخدم المفتاح الأخير لدخولها. تقطع الخطوات الأربع عشرة الأخيرة إلى مكتبها، حيث لا تكاد تجلس حتَّى يطرق أحدهم باب المكتبة. يتأرجح مفتوحًا قبل أن تتمكن من الوصول إليه.

تقول تايلور: «أوه، أنتِ هنا! سمعتُ أنك قد تكونين في إجازة مرضيَّة».

إنَّها الحارسة الأكثر شعبيَّة في السجن، وتحظى بإعجاب الموظفين والنزلاء. لا تفهم فرانكي سبب ذلك، أو لماذا تكره تايلور كثيرًا. ربما تكون شعبيتها السبب، أو الطريقة التي يتمايل بها ذيل حصانها الطويل بينما تتبختر في مشيتها، أو كيف تبدو *دائمًا* مبتهجة لسبب غير مفهوم. لا تثق فرانكي بالأشخاص السعداء طوال الوقت.

تقول فرانكي وهي تحاول مضاهاة نبرة الابتهاج المزعجة في صوت المرأة: «أنا هنا!».

فتخرج منها مصطنعة، وتلامس ابتسامتها زاويتي فمها بفتور.

- عظيم. جلبتُ لكِ أربعًا اليوم.

تقول فرانكي باندفاع: «رقم أربعة يعني الموت في اللغة الصينيَّة[1]».

تحدِّجها تايلور بنظرة تعجُّب: «هل هذا صحيح؟ (ثمَّ تلقي نظرة على ساعتها كما لو أن لديها مكانًا أكثر أهمية للتوجُّه، مثل مقصف الموظفين) تعالوا، هيَّا ادخلوا. الكتب لن تعضكن، ولا أريد أن أقضي وقتًا أطول معكن أيتها الفاشلات (تبتسم تايلور وهي تهين السجينات، والأغرب من ذلك أنهن يبتسمن إليها)».

تتساءل فرانكي ما إن كان ينبغي لها تجربة النهج نفسه، لكنها لم تكن جيدة أبدًا في إهانة الناس. أو الابتسامة في وجوههم.

تُناولها تايلور القائمة وتتسلَّمها فرانكي. هناك قائمة لكلِّ نشاطٍ في السجن، ولكن لحسن الحظ، القوائم شيءٌ هي مغرمة به. يتعيَّن على النزيلات التقدُّم لجميع الأنشطة عبر الإنترنت باستخدام جهاز كمبيوتر في زنزانتهن. عندما بدأت فرانكي العمل هنا لأول مرة، تفاجأت عندما علمت أن السجينات لديهن أجهزة كمبيوتر، لكن يمكنهن فقط الوصول إلى الشبكة الداخليَّة. يجب على المشرفات على كل جلسةٍ أو ورشة عملٍ -مثل فرانكي، المسؤولة عن جميع الأحداث في المكتبة- الموافقة على كل طلب. بمجرد الموافقة، تجمع

---

(1) هناك تشابه في لفظ رقم أربعة (Sì) مع لفظ كلمة الموت (Sǐwáng) في اللغة الصينيَّة، ولذلك يتجنَّب الصينيون استخدام هذا الرقم في حياتهم اليومية، فهو في اعتقادهم نذير شؤم وجالبًا للمآسي والأرواح الشريرة. (المترجمة)

الحارسة النزيلات، وتصحبهن إلى النشاط، ثم تُسجِّل أسمائهن في قائمة مثل القائمة التي تحدق فرانكي إليها الآن. لا بأس بأربعة أشخاص في جلسة بعد الظهر. هناك أنشطة أخرى أكثر شعبية -مثل تصفيف الشعر والسباكة- ولكن أخيَرهن من يخترن الكتب. هذا ما تعتقده فرانكي. تراجع أسماء النساء الأربع اللاتي يدخلن الغرفة، وتؤشر بعلامة بجوار كل اسم، قبل أن تشكر تايلور وتغلق باب المكتبة.

تسأل ليبرتي، إحدى أصغر النزيلات في سجون إتش إم بي: «هل ستكون زيارة المؤلفة في موعدها كما هي غدًا يا آنسة فليتشر؟».

يبدو اختيار والديها للاسم مؤسفًا نظرًا للحال الذي انتهت إليه الفتاة[1]. ليبرتي هي واحدة من النزيلات المفضَّلات لدى فرانكي: واسعة الاطلاع، تجدها دائمًا في الوقت المحدد، ودائمًا ما تعرض المساعدة. لديها شعر أشقر مموج، وتتحدث بواحدة من لهجات كوكني[2] الثقيلة التي تبدو بسيطة في أذني فرانكي، كما لو أنها خرجت للتو من موقع تصوير فيلم «ماري بوبينز» (Mary Poppins). لا تستطيع فرانكي تذكُّر سبب دخول ليبرتي السجن، وهناك وقت يصبح من الوقاحة أن تسأل فيه. مثلما يحدث عندما تعرف شخصًا ما لفترة طويلة، ولكنك لا تزال لا تفهم حقًّا كيف يكسب لقمة عيشه.

تقول ليبرتي، قاطعة حبل أفكارها: «هل كل شيء على ما يرام يا آنسة فليتشر؟ لا تبدين في حالتك الطبيعية اليوم».

وتدرك فرانكي أنها كانت تحدق إلى الفتاة، ربما لأنها في عُمر ابنتها نفسه تقريبًا.

- أنا آسفة، فذهني منشغل قليلًا. عمَّاذا كنتِ تسأليني؟

تقطب ليبرتي جبينها، وتبدو بملامح طفلة لا يمكن أن تكون في مكانٍ مثل هذا: «هل ستكون زيارة المؤلفة في موعدها كما هي غدًا؟».

لقد نست فرانكي كل ما يتعلق بهذه الزيارة تمامًا.

---

(1) اسمها بالإنجليزية (Liberty)، والذي يعني: حريَّة. (المترجمة)

(2) لكنة ولهجة إنجليزيَّة، يتحدث بها أهل لندن وضواحيها، ولا سيَّما الطبقة العاملة والطبقة المتوسطة الدنيا في لندن. (المترجمة)

- نعم بالطبع.

تقول الفتاة: «رائع! فهي واحدة من الشخصيات التي أوَّد أن أعض ذراعي اليمنى وأقابلها!».

تعرف فرانكي أنها تعبر عن حماسها البالغ بمثل هذه التعبيرات، ولن تعض في الواقع ذراعها أو ذراع أي شخص آخر.

تقول فرانكي مخاطبة المتطوعات: «أعرف مدى تطلعكن جميعًا إلى زيارات المؤلفات الشهريَّة، ولهذا السبب فكَّرت في ضرورة أن نقضي جلسة بعد ظهر اليوم في ترتيب المكتبة، بحيث يصبح كلُّ شيءٍ جاهزًا للغد. (يتأوهن جميعهن) أو يمكنني استدعاء الحارسة لإعادتكن إلى زنازينكن إن كنت تفضلن ذلك؟ (يلف الصمت المكتبة) جيِّد. لماذا لا تأخذ كلٌّ منكن ركنًا، وتتأكد من نظافة وترتيب الكتب على الرفوف. هناك كومة من المرتجعات تحتاج إلى المراجعة وإعادتها أيضًا».

حالما ينشغلن جميعهن، أو على الأقل يبدون أنهن يفعلن شيئًا مفيدًا، تتجه فرانكي نحو مكتبها وتتحقق من الجدول المثبت فوقه. تحجز شهريًّا موعدًا مع كاتبة لزيارة السجن، الأمر الذي أثبت شعبيته لدى النزيلات والموظفين على حد سواء. يتعين على النزيلات التقدم بطلب للمشاركة، وبمجرد الموافقة عليه، يُمنحن نسخة من أحدث كتاب للمؤلفة لقراءته قبل موعد الزيارة. تبدأ الزيارة عادةً بمحاضرة للمؤلفة تليها أسئلة وأجوبة -غالبًا ما تكون مباشرة-. لا تستطيع فرانكي تذكُّر اسم المؤلفة التي حجزت معها موعدًا للغد؛ لم تكن تظن أنها ستبقى هنا. لكن يتضح الآن أنها كاتبة جريمة، النوع الذي يحظى بشعبية كبيرة في السجن.

تلقي فرانكي نظرة لتتأكد من أن المتطوعات ما زلن مشغولات، ثم تعود أدراجها إلى مكتبها، قبل أن تحلَّ أزرار قميصها لتخرج الهاتف المخبَّأ داخل حمالة صدرها. لا توجد مكالمات لم يرد عليها، ولا رسائل جديدة، ولا حتى إشعار.

يهمس صوتٌ خلفها: «أمسموح لكِ إدخال هاتف محمول إلى هنا يا سيدة فليتشر؟ ظننتُ أنه حتى الموظفين يجبرون على ترك هواتفهم في مكتب الاستقبال ويسمح لهم باستخدام أجهزة الاتصال اللاسلكية فقط».

تتسمَّر فرانكي في مكانها، ثم تستدير ببطء وترى ليبرتي.

تقول: «لدي حالة طارئة شخصية».

أنصاف الحقائق أفضل من الأكاذيب الكاملة.

تجيب ليبرتي مبتسمة: «آه من تلك النكتة القديمة! لقد كان لدي بعض هذه الحالات أيضًا. لا تقلقي يا آنسة فليتشر، سرك بأمان معي».

إنه ليس تهديدًا مستترًا، فالنظرة البادية على وجه الفتاة نظرة اهتمامٍ صادق. تحترم ليبرتي فرانكي كثيرًا وليس من الممكن أن تسبب لها أي مشكلة. نادرًا ما يكون منظور الشباب مستويًا؛ إما ينظرون إلى من هم أكبر منهم بعين الإجلال وإما بعين الاحتقار بدلًا من النظر إليهم على قدم المساواة. كانت فرانكي نفسها تفعل ذلك في شبابها. حالما تهم الفتاة بالعودة إلى الرفوف لفرز كومة من الكتب، تتذكر فرانكي سبب وجودها في السجن.

- ليبرتي؟

- نعم يا آنسة فليتشر؟

- كانت قضية قرصنة، أليس كذلك، التهمة التي تقضين مدة عقوبتك في السجن بسببها؟

- لا أحب تعبير «مدة العقوبة» يا آنسة. أومن أنَّ وقتي ملكي، وأنا فقط أسدد ما أدين به. ولكن نعم، القرصنة هي... التهمة التي قُبِضَ عليَّ بسببها.

- اغفري لي جهلي في هذه الأمور، ولكن هل هذا يعني أنك قد تعرفين شيئًا أو شيئين عن تتبع الهواتف؟

تهز ليبرتي رأسها: «لا، ليس شرطًا، ولكني أعرف. أعرف شيئًا أو شيئين عن الكثير من الأشياء التي لا ينبغي لي أن أعرفها. هل تحتاجين إلى بعض المساعدة يا آنسة فليتشر؟ لأنك إن أردتِ ذلك، فأنا فتاتك».

بيشنس

حتى الآن، أُلقي القبض عليَّ، ووجهت إليَّ الاتهامات، ونُقلت من مركز الشرطة إلى المحكمة، وعُيِّن لي محامٍ استغرق وقتًا أطول في فحص هاتفه بدلًا من الاستماع إلى أي شيءٍ اضطررتُ إلى قوله. أُجبرت على المثول أمام القاضي الذي بدا وكأنه على وشك أن يغطَّ في النوم في أثناء قراءة قضيتي، ووُضعت في الحبس الاحتياطي، وهو ما يعني كما هو واضح أنني لن أعود إلى البيت في أي وقت قريب. ولا يعني ذلك أنَّ لدي بيتٌ أعود إليه بعد الآن. أُنقَل الآن إلى السجن. كلما اعتقدت أنَّ الأمور لا يمكن أن تسوء، تسوء أكثر. قال المحامي إنني سأبقى في السجن حتَّى تبدأ محاكمتي، لكن لا أحد يستطيع أن يخبرني متى سيكون موعدها.

نفَّذتُ ما كتب إليَّ في الرسالة النصيَّة، ولم أنبس بكلمة، ولكن ربما كان ذلك خطأً.

كانت المكالمة الهاتفية الوحيدة التي سُمح لي بإجرائها مضيعة للوقت أيضًا. كان هذا هو الرقم الوحيد الذي أحفظه عن ظهر قلب، لكن لم يجب أحد. أنا الآن في سيَّارة نقل برفقة تسع نساء أخريات. جميعهن أكبر مني سنًا، ورغم أنني لا أرغب في إصدار الأحكام، فإنهن جميعهن يبدون كما لو ارتكبن كل ما اتُهمن به. لكن ربما أبدو مذنبة أنا الأخرى؟ بالتأكيد، لأنه يبدو أن الجميع يصدقن أنني كذلك. لا أحد يتحدث وأحاول تجنب التقاء الأعين، لأنه في كل مرة أُمسَك وأنا أحدق إلى إحداهن، فإن النظرة التي تحدق بها إليَّ بدورها ترعبني.

تركن السيارة وينزل الجميع منها كما لو كان هذا روتينًا مألوفًا بالنسبة إليهن. أتبعهن، ولكنني أتوقف عند درجات الحافلة عندما أرى أين نحن.

أقول: «سجون إتش إم بي؟».

تجيب السائقة التي تبدو بشعرها الرمادي ونظاراتها الزرقاء بمظهرٍ يؤهلها لقيادة حافلة مدرسية لا حافلة نقل سجينات: «معذرة، ولكن هل ظننتِ أننا سنذهب إلى ديزني لاند؟ هيًّا، أسرعي وانزلي».

أفعل ذلك ويُصفق باب الحافلة خلفي.

هذا السجن هو المكان الذي تعمل فيه أمي. أو على الأقل المكان الذي اعتيد أن تعمل فيه حتَّى آخر مرة تحدثت إليها. أعلم أنها كانت تحب ركن سيارتها دائمًا في المكان نفسه، لكني لا أستطيع رؤية شاحنتها الصغيرة. لقد مرَّ عام تقريبًا، لذا أعتقد أنها ربما حصلت على وظيفة جديدة. ربما انتقلت إلى مكان آخر. ربما غيرت رقمها. أتأمل المنظر المخيف لجدران السجن الشاهقة والأسلاك الشائكة أعلاها، وأحاول إخفاء خوفي.

يطلب منا حارسٌ يغزو الغضب ملامحه أن نصطف –مثل الأطفال– بينما ننتظر الدخول. هناك يُرَّحب بنا –وأنا أشير بالترحيب ضمنيًّا إلى شيءٍ مختلفٍ تمامًا– من قبل رجل قصير سمين بشعر أبيض مجعد وحاجبين باللون نفسه. يحدق إلينا جميعًا، ويمتعض، ويهز رأسه وكأنه محبطٌ جدًّا مما يراه. ثم يهمهم قبل أن يقرأ أسماءنا من القائمة. أنتظر أن ينادى اسمي لأتقدم إلى الأمام.

- بيشنس ليدل؟

أقول بينما أتقدَّم نحو المكتب: «نعم».

ينبح: «وجهك إلى الأمام».

ويذكرني قليلًا بديكنز وهو ينبح ويهاجم الغرباء. أتساءل أين إديث وديكنز الآن، أتمنى أن يكونا بخير.

يهدر الحارس في اتجاهي مرة أخرى وأشم رائحة نفسٍ كريهة: «ضعي يدك اليمنى على الشاشة».

أقاطعه دون تفكير: «لقد فعلت هذا بالفعل في مركز الشرطة».

يقول: «أوه، أنا آسف. هل نأخذ الكثير من وقتك الثمين؟ هل أنت في عجلة من أمرك للوصول إلى زنزانتك لإتمام بعض الأعمال العاجلة التي لا تحتمل الانتظار؟ (تضحك الوافدات الجديدات بينما أهز رأسي) حسنًا، في هذه الحالة أقترح عليك بشدة أن تفعلي فقط ما يُملى عليكِ في أثناء إقامتك معنا. وأن تحتفظي بأفكارك لنفسك. لا أحد مهتم بك أو بأي شيء تريدين قوله، وخاصة أنا. فهمتِ ذلك؟ اليد اليمنى، ثم اليسرى، ثم حدقي إلى الأمام مباشرة باتجاه الكاميرا».

لقد التقيتُ رجالًا مثله من قبل، لذلك أفعل ما يُملى عليَّ.

بعد ذلك، نُنقَل جميعنا إلى غرفة مكدَّسة بالماسحات الضوئية. هناك ثلاثة حراس يرتدون الزي الرسمي -رجل واحد وامرأتان- ولا يبدو أي منهم ودودًا. جيوبي فارغة -أخذت الشرطة كل ما أملك، وقالوا إنه دليل إدانة- لذلك عندما أخلع حذائي وأمر عبر الماسح الضوئي، لا يصدر صوتًا. تسببت إحدى النساء الأخريات في إثارة غضب الآلة ثلاث مرات.

تسأل إحدى الحارستين: «حمالة صدر بسلك داخلي؟ لقد سببت لنا مشاكل اليوم».

روفقت المرأة التي أطلقت كل صافرات الإنذار إلى خلف الستار حيث سمعتُ الحارسة وهي تطلب منها خلع ملابسها. ولحسن الحظ، اقتدتُ وسط مجموعة عبر باب آخر وخرجتُ منه إلى فناء مفتوح، حيث ننتظر وقتًا طويلًا جدًّا حتى تتمكن الأخريات من اللحاق بنا. عندما ينتهين من ذلك، نسير في

صف نحو مبنى آخر، مع حارسة أمامنا وأخرى خلفنا. ترتدي الحارسة الأولى شارة مكتوب عليها اسم تايلور.

أستطيع أن أرى العديد من المباني الكبيرة، وجميعها محاطة بجدران عالية جدًّا تعلوها أسلاك شائكة. كل شيء رمادي: الأرض، المباني، السماء، الحالة المزاجية، الزي الرسمي لجميع مَن نمرُّ بهم. أتبع الحارسة التي تدعى تايلور إلى مبنى كبير رُسم حرف (C) على جانبه. تسحب مفتاحًا من حزامها، وبمجرد دخولنا، تقفل الباب خلفنا. نصعد بعض السلالم، ثم تسحب مفتاحًا آخر لفتح بابٍ آخر، والذي يكشف عن مساحة ضخمة تشبه المستودع، بزنازين على كلا الجانبين ودَرَج معدني في المنتصف.

ليس حلمًا، الجميع يتوقف ويحدق إلينا. تتوقف الحارسة عن المشي فجأة أمام زنزانةٍ وأصطدم بها بشدَّة. تمتعض تايلور، ثم تخفض بصرها لتتحقق من حافظة الأوراق التي تحملها.

- بيشنس ليدل؟

- نعم.

- هذه زنزانتك. ستجرين مقابلة السجن أول شيء غدًا، وستحصلين على رقم وبطاقة هوية بعد ذلك. سيُوَضَّح لكِ كل شيء يتعلق بهذا المكان ووقتك به خلال تلك المقابلة. في الوقت الحالي، ستجدين زيًّا موحدًا -والذي يجب عليكِ ارتداءه على الفور- وفراش نظيف في زنزانتك، بالإضافة إلى كوب بلاستيكي وطبق وأدوات مائدة. هناك أيضًا مجموعة أدوات نظافة شخصيَّة وفرشاة أسنان ومنشفة. لقد فاتك الموعد النهائي لطلب وجبات العشاء، ولكنك ستتسلمين بالتأكيد وجبة الإفطار في الصباح. في حالة وجود أي مشكلة، تواصلي مع الضابط المسؤول عن قضيتك.

أسأل: «مَن هو الضابط المسؤول عن قضيتي؟».

- سيُعيَّن لكِ واحدٌ غدًا.

أعلم أن المرأة تتحدث الإنجليزية، لكنها تحدثت بسرعة كبيرة لدرجة أنني لا أفهم نصف ما قالته للتو.

أسألها: «ماذا لو كان لدي أي مشاكل الليلة؟».

- أقترح عليكِ ألا تعرضي نفسك لذلك. (تفتح الباب وتحدق إليَّ وكأنني أسبب تأخيرًا غير مريح، فأدخل الزنزانة على مضض) علاوة على ذلك، ستحظين برفقة زميلة في الزنزانة. أنا متأكدة من أنها سترحب بك ترحيبًا حارًّا وتجعلك تشعرين وكأنك في بيتك».

قبل أن تغلق الباب. أسمع صلصلة المفاتيح المألوفة وهي تحبسني بالداخل، وأشاهدها وهي تبتعد قبل أن أستدير لأستوعب ما يحيط بي.

الزنزانة صغيرة. بها سريران، واحد على كل جانب من جانبي الزنزانة، بينهما طاولة صغيرة ونافذة أصغر. على يمين الباب ستارة قذرة بالكاد تخفي مقعد المرحاض الملطخ خلفها. على اليسار هناك مكتب فوقه ما يشبه الحاسوب، وهو ما يدهشني. أحد السريرين مفروش بملاءة بيضاء سادة، مع بعض الأغطية والملابس المكدسة بشكل مرتَّب على طرفه. أما السرير الآخر فمفروشٌ بلحاف شيرا[1] ومغطى بوسائد ملونة ودمى محشوَّة. هناك امرأة شابة بشعر أشقر مجعد تجلس على ذلك السرير وفي حجرها كتاب مفتوح.

- مرحبًا، أنا ليبرتي.

---

(1) بطلة سلسلة (She-Ra: Princess of Power) الخارقة. (المترجمة)

إديث

يتردد صدى الأجراس في أنحاء الكنيسة القديمة مما يجعل إديث تقفز من مكانها. عادت إلى كنيسة سانت بول فقط لتجمع ما تركته هنا بالأمس وتنتظر توقف المطر. يجلس ديكنز بجوار مقعد الكنيسة، ويحدق إليها ويهز ذيله.

تقول إديث: «كنتُ أريح عينيَّ فقط».

تخفت الأصوات تدريجيًّا إلى أن تتلاشى، وتنظر حولها لتتأكد من أن المكان لا يزال فارغًا. إنها سعيدة برؤيته كذلك، لكن يغمرها أيضًا شعورٌ بالحسرة على هذه المساحة المهدرة. يُهجَر الكثير من الكنائس القديمة الجميلة هذه الأيام، ويتراكم الغبار على قلاع الإيمان الفارغة. من الممكن أن تخدم غرضًا أكبر في المجتمع المحلي بكلِّ تأكيد.

تقول وهي تتنهد وتجر نفسها من المقعد الكنسي الخشبي القديم: «هيَّا يا ديكنز، لدينا الكثير لفعله. لا بدَّ أن الدعسوقة تتساءل أين نحن الآن».

تجمع إديث شتات نفسها وكذلك أغراضها وتغادر الكنيسة. تلقي تمثال العدسة المكبرة في أول صندوق قمامة تراه في الشارع، وبذلك سيجد طريقه إلى أقرب مكب نفايات. ثم يسيران عبر الشارع المرصوف بالحصى عائدين نحو الزقاق. تجد إديث المفاتيح التي أعطتها لها الفتاة، لكن ليست هناك حاجة إلى استخدامها، فالباب مفتوح قليلًا. هناك الكثير من الدرجات المؤدية إلى العليَّة، كثيرة جدًّا، لذا فهي تستخدم الدرابزين لتعين نفسها على صعودها، تاركة لديكنز مساحةً ينطلق فيها أمامها. يكلِّف السقوط في هذه الأيام رحلةً إلى المستشفى، لذا تأخذ إديث وقتها في مراقبة قدميها حتى لا تتعثر.

تقول، بعد أن ترى العليَّة فارغة: «يا إلهي، هذه أحجية لا تنذر بخير».

أزيلت جميع قصاصات الورق من الجدران باستثناء واحدة. اختفت الدعسوقة وكذلك أغراضها. تتحقق إديث بالنظر تحت السرير وترى أن حقيبتها الجلدية الوردية القديمة لا تزال موجودة. تسحبها للخارج وتفتحها وتشعر بالارتياح عندما ترى متعلقاتها بالداخل. تفتح علبة بسكويت الكاسترد وتأكل واحدة.

تسأل وهي تحدق إلى الكلب: «ماذا سنفعل الآن يا ديكنز؟ لا يمكننا العودة إلى دار الرعاية ولا أريد أن أموت وراء القضبان. أنا كبيرة على هذا الهراء. كبيرة جدًّا ومتعبة جدًّا. (ينبح ديكنز وتومئ إديث برأسها) أنت على حق، حان وقت العودة إلى البيت».

كِلْيُو

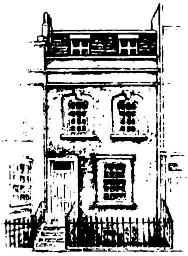

أغلقت كليو الباب الأمامي بقفلٍ حماية مزدوجٍ بمجرد وصولها إلى المنزل، ثمَّ أغلقت الشبابيك وسحبت جميع الستائر، لكنها ما زالت تشعر كما لو أن هناك من يراقبها.

إنَّها تسمع أصواتهما أحيانًا في المنزل.

ابنتها وزوجها.

تخبر نفسها أنها تتوَّهم وهذا مجرد خيالها.

بالتأكيد خيالها، فقد تركها وحيدةً في العالم بعد ستة أشهر فقط من فقدان طفلتها. لن تسامحه أبدًا.

في بعض الأحيان عليك أن تسقط لتتذكر كيف تعين نفسك على النهوض. اعتادت أمها قول ذلك طوال الوقت وكانت كِلْيُو توافقها. لكن جرِّب أن تسقط

من علوٍّ شاهقٍ، وبقوَّةٍ شديدةٍ، وبسرعةٍ كبيرةٍ جدًّا، وستنسى كيف تتسلَّق لتخرج من الظلام. ستنسى حتَّى أنَّك تريد. تحتاج إلى شغل نفسها وصرف ذهنها عن التفكير في الأشياء، لذا تتجه إلى الطابق العلوي. أزالت كِلْيُو جميع المرايا الموجودة في المنزل تقريبًا لأنها اعتادت رؤية وجهيهما فيها. هناك واحدة متبقية في أعلى الدرج -حتى تتمكن من ضبط مظهرها قبل مواعيدها مع العملاء- لكنها تتجنب النظر إلى نفسها في جميع الأوقات الأخرى. إنها رحلة لا تريد أن تنطلق فيها عيناها، خائفتين مما قد تريان، فتبكيان من جديد دموع الندم.

يحتاج مختلف الأشخاص إلى طرقٍ مختلفةٍ للتعامل مع المشكلات الصعبة، وأي معالج نفسي يعرف ذلك. لا يوجد نهج واحد يناسب الجميع للشفاء، وهناك العديد من آليات التكيف الشهيرة، والتي ثبت أن معظمها غير جدير بالثقة على المدى الطويل. إصلاح الآخرين كان دائمًا أسهل من إصلاح نفسها. كِلْيُو لا تشرب أو تدخن أو تتعاطى المخدرات -باستثناء نبتة سانت جون[1] من متجر الأطعمة الصحية والأسبرين في بعض الأحيان- لكنها مدمنة على شيء ما. غرفة جمع الأغراض هي المكان الذي تحب أن تعزل فيه نفسها عندما يرتفع صخب الحياة. فهي ملاذٌ من نوعٍ ما. أسرار بعض الأشخاص مكتوبة على وجوههم، لكن كِلْيُو تحتفظ بها في صناديق على أرفف خشبية مخصصة، في غرفة كانت في السابق مكانًا لرعاية طفلة.

إنها تقف هناك الآن، معجبة بتناسق وترتيب كل شيء فيها، وهو التناقض الصارخ مع الفوضى المنتشرة في حياتها. غرفة خاصة بها حيث يمكنها التحكم في الأشياء والحفاظ عليها آمنة. كان من المفترض أن يكون هذا منزلهم إلى الأبد، وفي بعض النواحي لا يزال كذلك. ستبقى هنا إلى الأبد وذكرياتها حولهما تعني أنهما سيبقيان أيضًا.

---

(1) شجيرة مزهرة تعود في الأصل إلى القارة الأوربية. وترجع تسميتها بهذا الاسم إلى حقيقة تفتح زهورها في أغلب الأحيان في يوم ميلاد سانت جون أو القديس يوحنا، المعمدان المذكور في الإنجيل. توجد العشبة كمكمِّل غذائي في هيئة مشروبات كالشاي، وأقراص، ومواد سائلة، ومستحضرات موضعية، وتساعد على تخفيف أعراض القلق والاكتئاب. (المترجمة)

لم يكن هناك شيء سهل فيما يتعلق بأن تصبح أمًّا، لكنه كان كل ما أرادته. استغرق منهما ذلك عامين قبل أن تصبح حاملًا. كانت تخشى أحيانًا ألا يحدث ذلك أبدًا، ثم بمجرد حدوثه، تمنَّت في بعض الأحيان لو لم يحدث قط. تحاول أن تنسى الفترة السابقة لوصول الطفلة. فهي ليست أكثر من مجرد ذكريات غير واضحة عن الإرهاق والمرض والقلق والخوف الشديد من أن تفقد طفلة أخرى. وُلدت ابنتها الصغيرة. ثم فقدتها على أي حال.

كانت في أكمل صورة. كانوا عائلة. حتى لم يعودوا كذلك.

منحت كِلْيُو ابنتها الحياة وكل الحب الذي قدرت على تقديمه. أصرت على إعطاء إليانور لقبها أيضًا، وهو القرار الذي تظاهر زوجها بأنه موافق عليه. احتفظت كِلْيُو بكينيدي -لقب عائلتها قبل الزواج- عندما تزوجت، ولم يكن التخلي عن اسمها أو أي جزء منها أمرًا يمكن استيعابه أو التفكير فيه، وكانت طفلتها جزءًا منها. هذا ما شعرت به. كانت ابنتها جزءًا منها كسبته وخسرته في الوقت نفسه.

كانت هذه الغرفة في السابق غرفة نوم ابنتها، ولكنها الآن المكان الذي تحتفظ فيه بمجموعتها. لدى كِلْيُو أكثر من خمسمئة زوج من الأحذية الرياضية. جميعها مقاسها، لكن معظمها لم يلمس الأرض قط. بعضها نادر جدًّا: عناصر أصلية لهواة الجمع. ما يحرِّك شغفها بها هو مزيج من الحنين وحب تصميم القوالب. لفترة طويلة بعد أن فقدت ابنتها، كان فتح صندوق حذاء رياضي جديد هو الشيء الوحيد الذي يجلب لها السعادة. قد يكون التحدث مع أي معالج نفسي حول هذا الأمر يومًا مشهودًا، ولكن نظرًا لكونها معالجة هي نفسها، فإنها تتمتع بخبرة كافية تعفيها من التحدث إلى أي شخص عن عاداتها السيئة.

تجلس كِلْيُو متربعة مثل طفلة على أرضية غرفة جمع الأشياء الخاصة بها. تأخذ أحد صناديق الأحذية من الرف وترفع الغطاء ببطء. يوجد في الداخل زوج جديد تمامًا من أحذية «نايكي اير» (Nike Air) الرياضية من الثمانينيات، وهي قطعة لهواة الجمع تبلغ قيمتها عدة آلاف من الجنيهات الإسترلينية. تعجب به، ثم تعيده إلى مكانه بعناية. إن شرعت في بيع بعض

هذه الصناديق فقط، فسيحل ذلك مشاكلها المالية، لفترة على الأقل، لكنها خسرت بالفعل الكثير من الأشياء الثمينة بسبب ما تسمى عائلتها.

لم يكن هناك أي أموال احتياطية لشراء الأشياء الجميلة عندما كانت كِلْيُو تكبر. في بعض الأحيان كانت أمها تجعلهم يختارون بين تناول العشاء أو تشغيل جهاز التدفئة؛ لم يتمكنوا من تحمل كليهما. لذلك ارتدت كِلْيُو أحذية قماشية رخيصة في حصة التربية البدنية في المدرسة، بينما كانت جميع الفتيات الأخريات يرتدين أحذية نايكي أو أديداس أو ريبوك الفاخرة. كانت هناك أشياء كثيرة أرادتها كِلْيُو في الحياة: ابنة، وزوج، وأسرة متحابة، ومهنة مرضية... أشياء، حتى لو تمكنت من الحصول عليها لفترة وجيزة، سرعان ما فقدتها مرة أخرى. لكن صناديق الأحذية الرياضية هذه شيء تتحكم فيه. شيء يمكنها الحفاظ عليه آمنًا، والاعتناء به، والاحتفاظ به متى أرادت ذلك. مجموعتها هي سرها المخزي، وهو سر تشعر بالخجل الشديد منه. لكن هذا ليس سرها الوحيد. وليس أكبر أسرارها.

تتمنى كِلْيُو أن يكون هناك شخص يمكنها الاتصال به. لطالما كانت جيدة في تكوين الأصدقاء، ولكنها لم تكن جيدة في الاحتفاظ بهم. وعندما حدث ذلك، تجنبت وتجاهلت جميع أصدقائها حتى توقفوا عن التواصل معها. تظن أنهم بالبعد عنها شعروا بالارتياح؛ الحزن يمكن أن يكون معديًا. لقد توقف فيضان الدعم الأوَّلي عندما فقدت طفلتها -على شكل بطاقات، وزهور، ومكالمات هاتفية، وهدايا- في النهاية. سرعان ما يتعب الناس من محاولة المساعدة عندما يدركون أنهم لا يستطيعون تقديمها.

تأخذ كِلْيُو صندوقًا آخر من الرف، لكن ما بداخله ليس حذاءً رياضيًّا.

ترفع بعناية ألبوم الصور الأبيض الصغير الذي كانت تخبئه بداخله منذ سنوات عديدة. الصورة في الصفحة الأولى هي صورة لكِلْيُو في سرير المستشفى وهي تحمل ابنتها الرضيعة. كِلْيُو صغيرة جدًّا في هذه الصورة، متوردة بالبهجة والصحة وكأنك تنظر إلى صورة شخص مختلف تقريبًا. إنها تبتسم وهي أسعد صورة رأت فيها وجهها على الإطلاق.

الصفحات القليلة التالية كلها مكدَّسة بصور الطفلة. كانت ابنتها أجمل مخلوق رأته كِلْيُو على الإطلاق، التقطا صورًا لها في كل مكان. إنها تبتسم

الآن برؤية النمش الصغير الموجود على أنف ابنتها الصغير. كانت كِلْيُو تحب دائمًا اعتباره نمشًا على الرغم من أن الطبيب نفى ذلك، وقال إنها وحمات ولادة صغيرة. لم يعجبها ذلك، أو أي شيء آخر يشير إلى وجود خطأ ما في طفلتها المثالية. إن رؤية عائلتها وقد لُمَّ شملها في صفحات ألبوم الصور يذكرها بمدى سعادتهم قبل أن تسلب منهم السعادة. تتلاشى ابتسامتها عندما تجد الصورة التي تبحث عنها: أمها وهي تحمل طفلتها لأول مرة. ابنة كِلْيُو ملفوفة ببطانية مغطاة بالدعاسيق، هدية من إديث، التي تبتسم بإشراق للكاميرا. أقنعها زوجها بالتصالح مع أمها عندما ولدت ابنتهما. كان يعتقد أن الأسرة مهمة وأصرَّ على أن هذا هو الشيء الصحيح الذي ينبغي عمله. كان مخطئًا.

لم يقل أبدًا إنه يلوم كِلْيُو على ما حدث، لكنه فعل.

لم يكن خطأها، ولكنها استغرقت وقتًا طويلًا لتصدق ذلك.

كيف كان بإمكانها أن تعرف أن رحلة إلى السوق المركزيَّة ستدمر حياتهم؟

بيشنس

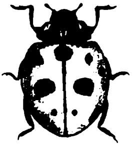

تقول ليبرتي: «ليس من الضروري أن يدمر السجن حياتك. ابقي معي وستكونين بخير».

لا أصدقها، لكني ممتنة لكلِّ ما فعلته من أجلي. ساعدتني ليبرتي في ترتيب سريري، وعرضت عليَّ علبة كولا وبعض رقائق دوريتوس، وأمضت الساعتين الأخيرتين في شرح كل شيء عن الحياة داخل السجن. عندما وصل عشاء ليبرتي، أصرت على مشاركتي نصف كل شيء منه، وغرفت أكثر من النصف على طبق بلاستيكي أحمر باستخدام أدوات المائدة البلاستيكية. لم أحصل على وجبة عشاء خاصَّة لأنني لم أدرج على النظام بعد. وها نحن الآن نأكل السمك ورقائق البطاطس والبازلاء المهروسة، والأمور ليست فظيعة كما ظننت أنَّها ستكون.

تسأل ليبرتي: «كيف تعاملت عائلتك مع مسألة إرسالك إلى هنا؟».

أهز كتفيَّ: «لستُ متأكدة من أنهم يعرفون مكاني».

- لستِ ماذا؟ ألم تخبريهم؟

- حاولت أن أخبر أمي، لكن كل شيء حدث بسرعة كبيرة.

- هل هذه هي عائلتك؟ أنت وأمك فقط؟ (أحاول إخفاء انزعاجي وتظهر سرعة بديهتها في تغيير الموضوع) حسنًا، في المستقبل، يجب أن تبدئي في طلب وجباتك الخاصة لتصل إلى الزنزانة ثلاث مرات يوميًّا. عليكِ اختيار ما تريدين تناوله في الإفطار والغداء والعشاء باستخدام جهاز الحاسوب. لا يمكنك فعل ذلك بعد لأنه ليس لديك رقم سجين. نأمل أن يعطوكِ واحدًا غدًا. نحن نأكل في الزنازين وإلا فستكون هناك معارك على الطعام. إنه في الواقع الشيء الذي يتقاتل الناس هنا عليه أكثر من غيره. آدم آند إيف[1]. (أقطب جبيني) آدم آند إيف، بيليف! ما علينا. ليكن في علمك، الحاسوب هو أيضًا الطريقة التي يمكنك من خلالها التقدم للأنشطة، أو قبول الزيارات، أو ترتيب المكالمات الهاتفية. كل شيء يجري من خلال الحاسوب، لكنك تحتاجين إلى كلمة مرور، ولهذا تحتاجين إلى رقم سجين...

أقول: «وهو ما لا أستطيع الحصول عليه حتَّى الغد».

- هذا تمامًا ما قصدت شرحه لك! كل شيء هنا يستغرق وقتًا طويلًا جدًّا.

ثمَّ تسألها ليبرتي وهي تخرج كيسًا من الحلوى، ومستلقية على السرير المفروش بلحاف شيرا: «هل تريدين مصاصة؟».

- لا، شكرًا. كيف يمكن أن يكون بحيازتك كل هذه *الأشياء*؟

- مثل ماذا؟

- لحاف الأطفال، الألعاب، الحلوى.

---

(1) في لهجة الكوكني العامية يُعبَّر عن الكلمة المقصودة بكلمات أخرى **تتفق معها في القافية لا المعنى**. على سبيل المثال هنا: **يستخدم مصطلح (Adam and Eve it) للتعبير عن (Believe it) أي: صَدِّق، لأنهما على قافية واحدة.** أمثلة أخرى للتوضيح: (Bobby Moore) مقابل (Sure)، و(Rosie Lee) مقابل (Tea)، و(Loaf of Bread) مقابل (Head)، و(Bees and Honey) مقابل (Money)، و(Pig and Roast) مقابل (Toast). (المترجمة)

- أشيائي الخاصة تقصدين؟ كما قلتُ لكِ، السجن في الحياة الواقعية ليس كما يبدو في الأفلام. أحضرت لي أمي هذه الأشياء -فهي تجلب لي لعبة في كل مرة تزورني تقريبًا- ويُسمح لي بالاحتفاظ بها ما دمتُ ملتزمة بالقواعد. (عندما تتحدث عن القواعد، يجعلني حديثها أفكر في دار الرعاية. كانت إديث على حق: الدار أشبه بالسجن) لا تزال أمي تعتقد أنني فتاة صغيرة، وأراهن أن أمك تعتقد ذلك أيضًا. الأمهات اللاتي لا يرغبن في أن يكبر أطفالهن يتظاهرن أحيانًا بأنهن لم يكبرن. أنا متأكدة من أن أمك ستجلب لك بعضًا من أغراضك لتجعلك تشعرين وكأنك في بيتك عندما تأتي لزيارتك. (يفضحني وجهي مرة أخرى) هل أنتِ متأكدة من أنني لا أستطيع أن أثير اهتمامك بمصاصة؟ (تسألني وأهز رأسي) كما تشائين. (تقشر غلاف تشوبا تشوبس[1] ثم تضعها في فمها). إذن، إليكِ بالسؤال الكبير الذي سيرغب الجميع في معرفة إجابته: ماذا فعلتِ؟ (تميل بجسدها إلى الأمام وتبدو كطفلة تتنظر سماع قصتها المفضلة قبل النوم).

أخبرها: «لم *أفعل* أي شيء».

- بالطبع! لم يفعل أحدٌ منَّا شيئًا! (ترسم ليبرتي إشارة الصليب كما يفعل الكاثوليك، قبل أن تضغط كفيها في وضعيَّة الصلاة) كل شخص هنا قديس. اسمحي لي أن أعيد صياغة السؤال: ماذا *يقولون* إنك فعلتِ؟ الادعاءات وكل هذا الهراء؟

- إنها قائمة طويلة.

- نعم، نعم، ولكنك هنا فقط في الحبس الاحتياطي. نحن نسمي مَن هم مثلك سُيَّاحًا. تبقين هنا فقط في إجازة لمدة أسبوعين قبل أن تسافري مرة أخرى إلى العالم الحقيقي. عليك أن تخبريني بتهمتك، إن كنت أتشارك الزنزانة معك، فيحق لي أن أعرف ما إذا كان من الآمن لي أن أغمض عينيَّ في الليل. إنها القواعد.

---

(1) بالإسبانية (Chupa Chups): علامة تجارية إسبانية لشركة مصاصات وسكاكر. تأسست العلامة التجارية عام 1958 على يد إنريك بِرنات، وهي مملوكة حاليًّا لشركة بِيرفيتي ڤان مِيلِّي الإيطالية الهولندية. (المترجمة)

- حسنًا. أنا متهمة بالسرقة والاحتيال... والقتل.

تخرج ليبرتي مصاصتها من فمها وتحدق إليَّ بفم مفتوح: «*قتل*؟ أنتِ؟». تتغيَّر الأجواء وتتوتَّر على الفور.

- كما قلتِ لكِ، لم أرتكب هذه الجرائم. أظن أنَّ مكيدةً ما نُصبت لي.

تحدق إليَّ لفترة من الوقت: «تعلَّمتُ ألَّا أحكم على كتابٍ من غلافه، ولكن يبدو أنني خلطتُ بين واحدٍ لأجاثا كريستي وآخر لجين أوستن. افترضتُ أنَّك ربما تكونين نشَّالة أو سارقة معروضات. لم أكن لأخمن أنَّك قاتلة ولو جلست أفكِّر لأعوام».

- أنا *لستُ* قاتلة.

- لا تفقدي السيطرة على أعصابك! أنا أصدقك.

- إذن قد تكونين الشخص الوحيد الذي يصدقني. (أحاول أن أتمالك نفسي) آسفة، أنا فقط متعبة جدًّا ومتوترة، أشعر وكأنني أفقد عقلي. شكرًا للطفك معي.

- اللطف مجاني. علاوة على ذلك، لقد قدمت لك معروفًا صغيرًا الآن، وأعلم أنك ستردينه لي عندما يحين الوقت.

تنطفئ الأنوار ونغرق في الظلام. أرمش عدة مرات في محاولة للتكيُّف مع الظلام، لكن كل شيءٍ حالك.

أسأل: «ماذا يحدث؟».

تقول ليبرتي بسماع الذعر في صوتي: «لا بأس، إنه وقت انطفاء الأضواء فحسب».

- في الساعة الثامنة؟

- نعم. في الوقت نفسه من كل ليلة. سيعاد تشغيلها في الساعة السابعة صباح الغد. حاولي الحصول على قسط من النوم وحاولي التحلي بالصبر، يا صبر. غدًا سيكون يومًا أفضل، وسترين. قلتِ إنك تعتقدين أن شخصًا ما أوقع بكِ. من يكون؟

- شخص التقيته في دار رعاية وكنتُ غبيةً لدرجة الوثوق به.

إديث

إديث تائهة. استقلَّت الحافلة رقم 72 وقرعت الجرس عندما مرت بالحانة، لكن هناك خطأ ما. منزلها القديم، بيتها، يجب أن يكون هنا. لكنه اختفى. وكذلك منزل جارتها، والمنزل ذو البابين في نهاية الشارع. هذا هو الطريق الصحيح -تحققت منه مرتين- ولكن يبدو أنَّ مبنًى سكنيًّا فاخرًا قد بُنِي في المكان الذي اعتيد أن يكون فيه منزلها.

تشعر بالبرد، والارتباك، وشيءٍ من الخوف، تمسك حقيبتها الوردية بإحدى يديها، وحزام الكلب بيدها الأخرى، وتجلس في محطة الحافلات، ولكن دون أن يتبقى لها أي مكان تذهب إليه. ما كان في السابق حيًّا آمنًا لم يعد يبدو كذلك بعد الآن. يحل الظلام الآن، ويبدأ الوقت في التأخر. لكن إديث ليس لديها أي خيارات. إنها لا تعرف ماذا تفعل.

تهمس لديكنز: «أنا لا أفهم. تمنيتُ لو طرقتُ الباب، وشرحتُ لمن يعيش هناك الآن أن هذا كان بيتي حقًّا، وأظنني فكرتُ في أنهم ربما سيفعلون الشيء

الصحيح: يغادرون على الفور ويسمحون لي باستعادته. (تجعلها كلماتها تبدو وكأنها حمقاء وهي تعلم أنها كذلك) قال المحامي إنه واثق من قدرته على المساعدة في استعادة منزلي، لكن المنزل اختفى بالفعل. اختفى *كل شيء*».

في يوم من الأيام، كان هذا الشارع عبارة عن مجموعة فقط من المنازل المتجاورة والمقابلة للحقول وحديقة جميلة حيث اعتادت هي وديكنز الذهاب للتنزه. الآن دُفِنَ كل شيءٍ كان هنا تحت الخرسانة. لم يعد التعرف على المكان ممكنًا تمامًا باستثناء عمود إنارة واحد قديم الطراز، يتوهج بخفوت في الظلام. لقد مضى العالم من دونها وكأنها ماتت بالفعل. يرتجف الضوء وتتمنى إديث لو كان معطفها أكثر دفئًا. إنها تشعر بالبرد أكثر بكثير مما اعتادت. يرتجف ديكنز أيضًا. تسمع إديث خطًى تقترب من محطة الحافلات وتستدير نحوها.

تسأل: «مَن هناك؟».

ولكن كل شيء خلف ضوء الشارع مستتر بالظلال.

يقول صوت في الظلام: «مرحبًا يا أمي».

ثم تظهر كِلْيُو كالغول.

- ماذا تريدين؟ ماذا فعلتِ بمنزلي، ببيتي؟

تقول كِلْيُو: «أنا آسفة لأنك اكتشفت ما حدث بهذه الطريقة. أنا آسفة لأنك اكتشفته من الأساس. كان علينا بيعه. لم يكن لديَّ خيار».

- هراء! الناس *دائمًا* لديهم خيارات. اخترتِ فقط الخيار السهل، الخيار الأفضل بالنسبة لك. كالعادة. (تحدق إلى السماء المرصعة بالنجوم) ماذا فعلتُ لأستحق مثل هؤلاء الأبناء الأنانيين؟

- لقد ربيتِنا لنكون مثلك. أنا آسفة، أنا آسفة حقًّا، لكني متعبة جدًّا ولست على استعدادٍ لخوض هذا الجدال مرة أخرى. الوقت متأخر والجو بارد. هل من الممكن أن آخذك الى البيت؟

- لن أعود إلى ذلك المكان.

- أقصد منزل*ي*. في الوقت الحالي.

- لا أريد الذهاب إلى هناك أيضًا. لن أذهب إلى مكانٍ وجودي به غيَّر مرَّحب.

تتمتم كِلْيُو: «لم يمنعك هذا من قبل قط».

- ماذا قلتِ لي؟

- لا شيء. من فضلك هل يمكننا المغادرة؟ هناك سيارة أجرة تنتظرني وهذه الأشياء ليست مجانية.

- حسنًا، يجب أن يكون لديك بعض النقود المدخرة من بيع منزلي من دون علمي.

- لقد وقَّعتِ على الأوراق.

- إن فعلتُ ذلك فهذا يعني أنني تعرضتُ للخداع.

- ليس من خلالي. كنا بحاجة إلى المال لدفع تكاليف رعايتك.

- من *أنتم* وعن أي *رعاية* تتحدثين؟ لم يهتم هؤلاء الناس بي، وأنتِ لم تهتمي على الإطلاق.

تسأل كِلْيُو: «كيف يمكنك أن تقولي ذلك بعد كل ما فعلته من أجلك؟».

- الشخص الوحيد الذي يهتم بي هي الدعسوقة.

- إن كنت تقصدين الفتاة التي تعمل في دار الرعاية، فهي فعلت فقط الأشياء التي فعلتها من أجلك لأنها حصلت على أجر مقابل ذلك.

- كاذبة. أنت لا تعرفين ما الذي تتحدثين عنه.

- *دُفِعَ لها* مقابل الاعتناء بك في الدار. *دُفِعَ لها* لتزوِّد جُود بالقليل من الأخبار. *دُفِعَ لها* لإخراجك من هناك، من قِبلي. ثمَّ تأتين أنتِ وتغيرين وصيَّتك وتتركين كل شيء لها تقريبًا. لماذا تفعلين ذلك؟ إن كنتِ تعتقدين أنها حفيدتك المفقودة منذ زمن طويل، فأنت موهومة أكثر مما ظننتُ. لا شيء مما تعتقدين أنك تعرفينه حولها حقيقي. لم تخبرك حتَّى باسمها الحقيقي.

تقطب إديث جبينها: «أنتِ مخطئة بشأنها، وبشأن كل شيء».

- حسنًا. أنتِ محقة، وأنا مخطئة. أين هي الآن إذن؟ (تسأل كِلْيُو لكن إديث لا تجيب) هيَّا تعالي، دعينا لا نستمر في هذا. أنتِ ترتجفين،

وديكنز أيضًا، وأراهن أنكما جائعان. لماذا لا نتحدث عن كل شيء في المنزل؟

تحدّق إديث إليها: «لن أذهب إلى أي مكان معك».

- أنا أدرك تمامًا أنني من أكبر الأشياء التي تندمين عليها، ولكني كل ما لديك.

- ماذا تقصدين؟

- قرأتُ دفتر ملاحظاتك.

- كيف تجرئين على التفتيش في أشيائي الخاصة!

- كنتُ أعرف دائمًا أنك لم تريدني، ولم تستلطفيني، ولم تحبيني. لم تنجحي في إخفاء ذلك جيدًا. لم تخفِه على الإطلاق. جعلتني أشعر باستمرار كما لو كنتُ غلطة، وقد رأيت حياتي كلها من خلال عدستك. كما لو أن كل شخص أقابله هو شخص لم يكن يجب أن أقابله، وكل شيء أراه هو شيء لم يكن يجب أن أراه، وكل ما أفعله هو شيء لم يكن يجب أن يحدث قط، *لأنكِ* جعلتِني أشعر أنني لا يجب أن أكون هنا على الإطلاق. وربما لهذا السبب فقدت ابنتي الصغيرة. ربما لم يكن من المفترض أن تكون هنا أيضًا: لأنني لم أكن كذلك. لأنكِ لم تريدني حقًّا قط. عندما كنت طفلة وتغضبين مني -وهو ما فعلتِه كثيرًا- كنتِ دائمًا تقولين الشيء نفسه. *أتمنى أن تختفي*. ربما حان الوقت لتتحقق أمنيتك.

ترد إديث بينما تبدأ كِلْيُو في الابتعاد: «اذهبي إذن، إلى حَيثُ أَلقَت[1]. أخبريني شيئًا واحدًا قبل أن تذهبي. هل أتت الشرطة لرؤيتك أو استجوابك مؤخرًا؟».

---

(1) ترجمة المثل من شعر زهير بن أبي سُلمى: «فَشَدَّ وَلَم تَفزَع بُيوتٌ كَثيرَةٌ.. لَدى حَيثُ أَلقَت رَحلَها أُمُّ قَشعَمِ». أم قشعم: هي المنيّة أو الحرب، ويستعمل شطر بيت زهير في الدعاء على الغائب ألَا يرجع، أو على الذي يسوءك ليذهب عنك إلى غير رجعة، أو على من ينصرف عنك بعد أن كان ثقيلًا. (في العامية: في ستين داهية، أو طريق تودي ما تجيب). (المترجمة)

تتوقف كليو. تستدير على عقبيها، وتنظر حولها لتتأكد من عدم وجود من يسمعهما بالقرب، وتسير عائدة نحو أمها: «حول ماذا؟».

- حولي.

- ما بك؟

- حسنًا، أنا مفقودة، أليس كذلك؟

- يختفي المئات من الأشخاص كل يوم، والشرطة لديها أشياء تقلقها أكبر منك.

تقول إديث: «مثل جريمة قتل مديرة دار الرعاية، تقصدين؟».

كِلْيُو غير قادرة على قراءة التعبير البادي على وجه أمها. أحيانًا يكون من الخطر أن تطرح سؤالًا قد لا ترغب في معرفة إجابته، لذا فهي لا تفعل.

- أمي، أعتقد حقًّا...

تهز إديث رأسها وتقاطعها: «كنتُ هناك عندما ماتت، وأعتقد أن الوقت قد حان ليفعل أحد أفراد هذه العائلة الشيء الصحيح».

فرانكي

تجلس فرانكي في السيَّارة لبعض الوقت، تراقب قاربها للتأكد من أن شخصًا آخر لا يراقبه. أو ينتظر عودتها إلى المنزل. بعد أن شاهدت بنفسها ما يحدث للمجرمين الذين يُقبَض عليهم من قلب الحدث، فإنها لا تخطط لترك ذلك يحدث لها. هذا كله خطأ فرانكي، ولكن، حتى لو كان بإمكانها العودة بالزمن إلى الوراء، وفعل الأشياء بشكل مختلف، فلم تكن لتفعل. ما زالت السعادة التي منحتها إيَّاها أخطاؤها تفوق الحزن. إن تمكنت فقط من العثور على ابنتها، فربما يصبح حينها كل شيء على ما يرام، ولكن في كل مكانٍ تبحث فيه يُثبت أنه طريق مسدود.

لا تزال مرعوبة من فكرة أن الشرطة كانت هنا في *ذا* بلاك شيب هذا الصباح. كان ينبغي لفرانكي أن تغادر بالفعل، ولكن ماذا لو عادت ابنتها الصغيرة واختفى القارب؟ إن الذهاب إلى السجن بعد ظهر اليوم يبدو غلطة لم تدركها إلا بعد فوات الأوان. قالت ليبرتي إنها ستطلب من صديق

تتبع الهاتف -كل ما تحتاج إليه هو الرقم- لكنها لم تبدُ متفائلة. حتى لو تمكنت فرانكي من معرفة مكان ابنتها عندما أرسلت رسالة نصية تطلب فيها المساعدة، فإن فرص بقائها هناك تبدو الآن ضئيلة.

نزلت من السيَّارة وسارت على طول ضفة النهر، ونظرت خلفها مرتين قبل أن تتجه إلى داخل القارب. حالما تغلق الباب وتقفله، تذهب فرانكي مباشرة إلى غرفة نوم ابنتها، متمنية أن تكون هناك بطريقة سحرية. لكنها ليست هناك. كل شيء لا يزال كما كان عندما هربت قبل عام. كان هناك سبب لعدم قدرة فرانكي على إظهار شهادة ميلاد ابنتها أو إخبارها عن أبيها. سبب وجيه جدًّا. وعلى الرغم من أنها حاولت جاهدة أن تفعل الشيء الصحيح، فقدت أكثر شخص يهمها في هذا العالم.

إن قلة النوم تجعل التفكير بوضوح مستحيلًا، ولكن كيف يمكنها أن تستريح بينما ابنتها بالخارج هناك بمفردها وتواجه مشكلة؟ لقد اتصلت فرانكي بالفعل بجميع المستشفيات، ولكن لم تُدخَل بيانات أي شخص يحمل اسم ابنتها خلال الأربع والعشرين ساعة الماضية. تعتقد أن الشراب قد يساعدها -على الرغم من أنه نادرًا ما يفعل ذلك- لذا تصب بعض النبيذ الأحمر في كوبها المفضل، وتشعل الموقد ليدفئ الجو، ثم تجلس على كرسيها المفضل في زاويتها المريحة للقراءة. باستثناء أنها ليست مريحة الليلة وأنها ليست في حالة مزاجية تسمح لها بالقراءة. تجلس فرانكي وتحدق إلى اللهب، مأخوذة لعدة دقائق قبل أن تلاحظ الضوء الوامض على جهاز الرد الآلي الخاص بها. إنها لا تكلف نفسها عناء التحقق منه هذه الأيام لأنه لا أحد يتصل أبدًا. الشخص الوحيد الذي اعتاد أن يتصل بالخط الأرضي -الشخص الوحيد الذي احتفظ بالرقم- كان ابنتها.

تضغط فرانكي زر التشغيل.

ينطلق صوت الرد الآلي أولًا: «لديكِ رسالة واحدة جديدة. تُركت اليوم الساعة الثانية وثلاث وأربعين دقيقة مساءً». تنظر فرانكي إلى ساعتها الميكي ماوس، وتدرك أن الرسالة تركت منذ عدة ساعات.

- أمي، هذه أنا. لا أعلم من أين سأبدأ. أنا في ورطة وأنا آسفة. أنا في مركز الشرطة في كوفنت جاردن. هناك مفتشة تدعى تشابمان وهي

تعتقد أنني فعلت شيئًا ما. شيئًا سيئًا. (تشرع ابنتها في البكاء ويحطم صوتها قلب فرانكي) أنا خائفة يا أمي. رجاءً ساعديني.

تحدق فرانكي إلى الآلة كما لو كانت شبحًا.

تشابمان. المفتشة نفسها التي جاءت إلى القارب هذا الصباح.

تنهار تمامًا، وتقترب من الآلة قدر الإمكان، وتكاد تعانقها، ثم تعيد تشغيل الرسالة مرة أخرى.

بمجرد أن تتوقف، تلتقط مفاتيح السيارة، وتأخذ معطفها وحقيبتها، وتتجه نحو الباب. لن تكون حركة المرور سيئة للغاية في هذا الوقت من الليل، ومن المفترض أن تتمكن من الوصول إلى كوفنت جاردن في أقل من ساعة. تتردد عندما تصل إلى ضفة النهر. إن كانت ستذهب إلى مركز الشرطة طوعًا بعد كل هذه السنوات، فيجب أن تكون متأكدة من أنها تفعل الشيء الصحيح. إنها لا تتردد مرة أخرى. تعرف فرانكي أن الوقت قد حان للاعتراف بما فعلته.

كِلْيُو

يقول سائق التاكسي: «أنا لا أوصل الكلاب».

ينبح ديكنز كما لو أنه يفهم وتحدق كِلْيُو إليه، ثمَّ تعرض على السائق: «سأدفع لك مبلغًا إضافيًّا. أحتاج إلى إعادة أمي المُسِّنة إلى المنزل».

يجيب: «ليست مسألة نقود (تلوي كِلْيُو قسمات وجهها. ففي تجربتها، كل شيء تقريبًا يدور حول النقود في النهاية) لدي *حساسية*».

تفكِّر في أنَّ *لديها حساسية من فعل الشيء الصحيح*.

تقترح إديث: «لماذا لا نستقل الحافلة؟».

تقول كِلْيُو للسائق قبل أن ينطلق مبتعدًا: «حسنًا، شكرًا على أيِّ حال».

تقول أكثر النساء وقاحة على سطح هذا الكوكب: «ليست هناك حاجة إلى أن تكوني وقحة مع الناس يا كِلْيُو، وليست هناك حاجة إلى العبوس. أعرف

جميع خطوط الحافلات، وهي مجانية لي باستخدام تصريح مروري. ها هي الحافلة رقم اثنان وسبعون الآن».

- أيًّا كان ما تريدين. فلنركب الحافلة ونخرج من هنا.
- إذن سأذهب إلى مركز الشرطة.
- يمكننا أن نتحدث عن ذلك عندما نعود إلى المنزل.

يصعدون الحافلة الحمراء ذات الطابقين ويتجهون نحو الخلف. الحافلة ليست مزدحمة إلى هذه الدرجة، لكن كِلْيُو تفضل ألا يسمعهم أحد، إذ تشعر بالقلق بشأن ما قد تقوله أمها بعد ذلك. يجلس ديكنز في حضن إديث ويحدق إلى النافذة ويقضيان الدقائق الخمس الأولى من الرحلة في صمت.

تسأل إديث وهي تصرخ بصوتٍ يعلو صوت الحافلة: «هل تريدين بسكويت الكاسترد؟ (تدس يدها داخل جيبها وتخرج علبة مأكول نصفها) أم كوكيز؟ إنها برقائق الشوكولاتة! (تقول إديث وهي تخرج علبة أخرى من جيب آخر. وتهز كِلْيُو رأسها) ولم لا؟ لا يوجد فيها لحم».

- أنا خضريَّة.
- أعرف. ولهذا تبدين مريضة جدًّا. هل النباتيون لا يأكلون الكوكيز؟ هل أنت قلقة بشأن مكوناتها؟

يستدير شخصان أمامهما في مقعديهما للتحديق إليهما وتتمنى كِلْيُو أن تنشق الأرض وتبتلعها.

تهمس: «أن تكون خضريًّا أكثر تعقيدًا قليلًا من أن تكون نباتيًّا[1]».

تقول إديث وهي ترفع قطعة من بسكويت الكاسترد وتأخذ قضمة منها: «كلُّ شيء معكِ معقد، ودائمًا ما تكونين نزقة عندما تشعرين بالجوع، ولكن أنتِ وشأنك. (يتكثف البخار على نوافذ الحافلة، وتستخدم إديث إصبعها لرسم دعسوقة على الزجاج) الجميع يعلم أن الدعاسيق تجلب الحظ، لكن هل

(1) الفرق الرئيسي بين النباتيين والخُضريين هو أن الخُضري لا يستهلك أي منتجات حيوانية، في حين أن النباتي لا يستهلك اللحوم أو الأسماك. وهذا يعني أن الخضريين يتجنبون أيضًا منتجات الألبان والبيض والعسل وأي منتجات أخرى تأتي من الحيوانات. (المترجمة).

تعلمين أن بقعها السوداء تمثل الفرح والحزن؟ (تسأل بفم مملوء بالفتات). جميعنا نختبر الفرح والحزن في حياتنا. لا توجد حياة مثالية، علينا أن نتعلم الموازنة بين الأوقات الجيدة والسيئة، ومسامحة بعضنا بعضًا على الأخطاء، لأن الجميع يرتكبها. (تنظر إديث إليها، لكن كِلْيُو تستمر في التحديق إلى النافذة لذلك تأخذ قطعة بسكويت أخرى) إن الدعاسيق غزيرة النسل، وعازمة على ضمان مستقبلها وحماية إرثها، لدرجة أنها تلد أحيانًا دعاسيق تحمل أجنَّة. تولد بناتهن مستعدَّات لإنجاب المزيد من البنات. جيلٌ بعد جيل، يكررون ويعيشون الحياة نفسها التي عاشها الجيل الأخير، دون تغيير أماكنهم أبدًا. لم أرغب قط في أن تتحولي إلى نسخةً مني. أتمنى...

تقول كِلْيُو وهي تقرع جرس الحافلة: «أعتقد أننا وصلنا».

ينزلون في محطة نوتينج هيل ويتمشون بقية الرحلة، ويشقون طريقهم ببطء عبر شارع بورتوبيللو[1] حتَّى يصلوا إلى الشوارع الخلفية الهادئة والمنزل الوردي.

تقول إديث وهي تحدق إلى المكان: «لم أعتقد قط أنني سآتي إلى هنا مرة أخرى».

ولا أنا أيضًا، تفكِّر كِلْيُو وهي تفتح الباب. تراقب أمها -والكلب- يسيران داخل منزلها المثالي دون أن يمسحا أقدامهما على ممسحة الأقدام. تقول لنفسها أن تدع ذلك يمر. إنها ليلة واحدة فقط.

تجبر كِلْيُو وجهها على الابتسام: «مرحبًا».

ترفع إديث حاجبًا: «أمرحَّبٌ بنا حقًّا؟».

- بالطبع. طلبي الوحيد هو أن تُبقي الكلب...
- ديكنز.
- أن تبقي ديكنز بعيدًا عن الأثاث، ولا أريده أن يصعد إلى الطابق العلوي.

---

(1) شارع يقع في حي نوتينج هيل، في غرب العاصمة البريطانية لندن. يشتهر بسوقه التي تحمل اسمه، ويعود تاريخها إلى عام 1870م، وهو خليط من الأكشاك والمقاهي والمطاعم واستوديوهات الفنانين. (المترجمة)

- لا أعرف لماذا تكرهين الكلاب إلى هذه الدرجة، إن صحبتهم رائعة، وخصوصًا لشخصٍ مثلك يعيش بمفرده.

تعض كِلْيُو لسانها: «هل تريدين بعض الشاي؟».

تومئ إديث، وتخلع معطفها وتأخذ راحتها وكأنها في بيتها: «نعم من فضلك. شاي بحليب وملعقتين من السكر».

- أعلم كيف تفضلينه.

- وربما قطعة كوكيز. إن كان لديك أي منها. شيء طبيعي، لا شيء من هذا الهراء النباتي.

وها نحن بدأنا، تفكر كِلْيُو بينما تنسحب نحو المطبخ.

لقد دار الحديث نفسه تمامًا في المرة الأخيرة التي كانت فيها إديث هنا. انتقدت أمها كل شيء وتصرفت كما لو كان منزل كِلْيُو فندقًا. واحد من تلك الفنادق التي لا تعجبها. بدا الأمر كما لو أنها كانت تقدم معروفًا لابنتها من خلال البقاء في بيتها.

ليلة واحدة فقط، تذكر كِلْيُو نفسها بينما تنتظر الماء يغلي في الغلاية.

تدخل إلى الصالة وهي تحمل صينية فوقها كوب من الشاي، وكوب من الماء، وطبق من الزبيب والقرفة، ووجبة خفيفة من الشوفان. لكن إديث ليست هناك. ديكنز جالس على أريكة كِلْيُو، ويحدق إليها ويهز ذيله.

تقول: «انزل (لكن الكلب يتمدد ويأخذ راحته أكثر. تضع الصينية على الطاولة وترفع الكلب وتنزله على الأرض، ممسكة به على مسافة ذراع) هناك قواعد في هذا المنزل. ممنوع الجلوس على الأثاث، ممنوع المضغ، ممنوع العض، ممنوع النباح. (يميل الكلب رأسه إلى الجانب) ممنوع الصعود إلى الطابق العلوي...».

تقاطعها إديث عائدة إلى الغرفة: «وممنوع الترويح عن النفس. هذا المكان يبدو وكأنه متحف أكثر من كونه منزلًا».

تجيبها كِلْيُو: «شكرًا لكِ، يعجبني».

- حسنًا، طالما كنتِ تتصرفين بغباء وعلى نحو غريب.

- غرفة النوم الاحتياطية كلها مُجهزة لكِ في أعلى الدرج. لقد كان يومًا طويلًا جدًّا، وأعتقد أنني سأصعد للنوم الآن.

تسأل إديث: «ألا تعتقدين أننا يجب أن نتحدث؟ (تأخذ كوب الشاي من الصينية، ثم تلتقط إحدى رقائق الشوفان وتشمها) ما هذه؟».

- كوكيز.

تأخذ إديث قضمة صغيرة ثمَّ تمتعض: «يا للقرف! هذه ليست كوكيز».

- أنا متعبة حقًّا يا أمي. هل يمكننا التحدث في الصباح؟

- لا أعتقد أن الموضوع يحتمل التأجيل حتى ذلك الحين.

- أي موضوع؟

- مديرة دار الرعاية المقتولة. ماذا لو اعتقلت الشرطة الشخص الخطأ؟ لا أريد أن يؤنبني ضميري في مثل هذا العمر.

- *لقد* اعتقلوا شخصًا ما.

تسأل إديث بعينين متسعتين يملؤهما القلق: «مَن؟».

لا تعتقد كِلْيُو أن إزعاجها مرة أخرى فكرة جيدة وتتمنى لو أنها لم تقل أي شيء: «قرر أحد المفتشين استجوابي...».

- *أنتِ*؟

- نعم، ولكن فقط لأنني كنت أزور دار الرعاية في وقت قريب من حدوث ذلك. وكانت المفتشة تشابمان مقتنعة بوجود ثلاثة مشتبه بهم، وقالت إنني واحدة منهم...

تكرر إديث وهي تحدق إلى ابنتها: «مَن اعتقلت؟».

تتنهد كِلْيُو: «بيشنس».

- ماذا؟ اعتقلوا الدعسوقة؟

- ألقي القبض عليها ووجهت إليها التهم حسب ظني.

تصرخ إديث: «لماذا لم تخبريني باكرًا؟ هذا كله خطأي. علينا أن نذهب إلى الشرطة الآن».

فرانكي

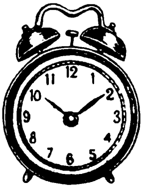

تركن فرانكي سيَّارتها مقابل مركز الشرطة في كوفنت جاردن. من الممكن أن تتعرض لغرامة بسبب ترك السيارة هنا -فقد حصلت على واحدة بالفعل اليوم- ولكن هذا هو أقل ما يقلقها الآن. يستغرق الوصول إلى المدخل الرئيسي ثلاثًا وثلاثين خطوة سريعة. ثلاثة وثلاثون هو رقمٌ جيدٌ، وفريدٌ من نوعه، ويعتقد بعض الناس أنه يرمز إلى الشجاعة. ما تفعله فرانكي الآن ليس شجاعة، إنه الشيء الصحيح الذي ينبغي فعله.

مركز الشرطة قديم، بجدرانه المكشوفة من الطوب وتركيباته وتجهيزاته الخشبية. يتردد صدى خطواتها على الأرضية المبلَّطة. هناك مكتبٌ مسوَّر بحاجزٍ بلاستيكيٍّ في غرفة الاستقبال، يجلس خلفه ضابط شرطة يقرأ إحدى الصحف، بشعرٍ منحسرٍ عن جبهته، وبطنٍ متدليَّةٍ فوق حزامه، وذقنٍ مكسوَّة بلحية خفيفة تشبه نشارة القش تعلوها لطخة من الخردل. يبدو في هيئة رجلٍ عجوزٍ مُحاصَرٍ في جسد رجلٍ أصغر قليلًا في العمر.

تقول فرانكي: «أرغب في رؤية المفتشة تشابمان».

وتُصعَق عندما لا يرفع الضابط نظره إليها حتَّى. لذلك تضيف: «الأمر يتعلق بفتاة مفقودة».

يستمر في تجاهلها، فتحاول قول شيءٍ آخر لجذب انتباهه: «فتاة مفقودة وجريمة *قتل*».

يقول رافعًا حاجبه لكنه يواصل القراءة: «تبدو وكأنها رواية».

- لديَّ شيءٌ أريد الاعتراف به.
- هل جرَّبتِ الاعتراف أمام كاهنك؟
- أنا جادَّة.
- وكذلك أنا. هل تعرفين كم الساعة الآن؟ الوحيدون الذين يأتون إلى هنا للاعتراف بشيءٍ ما في هذا الوقت من الليل إمَّا مخمورون وإمَّا مجانين. أيُّهما أنتِ؟

وحالما ينهي سؤاله، يضع الصحيفة جانبًا أخيرًا. يتركها مفتوحة ويبدو أنَّه يخطط للعودة إلى الصفحة التي كان يقرأها في أسرع وقتٍ ممكن.

تجيب فرانكي: «لستُ متأكدة من الفارق الذي يشكِّله الوقت. أم أن الشرطة لا تحل الجرائم إلا خلال ساعات العمل المكتبية هذه الأيام؟».

تستطيع التسامح مع وقاحة الغرباء في حالةٍ واحدة: إن كانت لا تعتقد أنهم أغبياء أو كسالى، ومن الواضح أنه كلاهما.

يسألها وهو يلقي نظرة خاطفة على الجريدة المفتوحة مرَّة أخرى: «المفتشة تشابمان ليست هنا. هل ترغبين في ترك رسالة؟».

تحدق فرانكي إلى الرجل، غير قادرة على استيعاب كلماته أو بروده.

تحاول أن تشرح: «الأمر لا يحتمل التأجيل، لقد اعتقلتم شخصًا بريئًا».

- لم أعتقل أحدًا، فأنا مُكلَّف بالعمل في الخدمة المكتبية منذ يناير الماضي.
- ولهذا السبب أحتاج إلى التحدُّث إلى المفتشة أو أي مسؤول هنا.

يتنهد ويحدق إلى شاشة الحاسوب على مكتبه: «الاسم؟».

- اسمي، أم اسم الشخص المقتول، أم الشخص الذي اعتقل خطأً؟

يقول، وأصابعه الطويلة الرفيعة تحوم فوق لوحة المفاتيح: «يا لها من اختيارات محيِّرة. دعينا نجرب الشخص الذي تعتقدين أنه اعتُقِل خطأً أولًا، هل بإمكاننا؟».

تقول فرانكي: «نيللي فليتشر».

وتراقبه وهو يكتب كل حرف من حروف اسم ابنتها بإصبعه الشاحب القصير.

يهزُّ رأسه: «لا».

- لا، ماذا؟

- لم يُقبَض على أي شخص بهذا الاسم هنا اليوم.

- هل أنت متأكد أنك كتبت اسمها بشكل صحيح؟

يسأل: «هل أبدو غبيًّا؟».

وترى أنه من الأفضل عدم الإجابة.

- إنَّه أمرٌ عاجلٌ حقًّا. ألا توجد طريقة يمكنني من خلالها التحدُّث إلى المفتشة تشابمان؟

يجيب: «بالتأكيد يمكنك. عودي غدًا».

ثم يعود إلى صحيفته.

تتساءل فرانكي لماذا يتمتع الكثير من الرجال بمدى انتباه[1] بعوضة. إن كانت ستقول الحقيقة بشأن ما حدث، فإنها لن تضيع اعترافها أمام رجل تافه.

تتمتم لنفسها طوال طريق عودتها إلى السيارة، وبينما تهمُّ بالابتعاد يلفت انتباهها شيء ما.

شخص آخر يصعد الدرج إلى مركز الشرطة في هذا الوقت المتأخر.

شخصٌ تتعرَّف على هيئته.

آخر شخص كانت تتوقع رؤيته هنا.

---

(1) مدى الانتباه: الفترة الزمنية التي يستطيع فيها الشخص التركيز على نشاط واحد. (المترجمة)

النهاية

عِيدُ الأُمِّ، قبل عشرين عامًا

يعرض عليَّ ضابطُ شرطةٍ ومفتشةٌ أن يوصلاني من السوق المركزيَّة إلى المنزل الوردي. كان في الحقيقة أمرًا متنكرًا في هيئة عرض. أستطيع أن أدرك أنهم يشتبهون بي في شيءٍ ما. ليس من الضروري توجيه الاتهامات بالكلمات، فالنظرات جيدة أيضًا في توجيه أصابع الاتهام. لقد اختُطِفَت الطفلة لكنهم يستمرون في إضاعة الوقت بطرح الأسئلة علَيَّ بدلًا من البحث عنها. في بعض المرَّات يكررون الأسئلة نفسها التي سبق أن طرحوها بالفعل. أعرف ما يفكرون فيه. فغالبًا ما يكون الكذَّابون جيدين في اكتشاف الكذابين الآخرين.

أراقبهم وهم يغلقون العربة الفارغة ويضعونها في صندوق سيارة الشرطة، قبل أن يفتحوا أحد الأبواب حتى أتمكن من الصعود إلى المقعد الخلفي. أعطيهم العنوان مرة أخرى. على الرغم من أنه مدوَّن بالفعل في

دفاتر ملاحظاتهم، إلى جانب أي شيء آخر كانوا يخربشونه حولي، وحولنا، وحولها. لا بدَّ أنَّ هذا ما يشعر به المرء عندما يُلقَى القبض عليه: أن يُؤخذ بعيدًا عن الحياة التي عرفها، مدركًا أنَّ لا شيء سيبقى على حاله أبدًا مرَّةً أخرى. لكنهم لا يلقون القبض عليَّ. حتَّى هذه اللحظة.

أنا مخدرة جدًّا لدرجة أنني لا أستطيع البكاء الآن. لا أستطيع أن *أشعر* بأي شيء. بخلاف الذنب. مكتبة ياسين

تمنيتُ *أن تختفي ابنتي، والآن شخص ما خطف الطفلة.*

ينبعج منحنى الوقت في أثناء الرحلة. يبدو سريعًا جدًّا وبطيئًا جدًّا في الوقت نفسه. لا أستطيع تنظيم أفكاري، وأشعر بالقلق بشأن ما قد يظهر على وجهي. يواصل حيوان الفظ البحري الذي يقود السيارة التحديق إليَّ في مرآة الرؤية الخلفية. عندما تلتقي أعيننا، أشيح ببصري. أحد الأسباب لأنه يثير اشمئزازي، والسبب الآخر لأنني أشعر بالخوف مما قد يتمكن من رؤيته.

يهذر بينما يهدِّئ السرعة على مطلع الشارع المرصوف بالحصى خارج إسطبلات[1] نوتينج هيل: «منزل جميل».

هذا من أسخف ما يكون؛ انتقادٌ متنكرٌ في هيئة مجاملة. يتبادل نظرة خاطفة مع المفتشة الجالسة في المقعد الأمامي، وتدور بينهما محادثة أخرى غير منطوقة. في البداية لم يحباني لأنهما ظنَّا أنني أكذب، والآن لا يحباني لأنهما يظنان أنني غنيَّة. وهما على حق في ظنٍ واحدٍ منهما.

أحاول فتح باب السيارة، لأخرج، لكنه مقفل.

أقول: «أريد أن أدخل بمفردي».

يهز رجل الشرطة رأسه وتتساقط كومة جديدة من القشرة على أكتاف زيه الأسود: «لا أعتقد أننا...».

تقاطعه المفتشة قائلة: «بالطبع».

لقد قدمت نفسها في السوق، ولكن لا أستطيع تذكر اسمها. شيء تشابمان، ربما.

(1) سُمِّيت بذلك نسبة إلى الإسطبلات الملكيَّة البريطانية. (المترجمة)

وتضيف: «لكننا سنحتاج إلى الدخول عندما تكونين مستعدة».

- أفهم. أنا فقط بحاجة إلى دقيقة لأخبر...

- خذي وقتك. سننتظرك هنا.

ينتظرونني *هنا*، في الوقت الذي ينبغي عليهم أن يكونوا *هناك*. يبحثون عن الطفلة.

أدخل المنزل الوردي وأغلق الباب خلفي، متمنية أن أتمكن من عزل بقية العالم في الخارج إلى الأبد. لا تزال الستائر منسدلة على الرغم من أن الوقت بعد الظهر. لست متأكدة من عدد الأيام التي مرت منذ آخر مرة فُتحت فيها.

ما يسمونه اكتئاب ما بعد الولادة هذه الأيام.

وكان يُعرَف بالتقلبات المزاجيَّة أو التغيرات الهرمونية فحسب فيما مضى.

أشعل الأضواء في الردهة، ثم الصالة، ثم المطبخ. أصبحت جميع الغرف -التي اعتيد أن تكون مرتبةً جدًّا وأنيقة، مثل صورةٍ من مجلة- في حالة من الفوضى. مثلها مثلي. لا يختلف الطابق العلوي كثيرًا. كُدِّسَت بَسْطَة الدَّرَج بالأكواب والأطباق القذرة، ويمكنني رؤية كومة عالية من ظروف البريد غير المفتوحة والفواتير غير المدفوعة. أرضية غرفة العناية بالطفلة مغطاة بأكوام من الغسيل -وليس من الواضح ما هو نظيف منها أو غير نظيف- وعندما أصل إلى غرفة النوم الرئيسية، أشعر بالخوف الشديد من فتح الباب.

والد الطفلة بالخارج في عمله.

أم الطفلة في السرير.

لم تكن في حالٍ جيِّدةٍ منذ ولادة الطفلة وقد بذلت قصارى جهدي لمساعدتها.

عرضتُ عليها ترتيب المكان منذ أيام، وامتعضت وكأنني صفعتها، فتركتُ كل شيءٍ كما كان. لدى بعض الناس طريقة تجعلك تشعر أنَّ أعمالك الصالحة سيئة. وبالأخذ بعين الاعتبار، أعتقد أنه من الأفضل فتح الستائر في غرفة نوم كِلْيُو. يذكرني سلوكها مؤخرًا بسلوكها عندما كانت مراهقة بأكثر من طريقة. يبدو أنَّ كل ما تريد فعله هو النوم، لكنها لا تستطيع، ولهذا السبب كنت أعتني بالطفلة منذ بضعة أيام. الآن أنا مرهقة أيضًا. السبب الوحيد الذي

جعل كِلْيُو تثق بي أخيرًا وتمنحني الفرصة لرعاية حفيدتي الوحيدة هو أنها كانت غارقة في حالةٍ من اليأس. ولأنها لم تكن تريد أن يعرف زوجها مدى سوء الأمور حقًّا.

لم نحظَ بعلاقةٍ جيِّدة بين الأم وابنتها.

مررتُ بأوقاتٍ شعرتُ فيها بالاستياء من طفلتي وكرهت المرأة التي كبَرَتْ وأصبَحَتْها. ظننتُ أنه عندما تنجب ابنتي أطفالًا، فإن ذلك سيقربنا من بعضنا بعضًا، وقد حدث ذلك، ولكن فقط بدافع الضرورة. طلبت كِلْيُو مساعدتي فقط كملاذ أخير، فليس لديها أي شخص آخر. من جهتي، أردت أن أكون جَدَّةً جيدة. أظنني كنت آمل أن يعوض ذلك تقصيري كأم. لكن تربيَّة الأطفال مهمة شاقَّة، والتعامل معهم صعب للغاية، فهم مخلوقات متطلبة. لم أستمتع برعاية أطفالي في المرة الأولى. اعتقدت أن الأمر سيكون مختلفًا، و*بدا* مختلفًا مع الدعسوقة، لكن الطفلة لم تتوقف *قط* عن البكاء. حتَّى الآن.

بالطبع، يتصرف الأطفال دائمًا بمثالية في الأماكن العامة. وهذا شيء نتفق عليه أنا وكِلْيُو. يبدو كما لو أن الدعسوقة الصغيرة، في عمر ستة أشهر، تتمتَّع بدهاءٍ يكفي، لحفظ جميع نوبات غضبها خلف الأبواب المغلقة. ولهذا السبب أخذتها إلى السوق المركزية اليوم، لشراء الأشياء التي أعرف أن كِلْيُو تحتاجها -حليب الأطفال، والحفاضات، والقهوة- ثم كنت سأعيدها إلى المنزل. هنا. لأنه على الرغم من أن كِلْيُو تكره *الطفلة* بشكل واضح، فهي تفتقدها عندما تغيب لفترة طويلة. تريد أن تعرف أنها بالقرب منها طوال الوقت، حتى عندما لا تستطيع الوقوف على قدميها لتلقي نظرةً عليها.

لم ترد كِلْيُو مساعدتي عندما وُلدت الطفلة، وأصبحت غير مهتمة أو ممتنة لرأيي منذ ذلك الحين. بذلتُ قصارى جهدي لكنها لم تكن تنصت إليَّ. كانت مقتنعة دائمًا بأن ما قرأته في كتاب أو على *الإنترنت* أكثر صحة من نصيحة أمها. تصرَّفت كما لو أن تجربتي ومعرفتي عفا عليهما الزمن. أنا في الستين من عمري، ولم أتقاعد بعد، وهي تتحدث إليَّ وكأنني عجوز أو خرفة، أو شخص ينتمي إلى دار رعاية. معاذ الله أن يؤول مصيري إلى واحدٍ منهم. تعتقد كِلْيُو دائمًا أنها تعرف أفضل من الجميع، لكن انظر إلى حالتها ومنزلها الوردي الثمين الآن. إن إنجاب طفل أمر سهل، لكن الاعتناء به ليس بالسهولة

نفسها. إنها بحاجة إلى *مساعدة*. مساعدة متخصصة. نظرًا لمهنتها، كنت أعتقد أنها ستتعرف على العلامات. لكنها لن تزور طبيبًا. ولن تتحدث مع أحد عن ذلك. وبغض النظر عن حجم المساعدة التي حاولتُ تقديمها، فإن ابنتي لا تثق بي.

وتبيَّن أنها كانت على حق في ذلك.

أعلم أن الشرطة لن تنتظر في الخارج إلى الأبد، وأعلم أنني بحاجة إلى إخبار كِلْيُو بما حدث. لكني لا أعرف كيف. كنت أتساءل أحيانًا كيف ستؤول الأمور إن اختفت ابنتي. إن كان بإمكاني تربية حفيدتي بنفسي، على طريقتي. ستكون فرصتي الثانية وسأنتهزها بشكل صحيح هذه المرة. كنت دائمة الانشغال عندما كانت كِلْيُو وجود صغيرين، أعمل طوال الساعات التي أقدر عليها لتغطية نفقاتهما. لم يكن لدي الوقت أو الطاقة لأكون الأم التي كان من الممكن أن أكونها. أنا متأكدة من أن جميع الأطفال يتخيلون كيف ستكون حياتهم لو كان لديهم آباء مختلفين. أتساءل كيف كانت ستكون حياتي لو كان لدي أطفال مختلفون. أو لا أطفال على الإطلاق. أكره نفسي لأنني أفكر في أفكار لا يمكن تصورها، حتى الآن وأنا أشاهد ابنتي نائمة. لكن حياتي كانت ستصبح مختلفة تمامًا لو لم تولد قط.

تمنيتُ *أن تختفي ابنتي، والآن شخص ما خطف الطفلة.*

كيف تخبر الأم ابنتها أنها ضيَّعت طفلتها؟

أقول اسمها بهدوء عند عتبة الباب: «كِلْيُو».

وكأنني لن أضطر إلى إخبارها بالحقيقة، إن لم تسمعني. لكنها تستيقظ، ويبدو أنَّ غريزة الأمومة -وهي غريزة أنا متأكدة من أنني لم أمتلكها من قبل- قد أبلغتها أن هناك خطب ما.

تسأل كِلْيُو بشعرٍ أشعث وعينين محمومتين: «أين الطفلة؟».

كانت في حالة يرثى لها منذ ولادة الطفلة. لا يفاجئني أن زوجها يهرب للعمل كثيرًا هذه الأيام، يبدو أنها لا تستطيع رؤية كيف أصبحت. لكنني أستطيع. لقد أصبحت نسخةً مني، وهذا ليس ما أردته لابنتي. إن البقاء في المنزل بمفردك طوال اليوم كل يوم مع طفل رضيع أمر بالغ الإرهاق. لا

تزال هناك هالات سوداء تحت عينيها، مع أنني مَن أعتني بالطفلة منذ ثلاثة أيام وثلاث ليال. ملابسها متسخة، ولم تضع مساحيق التجميل منذ أسابيع، ورائحتها تفوح كما لو أنها لم تغتسل منذ فترة أيضًا. تبدو سَكْرانةً، لكنها ليست كذلك. هذه هو المسار الذي يسلكه الإرهاق الحقيقي.

أختار كلماتي بعناية، ولكن لا يبدو أيُّ خيارٍ مناسبًا.

أهمس: «أنا آسفة».

تنهض كِلْيُو مغادرة السرير وتندفع نحوي.

- آسفة على ماذا؟ أين الطفلة؟

- أنا...

كيف يمكنني إخبارها أن طفلتها اختفت في حين أن قلبها محطم بالفعل؟

فقط قوليها.

أقول فجأة ومن دون تفكير أكثر: «اختفت. خطف شخص ما الطفلة. أنا آسفة جدًّا».

تحدق كِلْيُو إليَّ، ثم تدفعني بعيدًا عن طريقها وتبدأ في تفتيش المنزل. كما لو أن الطفلة هي المفتاح المفقود الذي سيظهر إن بحثت لمدة وبعناية كافية. أتبع ابنتي عبر الغرف المظلمة.

- انتظري من فضلك. إنها ليست هنا. كنا في السوق. أدرت ظهري لدقيقة واحدة فقط. *ربما* دقيقتين. وبعد ذلك اختفت.

تتوقف كِلْيُو، وتستدير، وتحدق إليَّ كما لو أنني أتحدث لغة أجنبية. وقد بدأت الدموع بالانهمار على وجهها بالفعل. أجد منديلًا مطويًّا في كم سترتي وأحاول مسح دموعها، كما كنت أفعل وهي طفلة، لكنها ترجع خطوة إلى الوراء.

- الشرطة. نحن بحاجة إلى الاتصال...

- لديهم خبر بالفعل. إنهم بالخارج ويريدون التحدث إليك.

تومئ. ثم تندفع إلى الحمام حيث تجيش نفسها[1] بشدَّة.

أمسك شعرها الذي لم يغسل منذ أيام وأرفعه بعيدًا عن وجهها حتى تنتهي. ثم أغسل المرحاض وأعرض عليها المنديل مرة أخرى. ترفض بهز رأسها، وتستخدم ظهر يدها لمسح فمها. وحتَّى الآن، لا تريد مساعدتي. تجثو على ركبتيها، لذا أمد يدي لأعينها على النهوض لكنها تتجاهلها. تتجاهلني. تمامًا كما تفعل منذ سنوات.

تسأل كِلْيُو: «هل هذا حقيقي؟».

وفجأة تتحوَّل ابنتي البالغة من العمر أربعة وثلاثين عامًا إلى ابنتي الصغيرة مرة أخرى، تلك التي كانت تنظر إليَّ بعين الإجلال، وتلك التي كانت تحتاج إليَّ. أومئ وتجهش بالبكاء. تغلق عينيها وتتكور على نفسها فوق أرضية الحمام، وتشرع في النواح والعويل مثل حيوان جريح. وأنا أبكي أيضًا، لأنني أدرك أنني حطَّمتُ ما تبقَّى منها. يتمدد الوقت مرة أخرى. تستمر في البكاء بهذه الطريقة لفترة طويلة جدًّا. ويعذِّب صوت آلامها المبرحة روحي.

أقول لأنني حقًّا آسفة: «نعم، هذا حقيقي. أنا آسفة جدًّا».

أحاول أن أعانقها لكنها تدفعني بعيدًا. رحلت ابنتي الصغيرة مرة أخرى، وحلت محلَّها المرأة التي كبرت وأصبحتها.

تقول وهي تمسح عينيها: «دعيهم يدخلون».

- الشرطة؟

- نعم، بالتأكيد. ثمَّ اخرجي من هنا.

- كِلْيُو، أنا...

- اخرجي من هنا. لا أريد رؤيتك مرة أخرى أبدًا.

---

(1) جاشَتْ نفسه جَيْشًا وجَيشانًا: غَثَتْ أَو دارَتْ لِلْغَثَيان وتحركَّت للقيء (معجم لسان العرب). (المترجمة)

إديث

ترقد إديث بعينين مستيقظتين في الغرفة الاحتياطية بمنزل ابنتها. وتتذكر أنها قضت هنا ثلاثة أيامٍ وثلاث ليالٍ قبل أن تُخطف الدعسوقة، ثم لم تُدعَ مجددًّا إليه لسنوات. عاشت هنا لفترة وجيزة جدًّا العام الماضي -قبل أن تضعها كِلْيُو في دار رعاية- ولكن لم يكن مُرَّحبٌ بها قط في المنزل الوردي. ولم تنسجم هي وابنتها قط في صحبة بعضهما بعضًا لفترة طويلة.

وعدتها كِلْيُو أن تذهبا إلى مركز الشرطة في الصباح حالما تستيقظان، لكن إديث لا تصدقها. يبدو أنها تقدم الوعود فقط من أجل كسرها. يقاطع ديكنز أفكارها بالعواء؛ إنَّه لا يحب النوم على الأرض.

تهمس إديث: «ششش، سوف تُوقعنا في المشاكل. يمكنك الصعود إلى هنا إن وعدت فقط بالبقاء هادئًا».

يهز ديكنز ذيله ويقفز على السرير، ويلف في دائرة ثلاث مرات قبل أن يجلس على الوسادة بجانبها متنهدًا برضا. تهمس وهي تمسد شعر الكلب:

«هناك شيء يجب أن أفعله يا صديقي القديم. لن يعجبك، لكنني فكرت طويلًا وبجدٍّ في الموضوع وهذا هو الشيء الصحيح الذي يجب فعله. الشيء *الوحيد* الذي يجب فعله».

بعد عشر دقائق، يغط ديكنز في النوم والأحلام مضطجعًا على ظهره، وبقية المنزل هادئ. تنهض إديث، وترتدي ملابسها، وتتسلل خارج الغرفة، وتغلق الباب خلفها برفق. هناك باب آخر في نهاية الردهة يؤدي إلى غرفة كانت في السابق غرفة رعاية طفل. بابها مفتوح، ولا تستطيع إديث أن تمنع نفسها من النظر إلى الداخل. يغمر ضوء القمر الغرفة وترى جميع الرفوف الخشبية وصناديق الأحذية. طالما وجدت هوس ابنتها بالأحذية المصممة لممارسة التمارين الرياضية أمرًا غريبًا، خاصة وأنَّ كِلْيُو لم تطأ قدمًا داخل أي صالة للألعاب الرياضية منذ أن كانت في المدرسة، خوفًا من عرق الآخرين، لكن هذا جنون. أحد الصناديق مفتوح وملقًى في غير مكانه على سجادةٍ تبدو باهظة الثمن. لا يوجد حذاء رياضي داخل هذا الصندوق، فقط مقالات صحفية من مظهرها. ولا يزال بعضها مفتوحًا على الأرض.

أمضت ابنتها حياتها في إخفاء مشاعرها في صناديق.

تلتقط إديث إحدى قصاصات الصحف التي احتفظت بها ابنتها طوال هذه السنوات. لقد اصفرت مع مرور الزمن، لكنها ليست بحاجةٍ إلى ما يذكرها بالتاريخ الموجود في أعلى الصفحة. لا تستطيع إديث أن تتذكر ما تناولته على الإفطار، لكنها تستطيع أن تتذكر كل شيء عن عيد الأم قبل عشرين عامًا. تجلس على الأرض، ويرجع ذلك جزئيًّا إلى شعورها بأنها قد تسقط، وتبدأ في القراءة.

مشهدٌ يدمي القلب لأم طفلةٍ مفقودة

لا تزال محاولات الشرطة اليائسة في البحث عن الطفلة البالغة من العمر ستة أشهر، والتي اختطفت من سوبر ماركت تيسكو في نوتينج هيل بغرب لندن، مستمرة. سُرقَت إليانور كينيدي من عربتها صباح يوم الاثنين.

قالت إحدى شهود العيان: «كان ذلك فظيعًا، فظيعًا حقًّا. شَرَعَتْ هذه المرأة في الصراخ: «أين الطفلة؟» مرارًا وتكرارًا. هرعتُ للمساعدة، وكذلك فعل الكثير من الناس. أُغلقت أبواب السوبر ماركت على الفور تقريبًا، ولكن لا بدَّ أن مَن خطف الطفلة كان قد هرب بالفعل. لديَّ طفلان، ولا أستطيع تخيُّل ما ستمرُّ به هذه العائلة».

وتحدثت أمُّ الطفلة، كِلْيُو كينيدي، 34 عامًا، من نوتينج هيل، بِوَجِيزِ العبارة في مؤتمرٍ صحفيٍّ للشرطة أمس. بدت في حالة واضحة من الانهيار، وكانت كلماتها الوحيدة: «أرجوكم أعيدوها. أرجوكم».

التقطت كاميرات المراقبة لحظة اختطاف الطفلة إليانور. وعلى الرغم من ظهور الخاطف وهو يحمل الطفلة من عربتها ويغادر السوبر ماركت، فإن الصور لم تكن واضحة بما يكفي لتحديد هوية المعتدي.

وقال متحدث باسم الشرطة: «نحن غير قادرين على التكهن بعمر أو جنس الخاطف. من المستحيل التأكد من خلال الصور التي لدينا حتَّى الآن». وهم يناشدون أفراد الجمهور الذين ربما قد لاحظوا أي شيء مريب في ذلك اليوم أن يتقدموا بالبلاغ مباشرةً.

تلتقط إديث المقال الصحفي التالي، بتاريخ شهرٍ بعد مرور الحادثة.

لا أخبار حتَّى الآن عن الطفلة المفقودة إليانور

تقول الشرطة إنها لن تتوقف عن البحث حتَّى يُعثَر على الطفلة إليانور، على الرغم من مرور شهرٍ على اختطافها. وقد عرض والدا الطفلة مكافأةً قدرها عشرة آلاف جنيه إسترليني مقابل أي معلوماتٍ تساعد في لمِّ شملهما مع ابنتهما. كما نُشِرَت صورٌ جديدةٌ للطفلة المختطفة، والتي يظهر على أنفها نمش مميز.

تخرج إديث مقالًا آخر من الصندوق. كلَّما مرَّ وقتٌ على الحادثة، قصر طول المقالات.

أين الطفلة إليانور؟

بعد مرور عامٍ على اختطاف الطفلة إليانور، البالغة من العمر ستة أشهر حينها، تقول الشرطة إنها لن تغلق القضية حتى يُعثَر عليها. وعلى الرغم من وجود فرقة عمليات خاصة تبذل جهودًا حثيثة في محاولة حلِّ القضية، لم يقتربوا إلى الآن من كشف لغز ما حدث للطفلة المفقودة.

المقال الأخير به صورة لكِلْيُو وزوجها وطفلتهما. تتميَّز الطفلة بشعر أشقر مجعد مثل أبيها، وعينين خضراوين واسعتين مثل أمها، وهناك نمش على أنفها. كان النمش هو السبب وراء تسمية إديث لها بالدعسوقة. والسبب وراء إعطاءها بيشنس الاسم نفسه.

حين تفقد طفلًا، تظل تراه في كل مكانٍ، إلى الأبد.

تطمئن إديث لقرارها أكثر من ذي قبل، يجب أن تتحدث إلى الشرطة الآن، ولا يحتمل ذلك التأجيل حتَّى الصباح. أمامها خيار مستحيل، ولكنها إن تمكنت من إصلاح هذا الأمر، فربما يساعد بدوره في إصلاح ما كُسِرَ طوال تلك السنوات الماضية، ولن يستمر التاريخ في تكرار نفسه.

بيشنس

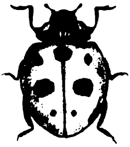

تسأل ليبرتي: «هل أنتِ بخير؟».

- لا.

تشعل مصباح جيب وتحمله تحت ذقنها مثل طفلة: «ستكونين بخير، أعدك. هل تحتاجين إلى أي شيء آخر قبل أن أذهب للنوم؟».

- ظننتُ أنه وقت إطفاء الأنوار؟

- إنه كذلك. لكن يجب أن أزيل مستحضرات التجميل من وجهي، فهي تضرُّ ببشرتي إن لم أفعل، إلى جانب أنني أحب قراءة كتابٍ تحت الغطاء لفترة من الوقت قبل أن أغط في النوم. يساعدني هذا على الاسترخاء. الحُرَّاس لا يمانعون، طالما أنني لا أفعل أي شيء سيئ.

أتساءل ما هي الأشياء السيئة التي يمكن أن يفعلها شخص محبوسٌ في زنزانة.

أراقب ليبرتي بينما ترفع شعرها المجعد الأشقر وتربطه قبل البدء في مسح بشرتها بمنديلٍ.

أقول: «لديكِ نمش على أنفك، مثلي».

- نعم، نبدو توأمتان في ذلك. لكني أحبُّ إخفاء نمشي باستخدام مرطبٍ ملونٍ. لا بدَّ أنك مرهقة، يجب أن تحاولي أخذ قسطٍ من الراحة، فالليلة الأولى هنا هي الأصعب دائمًا. أيقظيني إن لم تستطيعي النوم. أنا ذاهبة إلى السرير.

تختفي تحت لحافها برفقة روايةٍ، صامتةً باستثناء صوت قلب الصفحة بين الحين والآخر، ولولا الوهج الخافت لمصباحها لما عاد لها أثر. وبعد فترة قصيرة، ينطفئ الضوء وتعود الزنزانة إلى سوادها الحالك مرة أخرى.

لا أفهم كيف يمكن لأيِّ شخصٍ أن ينام في السجن. هناك أصوات مستمرة، أستطيع التعرف على بعضها بينما يظل بعضها الآخر لغزًا. تخفيني جميعها، ولم أعرف قط رعبًا مثل الذي أشعر به الآن. أنا خائفة من الظلام، ومن الأشياء التي لا أستطيع رؤيتها. أعتقد أنَّ حقيقة الوضع تتضح الآن أخيرًا، كانت ليبرتي مصدر إلهاءٍ جيِّد وتراودني الرغبة في إيقاظها، هذا المكان صاخبٌ جدًّا من دونها وبحاجةٍ إلى صوتها ليطغى عليه. يبدو أن خوفي يندفع في أنحاء جسدي مثلما تتصادم أفكاري داخل عقلي، فلا أستطيع التفكير بشكل سليم. لا أرى أيَّ طريقةٍ للخروج من هنا أو حتَّى لأفهم كيف وصلتُ إلى هنا.

في الأربع والعشرين ساعة الماضية فقدتُ كلبي، وصديقي الوحيد، وعملي، وبيتي، والآن فقدتُ حريتي أيضًا. أجد صعوبةً في استيعاب كيف سارت الأمور بشكل خاطئ. منذ ثمانية وأربعين ساعة كنت بخير. لم أكن أعلم ذلك حينها، لكن حياتي كانت في الواقع على ما يرام. كنت آمنة، ولدي سقف فوق رأسي، وبإمكاني تحمل تكاليف إطعام نفسي بدلًا من قبول صدقة مشاركة شخصٍ آخر في عشائه. ربما لا يدرك الناس أنَّهم يحيون حياة جيدة حتَّى تنقلب أحوالهم.

أسمع صوتًا آخر لا تستطيع أذناي تفسيره. صوت احتكاك قطعةٍ معدنيةٍ في أخرى. مفتاح في قفل ربما؟ تنطلق عيناي كالسهم وترشق في باب

الزنزانة، ولكن لا يوجد شيء هناك، فقط ظلام. أغمض عينيَّ وأحاول النوم مرة أخرى، ولكني لا أستطيع. أستعيدُ ذكرياتٍ لأوقاتٍ سعيدةٍ، أي شيء ألهي به نفسي عن الحاضر. سيحل عيد ميلادي قريبًا وأتساءل ما إن كنت سأبقى هنا.

أحبَّت أمي أعياد الميلاد. كانت تزيِّن القارب بسلاسل الزينة الورقية والبالونات، وتشتري الكثير من الهدايا. اعتادت أن تقدم لي هدايا بعدد أعوامي، لذا في العام الماضي قدَّمت لي ثمانية عشر هدية مغلَّفة بورق جميل ومربوطة بأشرطة ملونة. لا بدَّ أنها استغرقت الكثير من الوقت في التفكير في كل هديةٍ منها؛ بعضها كبير، وبعضها صغير، وكلها مثالية. لا أحد يعرفني مثل أمي. مُيِّزَت كلُّ هديةٍ برقم يشير إلى الترتيب الذي ستُفتَح به، لكن مع تغييرات طفيفة، فعندما كنتُ في الرابعة من عمري، أهدتني أربع هدايا، ولكنها رُتِّبت بأرقام: واحد، واثنان، وثلاثة، وخمسة. لم تكن هناك هديةً تحمل رقم أربعة، لأن أمي خشت أن يجلب هذا الرقم الحظ السيء.

كانت تقول دائمًا: «قد تظنينني مجنونة... (وأعترف بأنني ظننتها كذلك في بعض الأحيان) لكن الصين بأكملها تتفق معي. رقم أربعة يجلب الحظ السيء، فهو يوافق في لفظه معنى الموت في اللغة الصينية، ولهذا السبب لا يوجد أبدًا خيار للطابق الرابع على اللوحات الإلكترونية في المصاعد الصينيَّة».

لم يسبق لي أن زرت الصين من قبل، ولا أمي كذلك، لكنها تأخذ الأرقام على محمل الجد.

عندما فتحتُ هداياي الثمانية عشر، حرصت على عدم تمزيق ورق تغليفها، ولكني رغبتُ بشدَّة في رؤية ما بداخلها. كانت هناك كتب، وملابس، وسكِّين جديدة لقطع الورق، وزوجين جميلين من الأقراط، ولكن الشيء الوحيد الذي أردته بشدة لم يكن موجودًا.

قلتُ: «لقد وعدتِني».

كانت الوعود مثل العقود في عائلتنا المكوَّنة من شخصين.

أومأت أمي وبدت حزينة. لا يزال بإمكاني تصوُّر وجهها الآن، وأتذكر شعوري بالامتنان لأنها لم تتظاهر بعدم معرفة ما كنت أتحدث عنه. لقد وعدتني بإظهار شهادة ميلادي عندما أبلغ الثامنة عشرة من عمري، وبقيت أنتظر لسنوات بالفعل لمعرفة حقيقة أبي.

قالت: «أنا آسفة، لا أستطيع».

كان الغضب الذي شعرت به حينها في أوجه، لأنه اتضح لي أنها لم تكن تنوي إظهار شهادة ميلادي ومن الواضح أنها كذبت علي. أتذكر ما قلناه بعد ذلك، كلمة كلمة. أتوقع أن أمي تتذكر ذلك أيضًا، لأنها كانت آخر مرة تحدثنا فيها مع بعضنا بعضًا.

- لا يهمني أن أعرف مَن كان أبي. لا أعتقد حتى أنني أريد مقابلته، فمن الواضح أنه لم يكن مهتمًّا بي ليبقى بالقرب أو يظهر أي اهتمام. أريد فقط أن أعرف اسمه. لأعرف من أين أتيتُ. كيف لا تفهمين ذلك؟ لقد وعدتِني بإظهار شهادة ميلادي.

قالت أمي وهي تحدق إليَّ والدموع في عينيها: «أعرف، أنا آسفة. أنا فقط لا أستطيع».

- تقصدين *لا تريدين*.
- من فضلك، دعينا لا نفسد اليوم. ألا يمكننا الاحتفال بعيد ميلادك الآن والتحدُّث عن هذا غدًا؟
- لا، لأنك لا تريدين التحدث عن هذا أبدًا. انضممتُ إلى قاعدة بيانات النسب عبر الإنترنت. لم أتمكن من العثور على أي شيء *حولنا* هناك على الإطلاق. وكأننا غير موجودتين...
- انضممتِ إلى ماذا؟
- ثمَّ ذهبتُ إلى المكتبة وطلبتُ المساعدة للحصول على نسخة من شهادة ميلادي من أجل إتمام أوراق جواز سفر. أجلسني أمين المكتبة أمام الحاسوب وأظهر لي الطريقة. واحزري ماذا، لا أثر لي هناك أيضًا. لا توجد شهادة ميلاد في المملكة المتحدة لشخص في عمري اسمه نيللي فليتشر. مَن أنا؟ هل أنتِ أمي حتَّى؟ (بكت بشدَّة حينها، فكل الأشياء

الفظيعة التي كنت أفكر فيها لعدة أيام خرجت من فمي ولم أستطع إيقافها) فلا تشابه في ملامحنا، أو حتَّى تفكيرنا. ليس لدينا أي شيء مشترك.

همست: «بلى لدينا. لدينا العينان الخضراوان نفسهما، الجميع يقول ذلك».

بدت مهزومة وبدأت في التمشِّي، جَيْئَةً وذَهابًا في القارب، وكنتُ أعلم أنها تعدُّ خطواتها، تحاول الحفاظ على هدوئها. كانت أصابعها تقبض وتلتف حول معصميها كما لو كانت بحاجة إلى الإمساك بيديها.

سألتُ، خائفة من الجواب: «مَن أنا حقًّا؟ لماذا كنَّا نتنقَّل بين أماكن مختلفة طوال الوقت عندما كنت صغيرة؟ لم أعد طفلة بعد الآن، يمكنك أن تخبريني بالحقيقة».

- أستطيع أن أشرح...

- تابعي إذن.

- من فضلك اصبري قليلًا.

- الصبر هو كلُّ ما تحلَّيتُ به لسنواتٍ. يجب أن يكون اسمي صبر.. بيشنس.

- كما تعلمين، كنتُ صغيرة جدًّا عندما أصبحت أمًّا. كان عمري ثمانية عشر عامًا فقط، وهو عمرك الآن...

قاطعتُها: «أين وُلدت؟ في أي مستشفى؟ (وعندما لم تجب أمي، عاد الخوف -الذي كان يملأ عقلي منذ أشهر- إلى الظهور من جديد) هل أنتِ أمي حقًّا؟ لم تجيبيني أوَّل مرَّة».

- بالطبع *أنا* أمك. لا أرى أي شخص آخر هنا يطبخ طعامك أو يرتب سريرك أو يشتري لك هدايا في عيد ميلادك...

- إن كان هذا حقًّا عيد ميلادي. (النظرة التي تبدَّت على وجه أمي لحظتها جعلتني أشعر بالدوار. تقدَّمَت خطوة نحوي، فتراجعتُ خطوة إلى الوراء) يا إلهي! هذا ليس حتَّى عيد ميلادي الحقيقي، أليس كذلك؟ ماذا يحدث؟ أنا لا أفهم!

- من فضلك اهدئِي.

- هل أنتِ مَن أنجبتني؟

لم أرها قط خائفة إلى هذه الدرجة. كانت جميع أوصالها ترتجف.

- هل يمكننا فقط من فضلك أن...

انفجرتُ: «هل.. أنتِ.. مَن.. أنجبتني؟».

حدقنا إلى بعضنا بعضًا لفترة طويلة قبل أن تجيب.

- لا.

شعرتُ بانهيار ساقيَّ، وهمستُ: «مَن أنا؟».

قالت والدموع منهمرة على وجهها: «أنتِ ابنتي».

- لكنني لستُ ابنتك، أليس كذلك؟ مَن أنا؟

لكن أمي لم تجب. بكت فقط ثم ذهبت إلى غرفتها.

ولذلك ذهبتُ إلى غرفتي أنا الأخرى وحزمتُ بعض الأشياء في حقيبة ظهر. ثم أخذت علبة الشاي الياباني ذات اللونين الأسود والذهبي والنقود التي بداخلها من المكان الذي خبأتها فيه في المطبخ. إن كانت أمي قد سمعتني وأنا آخذ العلبة، فهي لم تقل شيئًا، ولم تخرج من غرفتها. وإن كانت قد سمعتني أغادر القارب، فهي لم تحاول إيقافي. بكيتُ وأنا أسير إلى محطة القطار، متمنيةً سرًّا أن تلاحقني، لكنها لم تفعل ذلك أيضًا.

ولم أرها أو أتحدث معها منذ ذلك الحين.

كانت تتصل وترسل رسالة نصية مرة واحدة على الأقل في الأسبوع لكنني لم أجب قط.

وإلى أن تصبح مستعدة لإخباري بالحقيقة عن والدي الحقيقيين، لم أكن أريد أن أفعل أي شيء معها. لم أتوقف عن افتقادها قط، لكني الآن بحاجة إليها. أريدها أن تكون أمي مرة أخرى، حتى لو تكن أمي. ليس لدي أي شخص آخر.

أرمش في الظلام، وأنظر حولي في زنزانة السجن الحالكة ولا أرى سوى الظلال. أغمض عيني مرة أخرى، في محاولة يائسة أن يعثر النوم عليَّ،

لكن لا شيء يحدث وتعثر عليَّ الدموع بدلًا منه. أفكر في أمي، ثم أفكر في إديث، ثم أفكر في ابنة إديث. تصرفت كِلْيُو كينيدي -في العلية فوق المعرض الفني- كما لو أننا لم نلتق قط، لكنها تعرف مَن أنا. ثم أرسلت لي رسالة نصية تطلب مني التزام الصمت، ففعلت ذلك. لم أخبر الشرطة عن كِلْيُو لأن اتهامي لها سيُوضَع أمام اتهامها لي ولن يصدقوني أبدًا. ولماذا يفعلون؟ إنهم يعرفون بالفعل أنني كاذبة، وظهر على المفتشة الغضب عندما رفضتُ إخبارها باسمي الحقيقي.

يبدو أنها لا تفهم أنني لا أستطيع إخبارها، لأنني لا أعرفه حقًّا.

إديث

تبكي إديث وهي تستعد لمغادرة منزل ابنتها في نوتينج هيل للمرة الأخيرة. ليس بسبب ما هي مضطرة إلى فعله، ولكن بسبب ما هي مضطرة إلى تركه وراءها. أعدَّت لنفسها كوبًا من الشاي وبعض الخبز المحمص قبل أن تغادر -خبز ابنتها النباتي والزبدة النباتية التي يبدو مذاقها تقريبًا مثل مذاق الزبدة الحقيقية- فلا ينبغي لأحدٍ أن يعترف بما ارتكبه على معدةٍ فارغةٍ. تحاول إغلاق الباب الأمامي بهدوءٍ قدر استطاعتها حتى لا توقظ أحدًا. تستمر إديث في البكاء في الحافلة الليلية ولا تتوقف إلا عندما تصل عند مدخل مركز الشرطة في كوفنت جاردن. جزئيًّا لتصعد الدَّرج بتركيزٍ في الظلام، ولكن السبب الغالب لأنه من الأفضل أن تضبط نفسك قبل التحدث إلى رجال الشرطة؛ لقد تعلَّمَت هذا الدرس منذ وقتٍ طويل. وبينما تصعد الدَرَج، تنظر إلى قدميها، وتدرك أنها لا تزال مرتديةً خُفَّيها. بالتأكيد سوف يعتقدون الآن أنها سيدة عجوز مجنونة. ربما هي كذلك. ربما ذلك ما حوَّلتها إليه الحياةُ.

تقول للرجل الجالس ببطنٍ متدلية خلف المكتب: «أريد أن أرى المفتشة تشابمان».

يتفقَّد ساعته ويقول: «عجبًا! يبدو صيتها ذائعًا هذا المساء. هل تعلمين أنَّنا في منتصف الليل تقريبًا؟».

تجيب إديث: «هناك دائمًا وقتٌ للحقيقة. إنها بالأحرى مسألة عاجلة».

- أحقًّا؟

- حسنًا، أعتقد ذلك. وآمل، بالنظر إلى مهنتك، أن توافقني على ذلك. جئتُ من أجل خطأ قضائي خطير.

يومئ إلى حقيبة السفر الجلدية الورديَّة في يدها: «ستغادرين إلى مكانٍ ما، أليس كذلك؟».

تهز إديث كتفيها: «السجن، على ما أظن».

يمعن النظر من خلف المكتب ويحدق إلى خُفَّيها: «هل أنتِ متأكدة من أنك يجب أن تكوني بالخارج في هذا الوقت من الليل بمفردك؟».

- هل أنت متأكد من أنك في الوظيفة المناسبة؟ هل سمعت ما قلته أيها الشاب؟

يغمغم: «لماذا لا يأتي المجانين للزيارة إلا في وقت *مناوبتي*؟».

- ماذا قلت؟

يستدير نحو الحاسوب الموجود على مكتبه: «قلت لماذا لا نبدأ باسمك؟».

- إديث إليوت. والمرأة المقتولة تُدعى جوي، على الرغم من أنها لم يكن لها من اسمها نصيب، فهي بالأحرى تعيسة.

- يمكن للموت أن يضع خاتمة مناسبة لمثل هؤلاء. وذلك يشبه إلى حد ما العمل هنا.

- الفتاة البريئة تدعى بيشنس.. صبر.

- أحتاج بنفسي إليه هذه الليلة.

تلاحظ إديث أن ضابط الشرطة قد توقف عن الكتابة. ينظر إليها بنظرة شفقة اعتادت عليها. كما لو أن التقدم في العمر والعجز هما شيء واحد.

لكنها لن تصمت هذه المرة. سوف تفعل الشيء الصحيح. طالما قلَّل الناس من تقديرها أو بالغوا فيه. في بعض الأحيان لصالحها، ولكن في كثير من الأحيان على حسابها. إنها الشخص الوحيد الذي يعرف ما هي قادرة على فعله حقًّا.

وفتاةٌ صغيرةٌ خائفة من كل تلك السنوات الماضية.

يبدأ عقل إديث في الشرود وتنسى أين هي للحظة.

يسأل الضابط برفق وتفيق إديث من شرودها: «هل هناك شخص يمكنني الاتصال به؟».

- نعم، المفتشة تشابمان. أو بصراحة أي شخص أكثر انتباهًا منك.

- اسمعيني الآن...

- لا، اسمعني أنت أيها الرجل الصغير السخيف. لقد حدثت جريمة قتل في دار رعاية وِنزر، وقد اعتقلتم أيها الحمقى غير الأكفاء شخصًا بريئًا.

يسند ظهر على كرسيه ويطوي ذراعيه، ويسألها: «وكيف تعرفين أنه بريء؟».

- أعرف مَن ارتكب الجريمة لأنني كنت هناك.

فرانكي

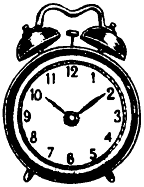

تعرفَّت فرانكي على المرأة المُسِّنة وهي تدخل مركز الشرطة -لن تنسى ذلك الوجه أبدًا- لكنها لا تفهم ما الذي *تفعله* هنا أو كيف تجتمع قطع اللغز معًا. حاولت التحدث إلى إديث إليوت في دار الرعاية بالأمس، لتخبرها بالضبط عن رأيها فيها -معتقدةً أنَّها ستكون فرصتها الأخيرة- لكن مديرة دار الرعاية المريعة أفسدت خططها.

سألتها جوي معترضةً طريقها في الردهة: «من أنتِ؟».

أجابت فرانكي: «أنا هنا بمناسبة عيد الأم. لزيارة شخصٍ ما».

قالت جوي: «إذن يجب أن تعرفي أنَّ جميع الزوَّار مطالبون بالتوقيع في سجل الزوَّار».

وناولتها السجل مع قلمٍ.

ترددت فرانكي، ثم شخبطت بعض التفاصيل قبل أن تُعيده. شعرت باحتراق وجنتيها بينما كانت جوي تتفحص بعينيها الخرزيَّتين الصفحة. تكلَّفت المرأة ابتسامةً جعلت وجهها المتجهم أقل جاذبيَّةٍ حتَّى.

سألَت: «كِلْيُو كينيدي؟».

أجابت فرانكي: «نعم».

- أنت لستِ كِلْيُو كينيدي. أنا مديرة دار الرعاية هذه وكنت أتحدث للتو في مكتبي مع كِلْيُو كينيدي، ابنة المقيمة في الغرفة رقم 13. ابنتها *الوحيدة*. وقد أخبرني أحد السكان أيضًا أنَّ هناك امرأة غريبة تتجول وتطرح أسئلة غريبة. أعتقد أن تلك أنتِ. لذا مَن أنتِ حقًّا؟ (فرانكي لم تجب) لدينا إجراءات أمنيَّة مشدَّدة في دار وِنزر لرعاية المسنين. (ضاقت عينا جوي بشدَّة) إن كان هذا تفتيشًا، فأنت تعلمين أنه يتعين عليك إخطارنا قبل ثمانٍ وأربعين ساعة على الأقل. إن لم يكن كذلك، فاخرجي من هنا الآن وإلا سأضطر إلى الاتصال بالشرطة.

طفح كيل فرانكي من الأشخاص الذين يتحدثون إليها كما لو كانت قطعة قذرةً على أحذيتهم. انفجر شيء بداخلها، وقالت قبل أن تغادر: «لماذا لا تذهبين إلى الجحيم؟».

وبعد فترة قصيرة، عندما عادت فرانكي، كانت المرأة قد ذهبت إليه بالفعل.

ضغطت فرانكي زر اتصال المصعد عدة مرات قبل أن يبدأ أخيرًا في النزول من الطابق الرابع. وعندما وصل في النهاية، كانت جثة جوي الهامدة ملقاة في المصعد مع علامة «خارج نطاق الخدمة» حول رقبتها. لا عجب أن الصينيين ليس لديهم طوابق تحمل رقم أربعة، فالرقم أربعة يعني الموت حقًّا. أغلقت فرانكي أبواب المصعد وهربت قبل أن يراها أحد، وقبل أن تحصل على فرصتها لمواجهة إديث.

يقولون إن الانتقام حلو ومن الأفضل تقديم الطبق باردًا، لكنها تفضل تناول طبقها عندما يكون ساخنًا وتتذوَّق اللحظة. لقد انتظرت فرانكي طويلًا حتَّى تحصل إديث وكِلْيُو وجود على ما يستحقونه. والآن يبدو أن *العائلة*

بأكملها متورطة بطريقةٍ ما في اختفاء ابنتها. أخطأت فرانكي في استبعاد شكِّها في المرأة التي تسكن المنزل الوردي، وهي غاضبة من نفسها لأنها أضاعت المزيد من الوقت. نادرًا ما يأتي الشك بنتيجةٍ ذات فائدة حقيقية لأي شخص. لقد أساءت الاختيار، هذه هي حقيقة الأمر. لكن الاختيار بين الصواب والخطأ ليس دائمًا كالاختيار بين الأبيض والأسود كما يعتقد البعض.

تعدُّ فرانكي السيارات التي تمر بها على طريقها إلى نوتينج هيل، وهذا يساعدها في السيطرة على أعصابها. هناك عدد مفاجئ منها بالنظر إلى الساعة المتأخرة. ترى زوجين شابين يُقبِّلان بعضهما بعضًا بالقرب من محطة مترو الأنفاق، والعديد من المشردين النائمين تحت صناديقٍ من الورق المقوى في مداخل المتاجر. طالما أبهرتها الطريقة التي تستمر بها حياة البعض في سعادةٍ بينما تنهار حياة البعض الآخر. هل هو الحظ؟ القضاء؟ القدر؟ هل يتعلق الأمر حقًّا بكونك الشخص المناسب في المكان المناسب والوقت المناسب؟ غالبًا ما تشعر بأنها الشخص الخطأ في المكان الخطأ، وربما لهذا السبب نادرًا ما تسير الأمور بشكلٍ جيدٍ معها. نبوءةٌ محقِّقَةٌ لذاتها[1]. أحد الأشياء التي تعلَّمتها هو أنه يجب دائمًا الاحتفال بلحظات السعادة. الفرح يُعَار فقط ويمكن أن يؤخذ بالسرعة نفسها التي تمنحه الحياة بها؛ من الأفضل أن نقدِّر الأوقات الجيدة قبل أن تسوء.

تركن سيارتها في نهاية الشارع، بعيدًا عن المنزل الوردي قدر الإمكان حيث لا يزال بإمكانها رؤية المبنى. ثم تجلس فرانكي وتحدق إلى المنزل، وترتِّب كل الأفكار البغيضة التي جمعتها على مر السنين حول المرأة التي تعيش هناك. تنظر حولها لترى ما قد يكون لديها ويمكنها استخدامه كسلاح.

---

(1) النبوءة المحقِّقَةُ لذاتها (Self-Fulfilling Prophecy): يعود المصطلح إلى عالم الاجتماع روبرت مرتون في القرن العشرين، ويستند مفهومه إلى «مبرهنة توماس» القائلة بأنه «إذا عَرَّف الناس المواقف على أنها حقيقية تكون حقيقية في نتائجها». وهو يصف النبوءة التي تحقق ذاتها بسبب التفاعل بين اعتقاد المرء وسلوكه. هل سنصاب بالسرطان لأننا نفكر بالسرطان؟ أم أننا سنموت لأننا نفكر بالموت؟ هل سنفلس لأننا نخاف من الإفلاس؟ أم سيموت أحد من نحبهم لأننا نفكر بذلك؟ تأخذ النبوءات التي تتحقق ذاتيًّا حدثها عندما تساعد توقعاتنا لحدث ما في خلق الظروف ذاتها التي تسمح بحدوث ذلك الحدث. (المترجمة)

وفي اللحظة التي كانت فيها على وشك الخروج، تلاحظ فرانكي شيئًا ما يعبر الشارع. في البداية تظنه كلبٌ، لكنه ليس كذلك. إنه ثعلب. ثعلب أسود بذيل مدبب أبيض. لم تر فرانكي ثعلبًا أسود من قبل، لكنها قرأت عنه وتعلم أن رؤيته تعتبر علامة تحذير. إنه واحد من تلك الأشياء التي تأخذها على محمل الجد فيما يتعلَّق بسوء الحظ.

ثم ترى شيئًا آخر.

باب المنزل الوردي مُوَارَبٌ قليلًا.

ترفع فرانكي بصرها وتحدق إلى المبنى وترى المنزل بأكمله غارقًا في الظلام، باستثناء ما يشبه شعاع مصباح يدوي في غرفة واحدة بالطابق العلوي. تلاحظ الظل الغامض لشخصٍ يتحرك خلف الستائر. المرأة التي تسكن المنزل الوردي تعيش بمفردها. تعرف فرانكي هذا، إلى جانب جميع أنواع الأشياء الأخرى المتعلقة بالمرأة. تعرف فرانكي عن المرأة التي تسكن المنزل الوردي أكثر بكثير مما تعرفه كِلْيُو عنها. تخرج من الشاحنة، وتعبر الشارع بأكبر قدرٍ ممكنٍ من الهدوء، ثم تقف خارج الباب الأمامي المُوَارَب وتسترق السمع.

كانت فرانكي على حقٍّ في انزعاجها من رؤية الثعلب الأسود. *كان تحذيرًا.*

تسمع صوت تحطُّم شيءٍ ما داخل المنزل، تليه صرخة حادَّة.

كِلْيُو

تستيقظ كِلْيُو على صوت مُحرِّك سيارةٍ بالخارج في منتصف الليل. عادة ما يكون الجو هادئًا في الشوارع الخلفية المنعزلة التي تعيش فيها، لكنها بدأت في ارتداء سدادات الأذن عند النوم منذ سنوات. منذ اختفاء ابنتها. كانت قد استمرَّت في تخيُّل صوتُ طفلةٍ تبكي في الليل قبل ارتدائها. ربما يكون الضغط الذي تعرَّضت له في اليوم السابق هو ما يجعلها تشعر بالتوتر، أو ربما لا تستطيع النوم تحت سقفٍ واحدٍ مع أمها. يبدو أنَّ سدادات الأذن لا تؤدي غرضها هذه الليلة. الحياة صاخبةٌ جدًّا.

شيءٌ ما يجذب انتباهها إلى النافذة وترى أنها لم تكن تتخيل الصوت الذي سمعته. يتوهج زوجان من المصابيح الأمامية في نهاية الطريق. تختبئ كِلْيُو خلف الستارة عندما ترى شيئًا يتحرك بجانب ما يشبه شاحنة تخييم صغيرة. لكنه ليس شخصًا، إنه ثعلب. ثعلبٌ أسود بذيلٍ أبيض. تحدق مذهولة بينما

يزحف الثعلب على طول الشارع ويتوقف خارج باب منزلها الأمامي مباشرةً. وبسقوط ضوء الشارع على رأسه، يبدو أنه يحدِّق إلى أعلى في اتجاهها.

هل تحلم؟

تسمع شيئًا آخر بعد ذلك. ضجَّةً في الطابق السفلي. يبدو أن الثعلب الأسود يسمعها أيضًا، فينطلق كالسهم عبر الشارع قبل أن يركض نحو الحدائق العامة، ويختفي عبر قضبان البوابة السوداء كما لو أنه لم يكن هناك قط. تسمع كِلْيُو الضجيج مرة أخرى، ومن المستحيل تحديد مصدره من هنا -شيء مثل خطوات أقدام خافتة في الأسفل- لذا تغادر غرفة النوم لتتحقق.

المنزل غارقٌ في ظلامٍ دامس، لذلك تتحسس الحائط للعثور على المفتاح لإشعال ضوء الدرج. عندما لا يحدث شيء، تنقره بإصبعها مرة أخرى، لكن الأضواء لا تعمل. تحاول إشعال مصباح الطاولة المعدني الموجود فوق الخزانة في الردهة، لكنه لا يعمل أيضًا. تتساءل كِلْيُو ما إن كان هناك انقطاع في التيار الكهربائي، لكنها تسمع بعد ذلك ضجَّةً أخرى في الطابق السفلي ويقدِّم خيالها احتمالاتٍ أخرى. احتمالات سيئة. طالما تمتَّعت كِلْيُو بتفكيرٍ عقلاني وسرعان ما يزول خوفها. لا بد أنَّ أمها هناك، وهي السبب في تلك الضجَّة كما هو الحال دائمًا.

ربما حاولت إديث تحميص بعض الخبز في المِحْمَصَة الكهربائيَّة في منتصف الليل وتسبَّبت في فصل لوحة قواطع الكهرباء. لن تكون هذه هي المرة الأولى. الأسلاك في هذا المنزل القديم واهنة مثل أعصاب كِلْيُو. تستخدم مصباح إضاءة هاتفها، ثم تأخذ خطوة أخرى ببطء وهدوء نحو الدرج. تجهد لسماع المزيد من الأصوات غير المألوفة، ولكن كل ما يمكنها سماعه هو نبضات قلبها. تدفع بلطف باب غرفة نوم أمها وترى هيئة شخصٍ نائمٍ تحت الألحفة في السرير. إذن مَن في الطابق السفلي *ليست* إديث.

يعود خوف كِلْيُو. غالبًا ما تترك المفتاح في باب المطبخ المطل على باحة المنزل الخلفيَّة، على الرغم من أنها تعلم أن ذلك يهدد أمانها. يبدو أنها تضيِّع المفتاح دائمًا عندما لا تفعل ذلك، والآن لا تستطيع أن تتذكر ما إن كانت قد وضعته في الدُّرج الليلة الماضية. تسمع صوت شيء يتحطم بالأسفل، ويتحوَّل خوفها إلى غضب. تسرع ومصباحها في إحدى يديها ومصباح

الخزانة المعدني في يدها الأخرى -أفضل سلاح مؤقت يمكن أن تفكر في الإمساك به- نازلةً الدَّرج. كلا المصباحين خائنان، ويحدثان صريرًا عاليًا يُعلم الدخيل أنها قادمة، لكن كِلْيُو لا تهتم. غضبها يفوق خوفها ويجعلها شجاعة -كيف يجرؤ شخص ما على اقتحام *منزلها*- سوف يتمنى قريبًا لو أنه لم يفعل.

عندما تصل إلى الطابق الأرضي ترى الباب الأمامي مفتوحًا. لم تترك كِلْيُو الباب مفتوحًا على هذا النحو قط؛ إنها تضع الأقفال دائمًا قبل الذهاب إلى السرير.

تسمع صوتًا آخر، قريبًا بما يكفي لتحديده الآن.

هناك شخص ما في غرفة استشارتها.

ترتجف يداها بينما تجرُّ قدميها نحوها. مزيجٌ من الشجاعة والخوف، فَتُسَاق تارةً نحو الغرفة ثمَّ تُبعَد عنها تارةً أخرى. ويتفوق الغضب عليهما في النهاية.

تقتحم الباب وتدرك أنها لم تكن تتوهم.

هناك شخص ما جالسًا على كرسيها.

وبرؤية مَن هو، لا تتردد كِلْيُو. تصرخ وتجري نحوه.

إديث

تعتقد إديث أنَّ المفتشة تبدو صغيرة على نحوٍ فظيعٍ بخصلات شعرها الوردية وأذنيها المثقوبتين بثقوب عديدةٍ.

تسأل: «هل أنتِ متأكدة من أنَّكِ مفتشة؟».

تجيب المرأة الشابَّة: «كثيرًا ما يطرح عليَّ النَّاس هذا السؤال (تجلس على الكرسي المقابل لإديث وتأخذ رشفة من كوب قهوةٍ جاهزةٍ كبير لدرجةٍ تبعث على السخرية. وتطلب إعداد كوبٍ من الشاي الإنجليزي التقليدي من أجل إديث، حسب طلبها) أنا بالفعل شارلوت تشابمان، كبيرة مفتشي المباحث، وأنا أكبر عمرًا مما يوحي مظهري. لم يكن هناك أي بسكويت كاسترد، أعتذر لذلك».

تسأل إديث بينما تحدِّق إلى الجدران البيضاء، وتفكر كمَّ سيبدو المكان أكثر مرحًا بإضافة بعض القصاصات الفنية: «هل هذه هي الغرفة التي خضعت فيها الدعسوقة للتحقيق؟».

- إن كنتِ تقصدين بيشنس ليدل، نعم.

- إنها بريئة.

- ولهذا أسمعك. قال الرقيب إنكِ متأكدة تمامًا من ذلك عندما اتصل بي وأيقظني. نظرًا لأنني أتيتُ للعمل في منتصف الليل بناءً على إصرارك، آمل أن يكون هناك بعض الأشياء التي يمكنك المساعدة في توضيحها.

تجيب إديث: «يُسعدني أن أفعل».

- كيف تعرفين أن مديرة دار الرعاية قُتلت؟

- هل كنتِ تحاولين إبقاء الأمر سرًّا؟ عُثِرَ على المرأة مقتولةً في المصعد مع علامة «خارج الخدمة حول رقبتها». أخبارٌ مثل هذه تنتقل بسرعة.

- لماذا تركتِ دار الرعاية؟

- هل سبق لك أن أقمتِ في واحدة؟ لو كنتِ فعلت ذلك لعرفتِ سبب مغادرتي.

- حسنًا، لماذا غادرتِ في اليوم نفسه الذي قُتلت فيه مديرة دار الرعاية؟

- هل تؤمنين بالصُدَف؟

- لا.

- هذا حكيمٌ جدًّا. ستصبحين مفتشة جيدة يومًا ما.

- *أنا* مفتشة...

- ولكن لستِ جيِّدة. ليس بعد. سوف تكرهينني على قولي هذا، ولكن هناك بعض الأشياء التي يمكن للتجربة فقط أن تعلِّمها لأي شخص. ربما كنتُ مجرد مفتشة متجر، لكنني تعلمت كيفية مراقبة الناس ومعرفة حقيقتهم تحت الأقنعة التي نرتديها جميعًا. قالت ابنتي إنك تعتقدين أن هناك ثلاثة مشتبه بهم في هذه القضية، بمن فيهم هي.

- هذا صحيح.

- هذا هراء وكلام فارغ. ولكن ربما بسبب نقص الخبرة والحس السليم. جميعنا نرتكب الأخطاء، هكذا نتعلَّم. لا تكوني قاسية على نفسك عندما تدركين مدى الخطأ الذي ارتكبتِه.

- شكرًا، سأحاول ألا أكون كذلك. هل تتحدثين عن ابنتك التي لم تريها أو تتحدثين إليها منذ أشهر حتَّى الأمس؟ ظنَّت أنك مفقودة. يبدو كما لو أن شملكما قد لُم.

- كثيرًا ما نتجاهل بعضنا بعضًا لعدة أشهر في كل مرة.

تومئ المفتشة، وتأخذ رشفة أخرى من قهوتها: «يمكن أن تكون العلاقات بين الأم وابنتها معقدة...».

- لا أرى ما هو المعقد في الأمر. نحن فقط لا نحب بعضنا بعضًا.

- أفهم ذلك، يا لسخافتي. إذن... لماذا كانت ابنتك في دار الرعاية بالأمس؟

تهز إديث كتفيها: «كان عيد الأم، وأظنها أتت بمزيجٍ من الشعور الذنب والغضب. طالما كان هذا اليوم صعبًا عليها دائمًا».

- عيد الأم؟

- هذا ما قلته. هل تعانين ضعفًا في السمع؟

تملأ المفتشة تشابمان خديها بالهواء قبل أن تنفخه بقوَّةٍ من شفتيها. تقرص الجزء العلوي العظمي من أنفها بين إبهامها وسبابتها. تلاحظ إديث أن أظافرها كلها مطلية بألوان مختلفة.

تسأل المفتشة: «لماذا عيد الأم يومٌ صعبٌ بالنسبة لابنتك؟».

- هذا سؤالٌ أفضل بكثير، ما زال هناك أملٌ بكِ. عيد الأم هو مفتاح ربط كل هذه الأحداث. لأنه اليوم الذي خُطفت فيه الطفلة.

- أيُّ طفلة؟

- ثمَّ اعتقلتِ الطفلة ووجهتِ إليها التهم بشيء لم تفعله. هل مسموح لك حقًّا أن تأتي إلى العمل هنا بهذا الشعر الوردي؟ لم يكن ليُسمَح بهذه التقليعات على أيامي. (تسند المفتشة مرفقيها على الطاولة وتمسك برأسها بين يديها) مشكلة جيلك... (تواصل إديث) واحدة من المشاكل العديدة، في رأيي، هي أنكم نسيتم فن الاستماع. أنتم تعرفون كيف

تستخدمون أعينكم، والتحديق إلى شاشاتكم طوال اليوم، لكنكم لا تستخدمون آذانكم. كان خطأي.

- ماذا كان؟

- كله.

تلامس المفتشة تشابمان أصابعها، ثمَّ تشابكها معًا باستثناء سبابتيها بحيث تبدو يديها مثل البندقية: «هل تخبرينني أنَّ جريمة القتل التي حدثت في دار الرعاية كانت خطأك؟».

- لا! ولكن كلُّ شيءٍ آخر كان خطأي. وبعد بضعة أشهر من اختطاف الطفلة، اقترح زوج كِلْيُو أن يرتبا خدمةً في الكنيسة المحلية، على الرغم من أنَّ أيًّا منهما لم يكن متدينًا. قال إنهما بحاجة إلى شكل من أشكال النهايات من أجل المضي قدمًا -كما لو كانت كِلْيُو قادرة على ذلك- ثم ترك ابنتي بعد ذلك بوقت قصير. لذا أعتقد أن ذلك *ساعده* على المضي قدمًا في حياته، فقد انتقل بعيدًا وبدأ حياة جديدة. في ذلك اليوم، في الكنيسة، حضرنا جميعًا وهم يدفنون نعشًا أبيض صغيرًا وفارغًا، لكن الطفلة لم تمت.

تحدِّق إليها المفتشة وكأنها تتحدث لغة أجنبية.

سيدة إليوت، أعتقد أنه قد يكون من الأفضل أن نعيدك إلى دار ونزر لـــ...

تنهض إديث بسرعة كبيرة وينقلب كرسيها على الأرض: «اللعنة! أنا لا أنتمي إلى دور الرعاية!».

- إذن سيتعين علينا استدعاء ابنتك.

- كما لو أنها ستفيدنا بشيء. قد يكون استدعاؤها مثل استدعاء جنيَّة الأسنان. إن التحدث معك يشبه حقًّا التحدث إلى جدارٍ من الطوب، ولكنه أقل إثارة للاهتمام. أخبريني، هل تجيدين الهراء أم أنك لا تتحدثين إلا بالكلام الفارغ؟ لماذا لا تستطيعين رؤية ما هو تحت أنفك؟ هناك طابور من الأشخاص الذين لديهم دافع لقتل جوي بونيتا. والحل الأكثر وضوحًا نادرًا ما يكون هو الحل الصحيح.

- مع احترامي الشديد لكِ، لا أتفق معك.

- مع احترامي الشديد لكِ، أنا لا أبالي ولو بقدرٍ ضئيلٍ بما تعتقدينه. يفلت الكثير من الناس من جرائم قتلٍ بسبب أغبياءٍ غير أكفَّاءٍ مثلك. كان لدي صديقة في دار الرعاية تدعى مِاي وقد قُتلت، ولم يفعل أحد أي شيءٍ لعينٍ لتفسير ما حدث.

تميل المفتشة إلى الأمام: «تابعي».

- بإقرار الجميع، كانت مِاي تتصرف دائمًا على نحوٍ غريبٍ؛ فقد كانت تضطرب أحيانًا وتخبر الناس أنها تبحث عن كلابها الويلزيَّة، لكن كان لديها عقل جميل. لم يكن من الممكن التغلب عليها في كولدو أو أي لعبة ورق، وكنَّا صديقتين.

- معلوماتٌ رائعة، ولكن ما علاقة ذاك بهذا؟

- إن توقفتِ عن المقاطعة، سأخبرك. كانت مِاي مفتشة -مثلك، ولكن أكبر وأحكم وأفضل- ولديها هذه النظرية بأنَّ شخصًا ما في دار الرعاية كان يعقد صفقاتٍ مع أقارب النزلاء للقضاء عليهم. إما عندما ترتفع نفقات المعيشة بشدَّة وتثقل الفواتير أو عندما تشتد حاجتهم إلى الميراث. قالت إن هناك نمطًا متبعًا، وستخبر حفيدتها عنه في المرة القادمة حين تزورها، ولكن بعد أيام قليلة توفيت مِاي. لم تتح لها الفرصة لتخبر أحدًا بما تعرفه. ربما مَن قتل جوي كان لديه سبب وجيه لفعل ذلك.

تحدِّق إليها المفتشة تشابمان لفترة طويلة، ثمَّ تسألها: «هل تعرفين مَن هي حفيدة مِاي؟ (تهز إديث رأسها) هل تعرفين لقب عائلة مِاي؟».

- لا، لستُ متأكدة إن كنتُ سمعته من قبل قط. اعتاد الجميع مناداتها بالعمة مِاي.

تحاول المفتشة تشابمان أخذ رشفة أخرى من قهوتها لكن الكوب الضخم فارغ.

- إنها نظرية مثيرة للاهتمام، ولكن لا يوجد دليل عليها...

- ولكن ماذا لو *كان* هناك دليل؟ ماذا لو *كانت* جوي مسؤولة عن الوفيات المبكرة للمقيمين في دار الرعاية ونالت أخيرًا ما تستحقه؟ أليس من المفترض أن يكون للعدالة دورٌ في حماية الأشخاص الطيبين من الأشرار؟

- من فضلك اجلسي. لا ينبغي لكِ حقًّا أن تُقلقي نفسك هكذا...

- رأيتُ ما حدث، والدعسوقة لم تقتل جوي!

- إذن أخبريني مَن فعل.

مكتبة ياسمين
t.me/yasmeenbook

فرانكي

تتوقف فرانكي عن التردد وتخطو داخل المنزل الوردي. لم تتوهم صوت صراخ أحد، كان حقيقيًّا، وجاء من غرفة الاستشارة التي كانت فيها بالأمس. الغرفة التي أخذت منها القصاصة الفنيَّة. أي نوع من الأشخاص ستكون فرانكي إن ابتعدت بعدما علمت أن شخصًا ما في ورطةٍ؟ حتى لو كان شخصًا تكرهه.

تصرخ المرأة التي تسكن المنزل الوردي خلف الباب المغلق: «لا ينبغي أن تكون هنا!»، وتشعر فرانكي بأنها مضطرة إلى مساعدتها. الردهة مظلمة تمامًا لذا عليها أن تتحسس طريقها.

تقول فرانكي مقتحمةً الغرفة الغامضة: «لدي سلاح ولا أخشى استخدامه».

تستدير كِلْيُو وتضيء هاتفها في وجه فرانكي.

تحدِّق فرانكي مأخوذةً بالمشهد.

هناك كلب جالس على الكرسي الفاخر الفيروزي. تحمل كِلْيُو مصباحًا معدنيًّا في يدها الأخرى وتحدق إلى ما تحمله فرانكي في يدها.

تسأل كِلْيُو، ولا تزال تحدق إلى علبة ملمع مستر شين: «هل تخططين لرشِّي به حتَّى الموت؟ صحيح، حسنًا، هذا كل شيء. القشة التي قصمت ظهر البعير. أنا لا أستطيع التعامل حرفيًّا مع المزيد من الهراء من أي شخص بشأن أي شيء. سأتصل بالشرطة».

تُسقط فرانكي العلبة وترفع يديها للأعلى وكأنها تخشى أن تطلق كِلْيُو النار عليها، وتقول: «لا! من فضلك لا تفعلي ذلك. بابك كان مفتوحًا، سمعتك تصرخين و...».

- وماذا؟ سمحتِ لنفسك بالدخول؟ نحن في منتصف الليل، ماذا تفعلين هنا؟ إن عدتِ لسرقة المزيد من القطع الفنية من المنزل، فليس لدي أي منها. لقد كان لديَّ عملاء تتطوَّر لديهم ميولًا للتعقُّب والملاحقة من قبل، ولكن نادرًا ما يكون ذلك بعد جلسة واحدة غير *مكتملة*. من أنتِ؟ (تسأل كِلْيُو) لأنني لم أصدق أيَّ شيءٍ قلتِه بالأمس. لماذا تراقبين منزلي في منتصف الليل ومن أنتِ؟ حقًّا؟

تشعر فرانكي وكأنها لا تستطيع التنفس.

أربعة جدران، وثلاث نوافذ، وكرسيان، وامرأة واحدة في المنزل الوردي.

تنظر إلى كِلْيُو، ثم إلى الكلب الجالس على الكرسي الفيروزي. الذي يميل رأسه إلى الجانب ويحدِّق إليها بدوره. كانت هناك ثماني عشرة خطوة من الباب الأمامي إلى هذه الغرفة. إن استدارت وركضت الآن، فمن الممكن أن تصل إلى سيارتها في أقل من دقيقتين. لكن فرانكي أتت إلى هنا في منتصف الليل لتعثر على ابنتها، لا شيء آخر يهم.

تقول فرانكي: «أحتاج إلى التحدث معك».

- إذن احجزي موعد. أو الأفضل من ذلك، حاولي العثور على معالجٍ آخر.
- يجب أن يكون أنتِ.
- لماذا؟ لماذا يجب أن أكون أنا؟
- لأنني يجب أن أخبرك شيئًا.

- مهما كان ما تريدين إخباري به، لا أريد أن أعرف.

- أعتقد أنك تريدين، وحتى إن لم تريدي، فما زلتُ بحاجةٍ إلى إخبارك.

- إذن قولي ما تريدين قوله ثم اخرجي من منزلي.

تحدق فرانكي إلى كِلْيُو ثم تغلق عينيها وتبدأ في العد.

أربعة جدران، وثلاث نوافذ، وكرسيان، وامرأة واحدة في المنزل الوردي.

- أخذتُ طفلتك.

كِلْيُو

تُحدِّق كِلْيُو إلى فرانكي: «ماذا قلتِ للتو؟».

تهمس المرأة ثم تحدق إلى الأرض: «سرقتُ طفلتك من السوبر ماركت منذ عشرين عامًا».

من الصعب رؤية وجهها جيِّدًا في الغرفة المظلمة لأنها تحمي عينيها من ضوء مصباح كِلْيُو.

تتمنى كِلْيُو الآن أن تتذكر اسم المرأة، لكنها لا تستطيع تذكرها إلا كملف الحالة رقم 999. ينطلق طيَّارها الآلي، بدافع العادة وحفظ الذات، لإعادة توجيهها. تفعل كِلْيُو ما تفعله دائمًا عندما يقول أحد العملاء شيئًا صادمًا: تنتظر لترى ما سيقوله بعده. يساعدها ذلك في تحديد ما إن كانت الأشياء

التي يقولونها لها قصصًا حقيقية أو متخيَّلة أو مُعاد تخيُّلها أملًا في جذب الاهتمام.

تقول الحالة رقم 999 بنبرة تحدٍّ جديدة: «لستُ هنا للاعتذار. لستُ آسفةً لأنني أخذتها، ولن أكون آسفةً أبدًا».

- والآن سأتصل بالشرطة حقًّا.

تنتزع المرأة الهاتف من يد كِلْيُو: «لا، لن تفعلي. سنجلس ونتحدث كما كان ينبغي أن نفعل بالأمس. كما كان ينبغي لنا أن نفعل طوال كل تلك السنوات الماضية. (تحاول كِلْيُو مغادرة الغرفة لكنها تسد طريقها) عشر دقائق. هذا كل ما سيستغرقه حديثنا. وبعدها، إن بقيتِ تريدين مني أن أغادر، سأفعل. أعدك».

تقيِّم كِلْيُو الموقف والحالة رقم 999. وقبل أن تتمكن من تحديد ما يجب فعله، تعود الكهرباء مرة أخرى. فتستعيد الأضواء والثقة. تدرس كِلْيُو المرأة للحظة وكأنها تحاول حل مسألة صعبة، وتعتقد أنها تراها بوضوح الآن.

- من الواضح أنك بحثتِ عني. من المحتمل أنَّكِ قرأت بعض المقالات الصحفية القديمة، ولأسباب لا أهتم بها، أتيت إلى هنا متظاهرة بأنك تعرفين شيئًا عن طفلتي المفقودة. لقد مرَّ وقت طويل، ولكن هل لديك أي فكرة عن عدد الأشخاص الذين ادعوا أنهم يعرفون شيئًا عن اختفائها *لسنواتٍ* بعد حادثة اختطافها؟ أملًا في الحصول على مكافأة. أو مجرد الاهتمام. لقد دُمِّرَت سنوات من حياتي على يد كاذبين مضطربين وموهومين مثلك.

- أنا لا أكذب. لماذا لا تصدقينني؟

- ماذا تريدين؟ المال؟ لأنه إن كنتِ تعتقدين أنَّ لديَ أي ثروة لمجرد أنني أعيش في هذا المنزل في هذه المنطقة الراقية من المدينة، فأنت مخطئة للأسف.

- أحتاج إلى مساعدتك وإلا ما أتيتُ إلى هنا على الإطلاق.

- حسنًا، نحن متفقتان في شيءٍ. أنتِ بحاجة إلى المساعدة.

- أستطيع أن أخبرك أنها كانت ترتدي منامة وردِيَّة. أستطيع أن أخبرك أنَّ أمك مَن كانت تعتني بها في ذلك اليوم وأخذتها إلى السوبر ماركت. أستطيع أن أخبرك أنَّ الساعة كانت العاشرة إلا عشر دقائق عندما أخذتُ الطفلة من العربة وخرجت بها من السوق مباشرة.

- كلُّ ما ذكرتِه بإمكانك قراءته في الصحف. إن كنت تقولين الحقيقة، فهل تعلمين أن زوجي تركني بعد ستة أشهر من اختطاف ابنتنا الصغيرة؟ لم يستطع تحمُّل البقاء قرب شخصٍ محطَّمٍ مثلي، وعلِمَ أنه لا توجد طريقة لإصلاحي. لقد كان محقًّا. فقدتُ طفلتي وزوجي ونفسي بسبب ما حدث. خسرتُ كلَّ شيء. ها هو شيء لم ولن تتاح لكِ الفرصة للقراءة عنه.

- أنا آسفة.

- من فضلك غادري.

- إنها تشبهك، فتاتك الصغيرة. لديكما العينان نفسهما.

- اخرجي من هنا.

- لماذا لا تريدين إخباري أين هي؟

تتردد كِلْيُو: «أنا لا أعرف مَن أو ما الذي تتحدثين عنه!».

تتحسس الحالة رقم 999 شيئًا داخل حقيبتها. تتراجع كِلْيُو خطوةً إلى الوراء خوفًا من أن يكون لديها سلاح أكثر خطورة من علبة ملمع الأسطح.

تخرج المرأة صورة وتقول: «هذه ابنتك».

تحدق كِلْيُو إلى الصورة: «هذه ليست ابنتي. هذه بيشنس».

- بيشنس؟

- كنتُ أعلم أنها غير جديرة بالثقة. يا لها من خدعة متقنة شيَّدتها كلتاكما. حسنًا، ربما تكون قد خدَعَتْ أمي، لكنها لم تخدعني. ما هي الخطة الآن؟ ابتزاز؟ حظًّا سعيدًا في ذلك. (يبدأ هاتفها في الرنين وتحدق إليه) مكالمة في وقتها، الشرطة تتصل بي.

تندم كِلْيُو على الرد على المكالمة بمجرد سماع صوت المفتشة.

تقول المفتشة تشابمان: «لم أكن أتوقع منك إجابة نظرًا لأننا في منتصف الليل. حالة من الأرق أليس كذلك؟ قلقة بشأن أمك المفقودة؟».

- لقد وجدتُها...

- ثمَّ فقدتِها مرةً أخرى على ما يبدو. لقد جاءت إلى هنا، إلى مركز الشرطة في كوفنت جاردن.

- ماذا؟ هل أنتِ متأكدة؟

- ما لم يكن لديها توأم.

- أنا آسفة. إنها مصدر إزعاج. سوف آتي وآخذها في أقرب...

- لا يمكنك. لهذا السبب أتصل. قالت إنها تعرف مَن قتل مديرة دار الرعاية... (تتصادم أفكار كِلْيُو مثل السحب مما يولِّد عاصفةً عنيفةً داخل رأسها، وتسمع فقط الكلمات القليلة الأخيرة التي تقولها المفتشة)... وهي هناك الآن.

تسأل كِلْيُو: «معذرةً، أين أمي الآن؟».

- في المستشفى. كما قلتُ، لقد انفعلت بشدَّة وفقدت التحكم بأعصابها. قال المسعفون إنها نوبة قلبية على الأرجح، وكانت فاقدة للوعي عندما نقلوها بسيارة الإسعاف. إن كنتِ تريدين رؤيتها، أقترح عليكِ أن تذهبي على الفور.

فرانكي

تقول كِلْيُو، جالسةً في مقعد الراكب الأمامي في سيَّارة التخييم الصغيرة، وفاحصةً حزام الأمان للمرة العاشرة: «لا أعرف كيف سمحتُ لكِ بإقناعي بهذا».

تتفاجأ فرانكي أيضًا بأن المرأة التي تسكن المنزل الوردي قبلت عرضها بتوصيلها.

تهز كتفيها: «حسنًا، من الصعب الحصول على سيارة أجرة في هذا الوقت المتأخر من الليل».

- أعرف الطريق إلى المستشفى. لذا، إذا كنتِ تخططين لاقتيادي إلى حارةٍ خلفيَّةٍ أو زقاقٍ مظلمٍ و...

تقول فرانكي: «أنا لا أحاول إيذاءك، أنا فقط أحاول المساعدة».

- *لماذا؟*

- لأنَّ أمك في المستشفى.

تنطلقان في طريقهما في صمتٍ لبعض الوقت. إنه أمر غير مريح للغاية، لكن فرانكي لا تستطيع التفكير في أي شيء مناسب لتقوله.

تقول في النهاية من دون تفكير: «يعجبني حذاءك الرياضي الأحمر».

- ماذا؟

- حذاءك الرياضي. أعتقد أنه أنيق حقًّا.

تحدق كِلْيُو إليها: «هل لديك أي فكرة عن مدى غرابة ما تقولين، في ظل هذه الظروف؟».

- كنتُ أحاول فقط أن أكون لطيفة.

- حسنًا، لا تحاولي. لو كانت هناك أي شركة سيارات أجرة قادرة على إرسال سيارةٍ عاجلة، لما حدث هذا.

تقول فرانكي: «على الرحب والسعة».

- ربما يمكننا إكمال الطريق في صمت؟

- ربما يجب أن تتعلمي القيادة.

تشغل فرانكي الراديو. مرةً أخرى لا يسير الأمر بالطريقة التي تخيلتها. طوال هذه السنوات كانت تعتقد أنها شخص جيد ارتكب شيئًا سيئًا. لكنها الآن بدأت تشك في نفسها. هل يعرف الأشخاص السيئون أنهم سيئون؟ ربما كل الأشرار هم أبطال قصصهم الخاصة.

تمد كِلْيُو يدها إلى الراديو وتطفئه: «أخبريني عنها».

- مَن؟

- ابنتك.

تتردد فرانكي، غير متأكدة مما إذا كانت تريد مشاركة شيئًا حول أكثر شخصٍ تحبه مع أكثر شخصٍ تكرهه.

تقول فرانكي محدقةً إلى الطريق أمامها: «إنها ابنتك أيضًا».

- من فضلك لا تعيدي ذلك مرة أخرى.

تبتسم فرانكي: «ابنتي مثالية. إنها ذكية، وحنونة، ومرحة... وهي جميلة. من الداخل والخارج. اقترب عيد ميلادها، فهي في التاسعة عشرة من عمرها تقريبًا...».

- حسنًا، أنت لم تجري أبحاثك بدقة. وُلدت ابنتي في شهر سبتمبر وستصبح في...

- أكبر من ذلك بقليل، نعم. لم أكن أعرف عيد ميلادها الحقيقي عندما أخذتها، كيف أعرف ذلك؟ لذلك اخترتُ لها واحدًا. وأردت التظاهر بأنها أصغر قليلًا وتأخير بلوغها الثامنة عشرة لأن... حسنًا، الطفولة تنقضي بسرعة كبيرة، ألا تعتقدين ذلك؟

- أظن أن أمي صدقت حقًّا أن هذه الفتاة، ابنتك، هي حفيدتها المفقودة. ولهذا السبب فعلت ما فعلته. يا لها من خديعة اشتركتم في تنفيذها.

- لم تخدع ابنتي أحدًا. فهي لا تعرف حتَّى بوجودك.

تضحك كِلْيُو: «أوه نعم، أنتِ على حق».

تسأل فرانكي: «ماذا يعني ذلك؟».

لكن كِلْيُو تتجاهلها وتعيد تشغيل الراديو.

وبعد دقيقة توقفه فرانكي مرة أخرى، وتقول: «أنا لا أفهم لماذا لا تصدقينني؟».

- لأنني أعلم أنك تكذبين.

- كيف؟

- كبداية، كان شعر ابنتي الصغيرة أشقر ومجعدًا مثل شعر أبيها تمامًا. أنا مندهشة لأنك لم تتطرقي إلى هذه النقطة في الصحف.

- كان شعرها أشقر عندما أخذتها، لكنه أصبح داكنًا بينما تكبر. ألم تسمعي من قبل عن أطفال شقر يكبرون ويصبح شعرهم داكنًا؟

- من فضلك.. توقفي.. عن الحديث.

- أريد فقط أن أفهم لماذا لا تريدين أن تصدقي ما أحاول أن...

تقول كِلْيُو: «لأن ابنتي *ماتت*. أشعر بذلك. أعلم ذلك. هنا (تضع يدها على قلبها) المستشفى على اليسار التالي. إن أوصلتِني عند قسم الحوادث والطوارئ سأستطيع إيجاد طريقي من هناك».

تكملان الطريق في صمت خلال الدقائق القليلة الأخيرة، حتى تتوقف فرانكي خارج المدخل الرئيسي.

تسألها: «هل تريدين مني أن أنتظر؟».

تقول المرأة التي تسكن المنزل الوردي: «من أجل ماذا؟».

تقول فرانكي: «أشعر بالسوء لأنك وحيدة، ولكن ربما تفضلين البقاء بمفردك. (تمد يدها وتفتح درج الأدوات وتسحب ظرفًا) خذي هذا من فضلك».

تحدق كِلْيُو إليها كما لو أنَّ الظرف يحتوي على سمٍّ قاتل.

تسأل: «ما هذا؟».

- دليل.

كِلْيُو

مرَّ ما يفوق الساعة وما زالت كِلْيُو في المستشفى. وُجِّهَت إلى غرفة انتظار كبيرةٍ مكدسةٍ بأشخاصٍ يُرثَى لهم، ولم يتحدث معها أحد منذ ذلك الحين. اتصلت بأخيها خمس مرات، لكن جُود لم يرد. لذا فهي تتحمل مسؤولية أمها بنفسها، مرةً أخرى، بمفردها. على الرغم من وجود الكثير من الكراسي، فهي لا تجلس. تبدو الكراسي قذرة والأشخاص الذين يجلسون عليها ليسوا أقلَّ قذارةً أيضًا. لم تحتمل كِلْيُو العيش وسط قذارةٍ قط. أو وسط الناس. تُطهِّر غرفة استشارتها كل مساء بعد مغادرة آخر عميل في اليوم، فمشاكلهم تجعلها تشعر بالقذارة. تمامًا كما تُشعرها المستشفيات. رائحتي الموت واليأس تجعلان التنفس صعبًا. عندما لا تستطيع تحمُّل البقاء دون معرفة ما يحدث لدقيقةٍ أخرى، تتوقف عن التمشِّي وتقترب من الممرضة الجالسة خلف المكتب.

تقول: «أنا ابنة إديث إليوت».

بينما تلاحظ كيف تلين قسمات وجه الممرضة على الفور، حيث تمتلئ عيناها بالتعاطف الذي لا تريده كِلْيُو ولا يحتاجه.

- سيخرج طبيب للتحدث معك بشأن أمك في أقرب وقت ممكن.

لا تحتمل كِلْيُو الانتظار دون معرفة ما يجري، أو محاولة فعل شيءٍ ما. إنَّها تكره الممرضة المتعاطفة، وتكره الأطباء لجعلها تنتظر، وتكره أمها لأنها تسببت لها في حزنٍ لا نهاية له. إنها تكره الجميع وكل شيء في هذه اللحظة وتريد فقط أن يتوقف كل شيء. والأهم من ذلك كله، أنها تكره نفسها بسبب شعورها وتفكيرها بهذه الطريقة. إنَّ الخرائط المرسومة داخل أذهاننا والتي تؤدي إلى السعادة والحزن كلها من صنع أيدينا. نحن لا نولد بحيواتٍ مخطَّطَة، نحن رسامو خرائط مصائرنا. يعرف الأطفال فقط كيف يحبون إلى أن يعلمهم العالم -أو أمهاتهم- كيف يكرهون.

بعد مرور ما يبدو وكأنه وقت طويل، ولكنه في الحقيقة بضع دقائق فقط، وبينما يروح الناس ويجيئون من حولها، يظهر أخيرًا طبيبٌ في المدخل. إنه شابٌّ جدًّا، ونحيف جدًّا، وطويل جدًّا -كما لو أن الحياة ضغطته- وتأمل ألا يكون هذا هو الطبيب الذي كانت تنتظره.

يسأل: «كِلْيُو كينيدي؟». كما لو كان اسمها سؤالًا، كما لو كانت لغزًا لا أحد يعرف كيفية حله، بما في ذلك نفسها. لا تجيب كِلْيُو على الفور. تشعر بالوحدة الشديدة في هذه اللحظة، لكنها لا تستطيع التفكير في شخصٍ واحدٍ تتصل به ليكون معها هنا. الحزن هو ملكك فقط، تمامًا مثل الشعور بالذنب؛ إنه ليس شيئًا يمكنك مشاركته. لا تبدو كِلْيُو في حالتها الطبيعية. إنها تكافح من أجل *الشعور* بأي شيء على الإطلاق. ولكن عندما يقول الطبيب الطويل النحيف اسمها مرة أخرى، تتقدم نحوه، وتغادر أخيرًا غرفة الانتظار.

يبدو الطبيب منهكًا. يتحدث معها في الممر بطريقةٍ توحي أنَّه مشغول جدًّا ولا يمكنهما الذهاب للتحدث في أي مكان أكثر خصوصية. ليس لديه الوقت لتوصيل هذه الأخبار بطريقة أكثر حساسية. كِلْيُو ممتنة لذلك. فهي لا تريد أن يستغرق هذا وقتًا أطول مما يحتاج إليه أيضًا.

يقول في نهاية حديثه: «أنا آسف جدًّا حقًّا (وتتساءل عن عدد المرات التي يقول فيها هذه الكلمات للغرباء. كل مناوبة؟ كل ساعة؟) قرأت ملاحظات أمك. لقد وُصِفَت لها أدويةٌ للقلب لها بعد نوبةٍ سابقة. هل كانت تتناول الحبوب؟».

لا تحب كِلْيُو نبرته أو الطريقة التي ينظر بها إليها.

- كانت تعرف أنه ينبغي لها أن تأخذها، ولكن... لا أعرف.

- في بعض الأحيان لا يأخذها المرضى عن عمد. حاولي ألا تقسي على نفسك. إنها ليست غلطتك.

لم تعتقد كِلْيُو أنها غلطتها حتى الآن.

يسأل عندما لا تجيب: «هل تريدين رؤيتها؟».

تعلق كلمات كِلْيُو في حلقها فتومئ، وهذه إشارة كافية ليفهم ويرافقها إلى الغرفة.

يقول الطبيب عندما يصلان إلى الغرفة الهادئة التي تخصصها المستشفى للحظات كهذه: «لقد فعلنا كل ما في وسعنا من أجلها».

عندما يقول الناس أنهم فعلوا كل ما في وسعهم، يبدو الحال دائمًا وكأنهم لم يفعلوا. ويبدو كما لو أنهم جميعًا يتهمونها بعدم تقديم ما يكفي لأمها: موظفو دار الرعاية، والشرطة، والطبيب.

لقد حُصرت في دور الابنة السيئة مرةً أخرى أخيرة.

ينحني الطبيب طويل القامة والنحيف ليفتح الباب، ويكشف عن مشهد لا تفضل كِلْيُو رؤيته. والآن بعد أن وصلت إلى هنا، لا تريد الدخول. لا تريد أن تقترب أكثر من هذه المسافة، لكن قدماها تدفعانها إلى الأمام. تبكي كِلْيُو عندما ترى وجه أمها. لم تظن أنها ستشعر بهذا الألم، ولم تكن متأكدة مما إن كانت ستشعر بأي شيء على الإطلاق. نادرًا ما يكون التوقع والواقع متطابقين.

إديث نائمة بجلد مزرَّق وعينين مغلقتين. هناك أنابيب تخرج من أنفها، وأسلاك تربط أجزاء منها بجهازٍ طبي. تريد كِلْيُو أن تتوقف عن البكاء، فهي تشعر بالحرج من انفعالاتها، لكنها لا تستطيع ذلك. ينظر إليها الطبيب بنظرة

شفقة، ويقدم لها بعض كلمات العزاء غير الصادقة، فهو يخلط بين دموع ارتياحها ودموع الحزن. وفي الحقيقة هي دموع ارتياحٍ وندم.

يقول الطبيب وهو يغادر الغرفة: «سأتركك بمفردك معها».

وتكاد كِلْيُو تتوسل إليه بالبقاء.

تسأل: «كم من الوقت يتبقى لها؟».

- ليس طويلًا. من الصعب أن أقول بالضبط. إن كان عليَّ أن أخمن، بضع ساعات. (تتساقط دموع جديدة من عيني كِلْيُو من دون إذنٍ منها) إنها غائبة عن الوعي، لكنها ربما لا تزال قادرة على سماعك، لذا، إن كان هناك أي شيء تريدين قوله، فربما لم يفت الأوان بعد.

تتساءل كِلْيُو عما يعنيه بذلك. ربما لدى كل شخص شيءٌ يتمنى لو قاله لأمه أو أبيه بينما كانت الفرصة ما زالت أمامه.

تشكر كِلْيُو الطبيب وتنتظر مغادرته ثم تمسح دموعها. تبدأ الشمس في الشروق بالخارج. يوم جديد. ربما اليوم الأخير لأمها. تخرج كِلْيُو هاتفها وتتصل بجُود مرة أخرى، ويزداد إحباطها مع كل رنين ينقطع دون الرد عليه. تترك رسالة هذه المرة. لن تتصل به مرة أخرى. تبدو إديث عجوزًا جدًّا مستلقية هناك على السرير. ضعيفة جدًّا، وهشة جدًّا، وعاجزة جدًّا. مجرد ظل للمرأة القوية التي اعتادت أن تكونها. تقف كِلْيُو بالقرب من السرير قدر استطاعتها دون لمسه. ثم تحني فوقه، بقربٍ يكفي لتهمس في أذن أمها، أملًا في أن تتمكن من سماعها.

- بماذا أخبرتِ الشرطة أيتها العجوز الحمقاء السخيفة؟

بيشنس

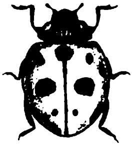

أفتح عينيَّ وأنتفض في فراشي، أحدق إلى كلِّ شيءٍ غير مألوفٍ حولي، قبل أن أتذكر أين أنا.

تسأل ليبرتي من سريرها: «أشرقت الشمس. هل أنتِ بخير؟ تهانينا على اجتيازك ليلتك الأولى في السجن! (أرمش لأتكيَّف مع الضوء الساطع، وأنظر حولي. كنت أعاني كابوسًا، ويبدو أنني استيقظت في آخرٍ) إنهم يشعلون الأنوار في تمام السابعة من كل صباح. (تنهض ليبرتي وتمدد ذراعيها) أحب أن أتظاهر بأنها الشمس. (أصبحت خصلات شعرها الأشقر المجعدة مفرودة قليلًا على إحدى جانبي رأسها من النوم عليها، كما أصبح النمش على أنفها أكثر وضوحًا من الليلة الماضية) هيَّا، لا يوجد وقتٌ للتَّلَكُّؤ. عليكِ أن تنهضي، وتغتسلي، وترتدي ملابسك. سيصل الفطور قريبًا. سأذهب إلى المكتبة لاحقًا، لذا سيتعين عليكِ تدبر أمرك بمفردك لبعض الوقت».

أسألها: «ماذا قلتِ؟».

- قلت إنه سيتعين عليك تدبر أمرك بمفردك لبعض...

- لا. الجملة الأخرى. هل ستذهبين إلى المكتبة؟

- نعم.

- هل أستطيع المجيء؟

- إلى المكتبة؟ مستحيل. لن يسمحوا لكِ بالخروج من زنزانتك حتَّى يُدرَج اسمك في النظام. إن كنتِ ترغبين بشدة في قراءة كتاب، أرِّحب بكِ لاستعارة كتابٍ من رفِّي الخاص...

أقول فجأةً ومن دون تفكير: «تعمل أمي في المكتبة ويجب أن أراها».

توحي النظرة البادية على وجه ليبرتي في الحال بأنني تسرعتُ في الإفصاح عن ذلك.

تهز رأسها وتهتز معها خصلات شعرها المجعَّدة: «فرانكي أمينة المكتبة هي أمك؟ (أومئ ولا تزال بقايا العبوس على وجه ليبرتي) حسنًا، هذا يُعرقل الأمور. هل تعرفين كيف يمكن أن يسوء وضعك ووضعها، إن عرف الناس هنا أنَّ أمَّك هي إحدى الموظفين؟».

- لم... لم أفكر في ذلك. أحتاج إلى رؤيتها حقًّا وأنا أثق بكِ.

تختفي ابتسامة ليبرتي والتعبير البادي على وجهها هذه المرة لا أستطيع قراءته. تقطع خطوة نحوي، ثم أخرى.

تقولُ وهي تقف على مسافة قريبة جدًّا الآن: «قد تكونين جميلة جدًّا، لكنك أيضًا غبية جدًّا. ما هي القاعدة الأولى التي علمتك إياها بشأن البقاء في هذا المكان؟».

أحاول الرجوع خطوةً أخرى، ولكنني أصطدم بالحائط. وعندما أحاول التحدث يخرج صوتي هامسًا.

- لا تثقي *بأيِّ أحدٍ* أبدًا.

كِلْيُو

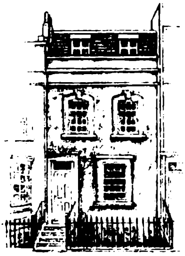

تترك كِلْيُو غرفة أمِّها بحثًا عن القهوة، فهي بحاجةٍ إلى شيءٍ يساعدها على البقاء مستيقظةً وتجاوز هذا الأمر. ما زال الوقت باكرًا، لكن الحياة دبَّت في المستشفى منذ طلوع الشمس. لا تستطيع منع نفسها من التحديق إلى كل الأشخاص الذين تمر بهم والتساؤل عن سبب وجودهم هنا. الكثير من وجوههم مصبوغٌ بالقلق والخوف والألم، بينما القليل فقط يظهر عليه علامات التفاؤل أو حتَّى الفرح. تشعر بالغيرة من أولئك الذين يحملون أملًا في أعينهم، إنه شيء ثمين.

تعثر كِلْيُو على مقهى صغير في الطابق الأرضي وتشتري قهوة سوداء وقطعة من شوكولاتة كيت كات النباتيَّة. علمتها أمُّها أنَّ وجبة الإفطار هي أهم وجبة في اليوم، لذلك كانت ترفض دائمًا تناول وجبة صحية. ترى داخل حقيبتها الظرف الصغير الذي أعطتها فرانكي إياه وتقرر فتحه. تجد بداخله

خاتمًا فضيًّا بشكل دعسوقة. تُزلق الخاتم حول إصبعها، يناسب مقاسها، وتشعر كِلْيُو وكأنها تنهار. تسرع عائدة عبر متاهة السلالم والممرات إلى غرفة إديث، وتُصدَم عندما تفتح الباب وترى أن أمَّها لم تعد بمفردها.

تسأل كِلْيُو، بينما تخطو سريعًا إلى الداخل: «هل وصلتك رسائلي إذن؟».

يقول جُود: «يبدو كذلك. إنها لا تزال على قيد الحياة، كما أرى».

تقول كِلْيُو وهي تغلق الباب خلفها: «ششش. قال الطبيب إنها ربما لا تزال قادرة على السمع».

- لا أهتم.

- لا جديد في ذلك.

يسأل: «كم من الوقت أمامها قال الطبيب؟».

- ليس طويلًا.

يقول جُود: «جيِّد، لديَّ أشياء يجب أن أفعلها. هذا كله لصالحنا، وسترين. أُبعدت الفتاة عن طريقنا، وستُبطَل التغييرات التي أجرتها أمك على وصيتها. يمكنك سداد رسوم رهنك العقاري، ويمكنني الاحتفاظ بالمعرض. المكسب للجميع!».

- كيف يمكنك التحدث بهذه الطريقة؟

- أفتح فمي وأدع الكلمات تخرج منه.

- بربِّك!

- بالحديث عن الرَّب، أعتقد أنَّ أمَّك العزيزة ستقابل خالقها أخيرًا.

- لم تعد تؤمن بالرَّب منذ وقتٍ طويلٍ.

- ماذا؟

- قالت إنَّ التواصل بينهما انقطع. كيف لا تعرف أيَّ شيءٍ عن أمك؟

- أعرف أنَّها علَّمتنا الذهاب إلى الكنيسة، وكانت تضع المال دائمًا في سلة قدَّاس الأحد حتىَّ في الأوقات التي لم تكن تستطيع فيها وضع أي طعامٍ على الطاولة.

- أتساءل أحيانًا ما إن كانت قد فعلت كل ذلك لتتمكن من تسجيلنا بمدرسة جيدة...

- هراء! وفي بعض المناسبات النادرة التي لم يكن لديها فيها عمل، كانت تهرب للاعتراف، مستميتةً للاختباء في صندوق خشبي وإخبار الكاهن بخطاياها وأسرارها.

تقول كِلْيُو: «لا أتذكَّر ذلك».

- هل تتذكرين عندما رفضتِ تأكيد تعميدك، وكم غضبت منك؟

لم تنس كِلْيُو ما حدث حينها. من الصعب أن تنشأ في منزلٍ متدينٍ عندما لا تستطيع أن تؤمن بالأشياء التي من المفترض أن تؤمن بها. وكِلْيُو لا تستطيع ذلك. كان من المفترض أن يكون يوم المناولة الأولى[1] في حياتها يومًا جيدًا، لكن كِلْيُو البالغة من العمر ثماني سنوات شعرت وكأنها منافقة. أرادت أن تجعل أمها سعيدة وأرادت أن تؤمن بالرَّب، لكن اتضح أنَّ كلا الأمرين كانا صعبين للغاية. وعندما أصبحت مراهقة، سئمت قواعد أمِّها وسئمت قواعد الرَّب أيضًا. لم يكن أيٌّ منهما منطقيًّا بالنسبة لها، وقد شعرت بهذه الطريقة منذ ذلك الحين. السماء ليست لها قواعد، وكذلك المحيط. من الإنسانيَّة وضع القواعد، ومن المخيب للآمال أن يتبع الإنسان هذه القواعد دون سؤال. لم يأتِ إخبار أمِّها بأنها لا تريد أن تصبح كاثوليكية عندما بلغت الثالثة عشرة من عمرها بنتيجة حسنة.

تسأل كِلْيُو: «هل تتذكر كيف بدأت في شراء الشوكولاتة والحلوى من أجل أن تضعها لك في صندوق طعامك المدرسي، بينما لم أحصل على شيء؟».

يقول جُود: «إنَّ معاقبة أحدنا بالتعامل بلطفٍ مع الآخر كان أمرًا اعتياديًّا».

- وتلك المرة عندما قالت إنها لا تستطيع شراء حذاء مدرسي جديد لي، على الرغم من أن الحذاء الذي كنت أرتديه غُطِّيَ بالكثير من الثقوب في...

---

(1) طقس احتفالي تختص به الكنيسة الكاثوليكية، يُنَاوَل الأطفال أو يُمنَحون بموجبه سر التناول أو القربان المقدَّس في سنٍ محدَّدة وهي بعد بلوغ الطفل الثامنة. (المترجمة)

- ثم اشترت لي حذاءً رياضيًّا جديدًا باهظ الثمن. ماذا كانت علامته؟

تجيب كِلْيُو في الحال، فهي تتكره جيدًا: «نايكي اير. لقد طلبتُ الحصول على واحدٍ لعيد الميلاد. فاشترته لك بدلًا مني على الرغم من أنَّك لم تكن بحاجة إليه أو تريده».

في بعض الأحيان نريد أشياء فقط لأن الآخرين يمتلكونها. وبدأت كِلْيُو تريد كلَّ أنواع الأشياء التي لم تكن تريدها من قبل عندما أصبحت مراهقة: الأحذية الرياضية، والحريَّة، والأولاد. عاقبتها أمُّها بقسوةٍ لعدم إيمانها بالأشياء نفسها التي تؤمن بها، ولرغبتها في أشياء اعتقدت أمُّها أنها لا ينبغي أن ترغب فيها.

تقول كِلْيُو وهي تتذكر الأوقات السعيدة: «لم تكن الأوقات كلها سيئة، أليس كذلك؟».

حفلات الهالوين والبدلات التنكريَّة يدويَّة الصُنع لثلاثتهم فقط، رحلة إلى شاطئ البحر، حفلةٍ لأولياء الأمور امتلأت فيها إديث بالفخر، أفضل عيد ميلاد مجيدٍ عندما ساعدوا جميعهم في شوي اللحم وأعطت إديث كِلْيُو ساعة يد مميَّزة مغلفة بورق هدايا فضِّي. كانت كِلْيُو قد رأتها في نافذة أحد المتاجر قبل أسابيع، وتذكرت إديث، وادخرت ما يكفي، وعادت لتشتريها لها. في بعض الأحيان كانت أمهما تحبهما. ربما فقط بما لا يكفي.

يهز جُود رأسه وكأنه يحاول نفض أفكاره عنه.

- لا، لم تكن كلها سيئة، لكن لم تكن كلها جيدة أيضًا. لن أسامحها أو أنسى ما فعلته بي. (لا يحتاج إلى أن يقول أكثر من ذلك. عندما أخبر جُود أمهما عن عدم رغبته الزواج مطلقًا، عاملته كغريبٍ) ولم أنسَ ما فعلته بكِ أيضًا.

تجفل كِلْيُو: «حسنًا، كلُّ هذه أوراقٌ من الماضي الآن...».

- كيف يمكن اعتبارها كذلك في حين أنها ما زالت تدمر حياتك في الوقت الحاضر؟ كنتُ في الحادية عشرة فقط من عمري، لكنني أتذكر عندما هربتِ من المنزل. وأتذكر السبب. أتمنى أحيانًا لو لم تعودي قط.

- شكرًا...

- لأنَّني أعتقد أنَّ حياتك كانت ستأخذ مسارًا مختلفًا تمامًا لو لم تجعلك تتخلصين من الطفلة التي بداخلك بمجرد بلوغك السادسة عشرة من عمرك.

لا تريد كِلْيُو التحدث عن هذا. لا تستطيع. لا ترغب. لقد أخفت كل ذكريات طفلتها الثانية في صناديق الأحذية، لكن ذكريات طفلتها الأولى محفوظة في صندوقٍ أكبرٍ بكثير داخل رأسها. صندوقٌ لا تفتحه أبدًا. تتساءل دائمًا ما إن كانت طفلتها الثانية قد سُرقت منها في ذلك اليوم في السوبر ماركت لأنها تخلصت من طفلتها الأولى. لكنها كانت صغيرة جدًّا. صغيرة جدًّا على الحمل وصغيرة جدًّا على الاحتفاظ بها. على الأقل هذا ما قالته أمها مرارًا وتكرارًا. أقنعتها إديث بأن عدم الاحتفاظ بالطفلة هو الشيء الصحيح الذي ينبغي فعله، لكن كِلْيُو أمضت حياتها نادمة على هذا القرار.

من العجيب كيف أصبحت أمها المتدينة تؤيد الإجهاض فجأة.

هناك طَرقٌ على الباب وتشعر كِلْيُو بالامتنان لأيٍّ يكن مَن سيقاطعهما.

إلى أن تعرف مَن الطارق.

تقول المفتشة التي تحمل دمية دبٍ باللونين الأبيض والأسود: «آسفة للتطفل. ربما يبدو من غير المناسب تمامًا أن أظهر بهذه الطريقة في المستشفى، بينما تحاولان قضاء بعض الوقت الخاص مع أمكما لتوديعها».

يسأل جُود بصوت الطبقة الوسطى الفاخر الذي يحتفظ به للغرباء: «مَن أنتِ؟».

- شارلوت تشابمان، كبيرة مفتشي المباحث.

يرفع جُود حاجبًا: «حسنًا، مما سمعتُه يتضح أنَّك قد قتلتِ أمَّنا».

تجيب المفتشة ويتوقف كل شيء: «مما سمعتُه فإنَّ هذا ما أردتَه».

ينهض بشموخ، ويحاول أن يبدو في مظهرٍ واثقٍ من نفسه، مثل السمكة المنتفخة عندما تشعر بالتهديد: «ماذا قلتِ للتو؟».

- أعتقد أنك سمعتَني. أردتَ أمك أن تموت.

- كيف تجرئين على قول هذا. لا أعرف ما الذي تتحدثين عنه، ولكن عندما ينتهي هذا سأتقدم بشكوى رسمية.

- أجمع الشكاوى، الرسمية منها وغير الرسمية، وأرحب بجميعها. وإن اتضح أنني أخطأتُ سأكون أول مَن يعتذر. ارتكاب الأخطاء هو الطريقة التي نتعلم بها، ألا تعتقد ذلك؟

يحدِّق جُود إلى المفتشة وكأنها مجنونة: «أمنا تحتضر. هل يمكنك أن تظهري بعض الاحترام وأن تتركينا وشأننا؟».

تتجاهله المفتشة وتدخل الغرفة. تقول وهي تدس خصلة من خصلاتها الورديَّة خلف أذنها المكدَّسة بالأقراط: «عادةً ما أكون دقيقةً في عملي. أعترف أنني *اعتقدت* أن هذه القضية ستكون واضحة نسبيًّا. كان هناك ثلاثة مشتبه بهم، وجريمتي قتل، وضحية واحدة، وكنت متأكدة من أنني أعرف مَن القاتل منذ البداية».

يسأل جُود كِلْيُو: «هل تعرفين ما الذي تتحدث عنه؟».

لكن كِلْيُو متجمدة في مكانها وخائفة جدًّا من التحدُّث، فهي تعرف أنها كانت واحدة من ضمن الثلاثة المشتبه بهم، وكذلك تعرف السبب.

تقول المفتشة: «دعونا نبدأ من النهاية، لأنَّ النهاية غالبًا ما تكون هي البداية. الضحيَّة الثانية كانت جُوي بونيتا، مديرة دار وِنزر لرعاية المسنين، والتي لم تكن محبوبة من قبل أحد وعُثِرَ عليها مقتولةً في مصعدٍ كهربائيٍ وهناك علامة «خارج نطاق الخدمة» حول رقبتها. المشتبه بهم الثلاثة هم: موظفة فُصلت من عملها مؤخرًا وتطلق على نفسها اسم بيشنس، وامرأة تُدعى فرانكي، لم يكن لديها سبب واضح لوجودها هناك ووقَّعت في دفتر الزوَّار *متظاهرة* بأنها كِلْيُو، و... (تستدير نحو كِلْيُو) وكِلْيُو كينيدي الحقيقية. شوهد المشتبه بهم *الثلاثة* أو سمعوا وهم يتجادلون مع جوي بونيتا قبل وقتٍ قصيرٍ من وفاتها، وقد كذب ثلاثتهم بشأن ذلك. أنا من أكبر مؤيدي المنطق في تفسير الأحداث، ومن المنطقي أن تكون القاتلة واحدة منهن. لكن في بعض الأحيان، لكي نصحح الأمور في الحاضر، علينا أن ننظر إلى الماضي.

الضحية الأولى كانت مِاي تشابمان قبل بضعة أشهر. كانت أيضًا مقيمة في دار وِنزر لرعاية المسنين، وجدَّتي».

تسأل كِلْيُو التي اعتقدت أنَّه مجرد تشابه أسماء: «هل قلتِ *مِاي تشابمان*؟».

يتجاهلها جُود: «لا أرى ما علاقة أيٍّ من هذا بـ...».

تقول المفتشة بابتسامةٍ: «سوف تتعلم الإنصات إلى الآخرين أكثر من أي وقتٍ مضى عندما تنصت إلى صوتك. جمعينا متصلون ببعضنا بعضًا. وهذا ينطبق على الحياة وكذلك على هذه الحالة. كانت جدتي، المعروفة -تحبُّبًا- بين الجميع باسم العمة مِاي، امرأةً لطيفةً وذكيَّةً بشكل لا يصدق. لم يرد أحدٌ منَّا أن يضعها في دار رعاية، لكنها كانت تعاني الخرف ولم يكن أمامنا خيار في النهاية. كانت مِاي في شبابها مفتشة...».

يقول جُود: «آمل أنها كانت أفضل منك».

- أوه نعم، أفضل بكثير. لكن كانت هناك قضيَّة واحدة لم تستطع حلها وظلت تطاردها لبقية حياتها. قضية طفلة عمرها ستة أشهر اختُطفت من سوبر ماركت في عيد الأم قبل عشرين عامًا. هل هذا يذكركما بشيء؟

يهدأ جُود لأول مرة، وكذلك كِلْيُو التي ينقبض قلبها بشدَّة.

- قُتلت جدتي في الدار. كنت متأكدةً من ذلك، حتَّى أنهم عثروا على أليافٍ قطنيةٍ داخل فمها مما يدل على أنَّ شخصًا ما وضع وسادةً على وجهها. لكن لم يكن لدي أي دليل، ولا دليل واحد حقيقي، ولا حتَّى دافع. وكلها تميل إلى أن تكون ذات أهمية بسيطة في مجال عملي. ولكن بعد ذلك حدثت جريمة قتل ثانية -جوي، مديرة دار الرعاية- وبدأت قطع اللغز تتجمع معًا. لسوء الحظ، لم تُركَّب في مكانها على الفور، وأعترف أن هذه القضية أزعجتني لفترة من الوقت. كنتُ محقَّة فيما يتعلق بوجود ثلاثة مشتبه بهم، وجريمتي قتل، وضحيَّة واحدة.

يسأل جود: «لماذا ضحية واحدة فقط إن كانت هناك جريمتي قتل؟».

- لأنَّني أعتقد أن إحداهما تستحق ما نالته. لم أكن مخطئة في ذلك، لكنني كنت مخطئة بشأن ما ستفعله بعض الأمهات من أجل أطفالهن.

تقول كِلْيُو: «أنا لا أفهم».

تسألها المفتشة تشابمان وهي تنظر ناحية إديث: «ستفهمين. كانت أمك مفتشة أيضًا، هل هذا صحيح؟».

يقول جُود: «مفتشة متجر».

- حسنًا، لقد قامت بعملٍ أفضل مني في حلِّ كلِّ هذا. (تفتح المفتشة الباب وتدعو ضابطي شرطة للانضمام إليهم) جُود كينيدي، أنا أعتقلك بتهمة التآمر على القتل. **يحقُّ لك التزام الصمت. ومع ذلك، إن كان لديك شيءٌ تعتمد عليه في أثناء محاكمتك لاحقًا ولم تذكره في أثناء استجوابك، فإن ذلك قد يضر دفاعك. تذكَّر أنَّ أي شيء تقوله قد يستخدم كدليلٍ ضدك**[1].

تقول كِلْيُو: «هل تعتقدين أنَّ أخي قتل مديرة دار الرعاية؟».

تجيب المفتشة تشابمان، بينما تضع زوجًا من الأصفاد حول معصمي جود: «لا. ولكن بفضل أمِّك، أعرف مَن فعل».

(1) حق الصمت طبقًا لتغييرات قانون العدالة الجنائية والنظام العام **في إنجلترا وويلز لعام** 1994. وهو حقٌّ يُمنَح للمشتبه به في أثناء استجوابه للحماية من العواقب السلبية المترتبة على التزام الصمت، وهو يشبه في بعض بنوده «تحذير ميراندا» الذي توجهه الشرطة في الولايات المتحدة الأمريكية على المشتبه فيهم جنائيًّا عند اعتقالهم. (المترجمة)

النهاية

عِيدُ الأُمِّ، قبل عشرين عامًا

تقول المفتشة مِاي تشابمان موجهةً حديثها إلى كِلْيُو: «نحن نعلم مدى صعوبة ذلك، لا أستطيع تصوُّر ما تشعرين به، ولكن أريد أن أطرح عليكِ بعض الأسئلة. ففي حالات الأطفال المفقودين تكون أول أربع وعشرين ساعة حاسمة حقًّا».

تجيب كِلْيُو: «إنها ليست مفقودة. لم أضيِّعها. لقد *اختُطفت* من سوبر ماركت».

منزلها الوردي مكتظ بالشرطة والأشخاص الذين يرتدون بدلات الطب الشرعي، ويبدو الأمر كله وكأنَّه حُلمٌ سيءٌ، وكأنَّها تعيش كابوسًا من أسوأ كوابيسها. يزحف الغرباء بهدوء في أرجاء المكان، يقتحمون كلَّ غرفةٍ، ويفتحون كلَّ خزانةٍ ودُرجٍ، ويلمسون أغراضها الثمينة. ينظرون إليها.

يحكمون عليها. جميعهم بلا شك يفكرون في الشيء نفسه: *أمٌّ مهملة*. إنهم ليسوا مخطئين. هذه هي الطريقة التي تفكِّر بها كِلْيُو في نفسها أيضًا.

لا تزال أمها المهملة هنا هي أيضًا. ربما يكون الإهمال صفة موروثة. ربما تكون الأمومة جينًا مفقودًا من حمضها النووي. على الرغم من أن كِلْيُو طلبت من إديث المغادرة، استمرت في إعداد الشاي والقهوة للجميع، كما لو أنَّ هؤلاء الأشخاص ضيوفٌ في منزل كِلْيُو. لكنهم ليسوا ضيوفًا وغير مُرَّحبٍ بهم ويجب أن يكونوا هناك، يبحثون عن طفلتها، وليس هنا يسألونها الأسئلة نفسها مرارًا وتكرارًا.

يجلس الأربعة في غرفة الجلوس الآن. كِلْيُو وإديث وضابط شرطة ومفتشة. مِاي تشابمان عجوز، ربما في أوائل الستينيات، شعرها الرمادي مقصوص قصة بوب رمادية ولديها عينان باللون نفسه. تبدو لطيفة لكن كِلْيُو لا تثق بها. كِلْيُو لا تثق بأيٍّ منهما.

تسأل المفتشة: «إذن كانت أمك تقيم معك لبضعة أيام لمساعدتك في رعاية الطفلة؟ هل هذا صحيح؟».

تقول إديث متحدثةً نيابةً عن ابنتها: «تعرفين تلك المعلومة بالفعل».

تلتفت المفتشة إليها: «هل يمكنك أن تُري الرقيب تاسك غرفة الطفلة مرة أخرى يا سيدة إليوت؟».

تغادر إديث الغرفة مع الرقيب ولا يسع كِلْيُو إلا أن تلاحظ أنَّ لقبه تاسك[1] وأنه يشبه حيوان الفظ البحري.

تقول كِلْيُو بعدما يغادران: «تخلَّصتِ منها بطريقةٍ أفضل مما حاولتُ».

- لستما على وفاقٍ؟

تجيب كِلْيُو: «مجرَّد أمور عادية بين الأم وابنتها».

- لكنها كانت هنا تساعد في رعاية الطفلة؟

---

(1) بالإنجليزية (Tusk) بمعنى ناب: سن طويلة مدببة، خاصة الذي يبرز من الفم المغلق، كما هو الحال في الفيل أو الفظ البحري أو الخنزير البري. (المترجمة)

- زوجي يعمل في الخارج وليس لدي أي شخص آخر. لم أكن أشعر أنني بحالة جيدة.

تنتظرها المفتشة لتقول المزيد وهذه خدعة مألوفة بالنسبة إلى كِلْيُو، فهي تستخدمها مع عملائها طوال الوقت. مدهشةٌ هي الكلمات التي تخرج من أفواه الناس في يأسٍ لملء أوقات الصمت المحرج. شيءٌ ما يخبر كِلْيُو ألَّا تذكر إصابتها باكتئاب ما بعد الولادة. لا يفهم الجميع ما يعنيه ذلك، في بعض الأحيان يسمعون عبارة *أم مهملة* لوصف الحالة أكثر من أيِّ شيءٍ آخر.

تسأل المفتشة: «لدينا تفريغ لكاميرا مراقبة لحظة اختطاف الطفلة. هل يمكنني أن أعرض عليكِ بعض الصور؟».

تومئ كِلْيُو، على الرغم من أن هذا شيء تعرف بالفعل أنها لا تريد رؤيته.

- هذه أمك وهي تدفع العربة داخل مدخل السوبر ماركت، وطفلتك، إليانور، تظهر بوضوح هنا. (تنظر كِلْيُو إلى الصورة وتشرع في البكاء) في الصورة التالية الممر الذي وقع فيه الاختطاف. (ترى كِلْيُو أمَّها بعد أن أدارت ظهرها تتحدث إلى امرأةٍ أخرى لا تظهر بوضوح. العربة في وجه الكاميرا وما زالت الطفلة تظهر بوضوح بملابسها الوردية) وهذه الصورة بعد دقيقة واحدة. (تُريها المفتشة صورةً أخرى نسخة من الصورة السابقة تقريبًا، ولكن هذه المرة العربة فارغة).

تسأل كِلْيُو: «ألا توجد صور لما حدث خلال تلك الدقيقة؟».

- بلى، لكنها لا تحدد هُويَّة من اختطفها. إنه شخص متوسط الطول يرتدي سترة وظهره للكاميرا. (تتردد) هل تستطيعين التفكير في أي شخص يمكن أن يكون لديه دافعٌ إلى إيذائك أو إيذاء الطفلة؟

- *لإيذائها*؟ مَن سيرغب في إيذاء طفلة؟

- هل هناك أي شخص ربما أزعجتِه؟ أو شخص يحمل لكِ أي ضغينة؟

تهز كِلْيُو رأسها: «لا. (ويبدو أنها واثقة جدًّا من نفسها في البداية) ليس هذا ما يمكنني التفكير فيه. (تجعلها نظرة المرأة تشعر بأنها مكشوفة، ويغمرها القلق من أن تتمكن المفتشة من رؤية ما بداخل رأسها) الشخص الوحيد الذي يبدو أنني أتجادل معه هو أمي».

تسأل المفتشة: «هل يمكنك التفكير في أي شخص ربما تكون هي مَن أزعَجَتْه؟».

- كم سيستغرق منًّا هذا؟ انظري، لا أريد أن أبدو وقحة، لكن ألا يجب أن تكوني بالخارج تبحثين عنها؟ تفعلين شيئًا؟

- وقلتِ أنَّ زوجك...

- في العمل. إنه بالخارج منذ أسبوعين.

- أين؟

- اسكتلندا. إدنبره، على ما أعتقد. لقد تنقَّل بين أماكنٍ كثيرة مؤخرًا. لا أستطيع تذكر اسم الفندق، لكن يمكنني أن أعطيك رقمه. ومن البديهي أنه في طريق عودته الآن.

تشخبط المفتشة شيئًا آخر في دفتر ملاحظاتها وتتخيل كِلْيُو أنها تكتب *زواجٌ على المِحَكّ*.

ترفع المفتشة ماي تشابمان بصرها. تحاول إبداء شيءٍ من اللطف على ملامحها، ثم تقول شيئًا ليس لطيفًا: «الحقيقة المحزنة هي أنه في غالبية حالات اختطاف الأطفال، وإساءة معاملتهم، وقتلهم، يكون الفاعل شخصًا يعرفه الطفل. أنا آسفة على السؤال التالي، ولكن أين كنتِ بين الساعة العاشرة والثانية عشرة هذا الصباح؟».

تحدق كِلْيُو إليها: «هل تعتقدين أنني اختطفتُ طفلتي؟».

- أنا فقط أطرح الأسئلة التي يجب طرحها.

فرانكي

لا يمكنك الوثوق بأحدٍ، فرانكي تعرف ذلك. سيخذلك الناس دائمًا في النهاية، علمتها الحياة هذا الدرس عندما كانت صغيرة. تنتظر في موقف سيارات المستشفى لأنها مرهقة وليس لديها مكان آخر تذهب إليه حتَّى تبدأ ورديَّتها خلال ساعاتٍ قليلة. يبدو أنَّ النعاس قد غلب فرانكي لفترة من الوقت لأنَّ الليل تحوَّل إلى نهار، وشروق شمسٍ جميلٌ يتمدد الآن فوق المدينة. إنَّها على وشك المغادرة لكنها ترى المفتشة شارلوت تشابمان تسير نحو المدخل الرئيسي. تتساءل عن سبب قدوم المفتشة إلى المستشفى، فهذا ليس له أي معنى، لذلك تتجه فرانكي نحو الداخل لتكتشف ما يجري.

تبدأ في عدِّ خطواتها ويجعلها ذلك تفكِّر في أمِّها. إنها السبب الذي يجعل فرانكي بحاجة إلى عدِّ الأشياء، تمامًا كما هي السبب الذي جعل فرانكي تتعلَّم عدم الثقة في *الناس*. كانت روزاموند فليتشر شخصيةً لا تقهر، واحدة من هؤلاء الذين يعرفون جيِّدا ما يؤمنون به وما يريدونه. لم يكن نظام الرعاية

حذرًا بشأن من يُعهد إليهم بتبني الأطفال في ذلك الوقت. المرأة التي أصبحت أمَّها كانت في بعض الأحيان وحشًا. لديها قلبٌ قاسٍ، رفض الحب زيارته على الرغم من أنَّه دُعي إليه مرات عديدة.

أحبَّت روزاموند فرانكي بطريقتها الخاصة الهادئة للغاية. نوع من الحب الذي لا يُفصَح عنه أو يُظهَر -في الأماكن العامة *أو* حتَّى الخاصة- ولكنه حبٌ يظهر من خلال الأشياء التي *لا يفعلها* الشخص. فعندما أحبَّت ابنتها لم تصرخ أو تزعق في وجهها. عندما أحبت ابنتها لم تعنفها. لم ترد أمُّها في بعض الأحيان سوى البقاء بمفردها. كلما كبرت فرانكي، فهمت أكثر. لم تكن أمُّها تتوق إلى العزلة فحسب، بل كانت في حاجةٍ إليها.

اركضي واختبئي، ثمَّ عدِّي إلى مئة، وسآتي وأجدك.

ذلك ما اعتادت أن تقوله أمُّها عندما كانت فرانكي صغيرة، لكن غالبًا ما كان يتضح أنَّه كذبة. في بعض الأحيان، كانت فرانكي تعد إلى مئتين قبل أن تدرك أنه لن يأتي أحد. ففي أكثر من مرَّةٍ لم تحاول أمُّها العثور عليها على الإطلاق.

أسوأ مرَّة، عندما كانت فرانكي في السابعة من عمرها، عرفت أنه ليس هناك شك في أنَّ أمَّها رأتها وهي تركض وتختبئ داخل الخزانة الصغيرة الموجودة أسفل سطح القارب. لأن فرانكي سمعتها تتسلل إليها وحبستها بداخلها. ولم تكن تخشى الظلام حتَّى ذلك اليوم. وتلك الليلة. واليوم التالي. كان مكان الاختباء رطبًا، وتنبعث منه رائحة عفنة لن تنساها فرانكي أبدًا، وكانت الخزانة ضيقة جدًّا لدرجة أنها بالكاد تستطيع الاستدارة بداخلها، على الرغم من أنها لا تزال صغيرة. ليومين تقريبًا، ظلَّت فرانكي حبيسةً في حفرة مظلمة صغيرة، دون أيِّ شيءٍ تأكله أو تشربه، ولا شيء سوى ثقب مفتاح فقط لإلقاء نظرة خارجه. كل ما استطاعت فعله كان العدُّ.

لم تفسر أمها ما فعلته قط، ولم تعتذر أيضًا قط عن حبسها في ذلك المكان. لم تخبرها قط أين ذهبت أو لماذا استغرقت وقتًا طويلًا للعودة. كان عدُّ أصابع يديها وقدميها مع مرور الدقائق والساعات، بعينين مغمضتين بشدَّة في الظلام، هو الشيء الوحيد الذي جعل فرانكي تشعر بالأمان. وعندما سمحت لها روزاموند بالخروج أخيرًا، ورأت الهالات السوداء تحت عيني أمِّها،

والكدمات على رقبتها، وذراعيها، وساقيها. عرفت فرانكي أنَّه من الأفضل ألَّا تسأل أين كانت.

في بعض الأحيان كانت أمُّها تستقبل زوَّارًا في القارب في وقتٍ متأخرٍ من الليل. غالبًا ما كانت الزيارات في أيامٍ الثلاجة فيها فارغة أو عندما ينفد الغاز. كانت غرفة نوم روزاموند في الطرف الآخر من القارب، لكن فرانكي مع ذلك بقيت قادرة على سماع الزوَّار والضوضاء التي يصدرونها، فتغطي أذنيها وتعدُّ حتى ينصرفوا. دائمًا ما تمرُّ العواصف إن انتظرت وقتًا كافيًا، وكذلك يفعل الناس. يساعد العدُّ فرانكي على فهم عالمٍ لم يكن له أي معنى على الإطلاق.

عندما ماتت روزاموند، جاء الخبر كصدمةٍ. لم يمض وقت طويل واكتشفت فرانكي أنها متبناة -وهي الحقيقة التي أدَّت إلى توتر علاقتهما المتوترة بالفعل. ورثت فرانكي القارب بالإضافة إلى رغبة أمِّها الدائمة في العزلة. لم تكن متأكدة مما إن كان أيٌّ منهما مناسبًا لها أم لا، لكن *ذا بلاك شيب* كان المكان الوحيد الذي يصلح لتعيش فيه على الإطلاق. عندما جاءت ابنتها في وقتٍ لاحق، شعرت وكأنها فرصة لجعله قاربًا سعيدًا. لقد افتقدت حرية العيش على الأنهار التي عرفتها جيدًا، بعد أن كبرت وهي تبحر فيها. لم يقدم لها القارب مكانًا للعيش فحسب، بل قدم لها أيضًا مكانًا للاختباء.

ترى فرانكي مقهًى صغيرًا داخل المستشفى مباشرةً وتقرر شراء كوبٍ من القهوة. تجلس لبعض الوقت -تراقب الآخرين وهم يروحون ويجيئون، وتستمع إلى محادثاتهم- وعندما تنتهي من تناول كوبها الأوَّل، تشتري كوبًا آخر مع قطعة من كعك القرفة. قررت التسكع في المقهى لأن ضابطي شرطة دخلا المستشفى قبل لحظاتٍ، وهي لا تريد أن تفوت أي شيء سيحدث بعد ذلك. بعد عشر دقائق، كُوفِئ فضولها وصبرها عندما ترى جُود كينيدي مُقادًا من المبنى مكبَّل اليدين. الآن يجب على فراتكي أن تعرف ما يحدث. إنها تفكر في شيءٍ حزينٍ يجعلها تبكي -وهي خدعة علَّمتها إياها أمُّها، والتي أصبحت مفيدة كثيرًا على مر السنين- ثم تتجه نحو مكتب الاستقبال.

تسأل المرأة الجالسة خلفه: «أيمكنني مساعدتك؟».

- أبحث عن إديث إليوت. أُحضِرَت إلى هنا في سيارة إسعاف...

ترى المرأة دموعها، وتفحص الشاشة، ثم تخبر فرانكي بالغرفة التي نُقِلَت إديث إليها. تتجه فرانكي بحذرٍ شديدٍ نحوها. آخر شيء تحتاجه هو أن تمسك بها المفتشة هنا كما حدث في دار الرعاية. كانت هناك أشياء أرادت فرانكي أن تقولها لإديث في ذلك اليوم، لكن مديرة دار الرعاية المقتولة اضطرتها إلى المغادرة قبل أن تتاح لها الفرصة. ربما يمكنها أن تقول كل الأشياء التي تريد أن تقولها الآن. تتبع اللافتات في أحد الممرات وعلى طول ممرٍ آخر، ثم تصعد الدرج نحو الجناح الذي تبحث عنه. بعد بضعة ممرات أخرى -وبعد تسع وتسعين خطوة- تصل تقريبًا ويصدر هاتفها ضوضاء غير مألوفة. صوت مكالمة لم يرد عليها.

تعتقد فرانكي أنها ابنتها -مَن غيرها يمكن أن يكون- وترتجف يداها عندما تنتقل إلى بريدها الصوتي. لكنها ليست فتاتها الصغيرة.

- آنسة فليتشر، أنا ليبرتي. أعلم أنه لا ينبغي لي أن أتصل بك حقًّا، لكنني أعتقد أنه من الأفضل أن أخبرك في أقرب وقت ممكن. أعرف أين ابنتك.

كِلْيُو

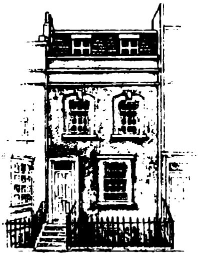

تقول كِلْيُو بينما يقتاد ضابطان شقيقها إلى خارج غرفة أمِّها في المستشفى: «أنا لا أفهم، متهمٌ بالتآمر على قتل مَن؟».

تجيب المفتشة: «أمك».

- حاول جُود قتل أمي؟

- لم يضع يده في شيءٍ. عرضت جوي بونيتا فعل بذلك، مقابل الحصول على جزءٍ من ميراثه بمجرد أن تنجز المهمة، ووافق جُود. لقد تبادلا سلسلة من الرسائل النصيَّة شديدة التجريم وليست مشفرَّة أو غامضة. لكن بونيتا لم تنجز المهمة -فهي شخصية مخادعة وغدَّارة وغير جديرة بالثقة بكل المقاييس- *وقتلها* شخصٌ ما بدلًا من أمِّك. ستسعدك معرفة أنَّكِ لم يعد مشتبهًا بك. أخبرتنا أمُّكِ بما حدث.

تقول كِلْيُو: «أفعلت؟».

- نعم. حذاء رائع بالمناسبة. (تنظر كِلْيُو إلى حذائها الرياضي الأحمر. إنها المرة الثانية التي تتلقَّى فيها مجاملةً غير مستساغةٍ بسبب حذائها اليوم) وهناك الدب (ترفع المفتشة دمية الدب ذي اللونين الأسود والأبيض الذي كانت تحمله) أعتقد أنه كان هديةً أرسلتِها إلى أمِّك؟ (لم تستطع كِلْيُو العثور على الكلمات الصحيحة، لذلك تومئ) هل يمكنك أن تخبريني ما الذي دفعك إلى شراء كاميرا تجسس باهظة الثمن متنكرة في شكل دمية دبٍّ لامرأة تبلغ من العمر ثمانين عامًا؟

تنظر كِلْيُو إلى إديث، ترقد مستكينة وضعيفة في سرير المستشفى.

- كنتُ قلقةً عليها. لم تعد تسمح لي بزيارتها ولم أحب حقًّا دار ونزر لرعاية المسنين قط. تنامى في قلبي شعور سيئ تجاه المكان منذ البداية. اختارها أخي، لا يعني هذا أنه كان لدينا الكثير من الخيارات، بل كان من المستحيل تقريبًا العثور على دار رعاية سكنية لأمي في وقت حاجتنا إليها حقًّا. كلما أتيت للزيارة، بدا الموظفون غير منظمين، وغير مكترثين، وغير أكفاء. لم يبدُ أحدٌ ممن التقيتهم في دار الرعاية يهتم حقًّا، والكثير من المقيمين يموتون. أعلم أنه مكان يذهب إليه الناس ليموتوا، لكن يبدو أن معدل الوفيات لديهم أكبر بكثير من المعدل الوطني لمنزلٍ بهذا الحجم. أردت أن أراقب أمي دون أن يعلم أحد. لأتأكد من سلامتها.

- إن كنتِ قلقة جدًّا عليها، وإن كانت حالتك الماديَّة سيئة، هل يمكنني أن أسأل لماذا لم تعش معك؟

تهز كِلْيُو كتفيها: «هل كنتِ سترغبين في العيش مع شخصٍ دمَّر حياتك؟».

تحدق المفتشة تشابمان إلى الحذاء الرياضي الأحمر ثم ترفع بصرها عائدةً إلى كِلْيُو: «بعد أن جاءت أمك إلى مركز الشرطة الليلة الماضية، أجرينا تفتيشًا آخر لغرف النوم في دار الرعاية، وخصوصًا غرفتها. وذلك عندما عثرنا على هذا الدب واكتشفنا لقطات مصوَّرة بالكاميرا في الداخل. أنا الوحيدة التي رأيتها. تؤكد اللقطات الكثير من قصة إديث. يُظهر الفيلم جوي بونيتا

وهي تتسلل إلى غرفة أمِّك ثم تضع وسادةً على وجهها، تمامًا كما فعلت مع العمَّة مِاي قبل بضعة أشهر. ولسوء الحظ، يبدو أن الكاميرا صُدمَت بكلبٍ وسقطت أرضًا، ومن الصعب تفسير بقية اللقطات. (لا تقول كِلْيُو أي شيء) في كلتا الحالتين، ما يظهر أو ما لا يظهر بعد ذلك أصبح أقل أهمية الآن».

- لماذا؟

- لأنَّ أمك اعترفت بقتل جوي.

بيشنس

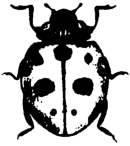

أُخبِر ليبرتي للمرة العاشرة: «لم أفعل ذلك».

تقول ليبرتي: «لا يهمُّ بالنسبة لي ما فعلتِه أو ما لم تفعليه. لا أستطيع مساعدتك في الوصول إلى مكتبة السجن -هذا المكان لديه قواعد *خاصَّة* جدًّا- كل ما يمكنني فعله هو تمرير رسالة إلى الآنسة فليتشر. إن كانت أمك حقًّا، فيمكنها أن تقرر ما يجب فعله».

- ماذا لو ذهبتُ مكانك وتظاهرتُ بأنني أنتِ؟

- لدى ضُبَّاط السجن قوائم بأسماء الأشخاص الذين حصلوا على موافقاتٍ بالذهاب إلى أين ومتى. انظري، بيشنس، سيتعين عليك البدء في التحلِّي بمعنى اسمك هذا، وتصبرين، لأن هذه لعبة طويلة. قد تبقين هنا لأكثر من دقيقة، لذا عليك أن تتعلمي التفكير بسرعة واللعب بذكاء. هل تفهمين ما أقوله؟

ليس حقًّا.

أُومِئ.

تقول ليبرتي: «أنا لا أومن بالكثير من الأشياء، ولكنني أومن بأنَّ ما هو مُقدَّرٌ له أن يكون، سيكون. إن كانت الآنسة فليتشر هي أمك حقًّا، فأنا متأكدة من أنَّها ستضع خطةً لمساعدتك. هذا ما تفعله الأمهات، أليس كذلك؟ إنهن يحببننا ويحميننا، وأفضلهن سيفعلن أي شيءٍ من أجل أطفالهن. (تقطِّب ليبرتي جبينها) هل ترغبين في مشاركة أيِّ أفكارٍ داخل رأسك تجعل وجهك يبدو حزينًا ونكدًا لهذه الدرجة؟».

أقول بهدوء: «في الحقيقة أنا لستُ طفلتها».

- أظنُّكِ قلتِ إنَّ الآنسة فليتشر هي أمك؟

- أعتقد أنَّها تبنتني.

تحدِّق ليبرتي إليَّ: «هل أحبَّتك؟».

- نعم.

- هل وفَّرت لكِ الحماية؟

- نعم.

- هل تعتقدين أنها ستفعل أي شيء من أجلك؟ (أومِئ) يبدو أنَّ لديك أمًا رائعة من وجهة نظري. ليس عليكِ أن تلدي طفلًا لتكوني أمُّه. أعرف الكثير من الأشخاص الذين يعرفون *بالفعل* أمهاتهم الحقيقيات ويتمنون لو لم يعرفوهن. ربما ينبغي لكِ التفكير في ذلك. ليس الجميع محظوظين بما يكفي ليكونوا محبوبين، فالأمر مثل الفوز في اليانصيب. إن حصلت على أرقام الحظ السعيد في الحياة، فلا يهمُّ من أين اشتريتِ التذكرة.

كِلْيُو

تقول المفتشة تشابمان، وهي تناول كِلْيُو الدُّب المدسوس بداخله كاميرا للتجسس: «يمكنك الاحتفاظ بهذا، فنحن لم نعد بحاجة إليه».

تغادر غرفة المستشفى وتغلق الباب خلفها لتعود كِلْيُو بمفردها مع أمِّها مرة أخرى. تعود إلى سرير إديث، وتشعر أنها بحاجة إلى الجلوس. وحالما تجلس، تنفتح عينا إديث وتقفز كِلْيُو من الكرسي.

- باسم الرب!

تقول إديث بصوتٍ هادئٍ وأجش: «ظننتُكِ لا تؤمنين به. هل غادرت المفتشة؟».

تُهرول كِلْيُو نحو الباب: «سأستدعي الطبيب».

- لا، لا مزيد من الأطبَّاء. فقط اجلسي معي لبعض الوقت.

تتردد كِلْيُو: «أعتقد حقًّا أنني يجب...».

- من فضلك. أريد أن نتحدث. قبل فوات الأوان.

لقد فات الأوان بالفعل، تفكر كِلْيُو، لكنها تعود للجلوس على الكرسي المجاور لسرير أمِّها. إن كانتا ستتحدثان، فهناك أشياء تريد كِلْيُو معرفتها.

تسأل: «لماذا أخبرتِ الشرطة أنَّكِ قتلتِ مديرة دار الرعاية؟».

- أنا أحتضر يا كِلْيُو، لا أريد إضاعة ما تبقَّى لي من الوقت في التحدُّث عنها.

- أنا آسفة.

- لأنني أحتضر، أم آسفة على سؤالك؟ الموت أُحجِيَّةٌ، أليس كذلك؟ جمعينا نحتضر منذ لحظة ولادتنا، وهي مجرد مسألة وقت. هل تعلمين أن كلَّ ثانيةٍ يموت شخصان في العالم؟ ويموت أكثر من مئة شخصٍ كل دقيقة، وأكثر من ستة آلاف كل ساعة، ومئة وخمسون ألفًا كل يوم، وخمسة ملايين كل شهر، وستون مليون حالة وفاة كل عام. وهذا بالنسبة إلى البشر فقط. هناك الكثير من المخلوقات التي تحتضر وتموت.

- أنتِ لا تحتضرين.

تقول إديث: «أعتقد أنَّ كلتينا تعلم أنني أحتضر. أنا آسفة لأنَّكِ ستمرين بهذا بمفردك -مثل أشياء أخرى كثيرة- ولكنك قويَّة. أنتِ أقوى وأشجع شخص عرفته على الإطلاق يا كِلْيُو. وأنا فخورة بك بسبب ذلك وبسبب أشياء أخرى كثيرة. أعلم أنني لم أقل ذلك كثيرًا، حتى عندما كان يجب أن أقول، لكنني أحبك. وآمل أن تعرفي ذلك».

تتساءل كِلْيُو عن الأدوية المعلَّقة في محاليل أمِّها لأنها لا تبدو في حالتها الطبيعية على الإطلاق.

تسأل كِلْيُو: «إن كنتِ تحبينني، فلماذا غيَّرتِ وصيتك؟».

- وجدتِها إذن؟

- مَن؟

- الدعسوقة، ابنتك.

- كنت أعرفها. إنها ليست ابنتي، إنها مجرد فنانة محتالة. كلاهما كذلك.

- ماذا تعنين ب*كليهما*؟

يبدأ الجهاز الموصَّلة أسلاكه بإديث في إصدار صوت تنبيه بمعدلٍ أسرع قليلًا، فتقول كِلْيُو: «لا يهم. خذي الأمر ببساطة يا أمي. فقط استرخي و...».

- إنَّها *ابنتك*.

إن كانت أمها ستصر على الحديث عن هذا الأمر مرة أخرى، فهناك شيء تود كِلْيُو معرفته.

فتسألها: «هل تتذكرين هذا؟».

وتُظهر لإديث خاتم الدعسوقة الفضي الذي تركته لها فرانكي.

- بالطبع. طلبتُ من الصائغ تشكيل ثلاثة منه عندما وُلِدَت ابنتك. واحدٌ لكِ، وواحدٌ لي، وواحدٌ لها، والذي وضعته في سلسلة صغيرة حتَّى تكبر بما يكفي لارتدائه. لم أكن أعلم أنك احتفظت بخاتمك.

- لم أفعل. لكنني رأيتُ اثنين منه اليوم.

- اثنان؟ أين؟

- أعطتني امرأة هذا الذي بيدي الآن في وقت سابقٍ اليوم. يبدو نسخة متطابقة تمامًا من الأصلي.

- أعتقد أنه الأصلي. لقد صُنع خصيصًا، ولم يكن هناك منه سوى ثلاثة فقط. أنا آسفة جدًّا يا كِلْيُو. لدي الكثير من الأشياء التي أندم عليها...

- وأنا على رأس القائمة. أعرف أنَّكِ كتبت هذا في دفتر ملاحظاتك وعثرتُ عليه، أتذكرين؟

تهز إديث رأسها: «ندمي الأكبر ليس *أنتِ*، بل عنكِ. هذا ما يعنيه ذلك السطر في دفتر ملاحظاتي. ندمي الأكبر في حياتي هو أنني لم أكن أمًا أفضل لك. ليتني عرفتِ كيف أحبك بالطريقة التي كنتِ تستحقين أن تُحَبي بها، وكيف أصلح ما انكسر بسببي. ندمي الأكبر هو تخييب *آمالك*. (لا تعرف كِلْيُو ماذا تقول، ولكن عندما تمد إديث يدها، تمسك بها) لا ترتكبي الأخطاء نفسها

التي ارتكبتها ولا تدعي الأوان يفوت قبل أن تتعلمي كيف تصبحين سعيدة. ليست مسألة مَن نحن، ما تعوقنا في الحياة وتعرقلنا عمَّن نريد أن نصبح، بل مَن نعتقد أننا هم.

يُصدر الجهاز صوتًا مرة أخرى. تحدق كِلْيُو إليه، لكن إديث لا تحرك ساكنًا وتستمر فقط في النظر إليها.

تنهض كِلْيُو: «أعتقد حقًّا أنني يجب أن أستدعي طبيبًا...».

- أنا أحتضر يا كِلْيُو. لا يوجد أي شيء يمكن لأي طبيب أن يفعله لي الآن، ولا أريد أن أقضي لحظاتي الأخيرة مع شخص غريب. لقد أخطأت في كل شيء تقريبًا معك، على الأقل دعيني أفعل خيرًا بتوديعك.

تشرع كِلْيُو في البكاء، وتشعر وكأنها فتاة صغيرة مرة أخرى: «أمي، لا أعرف ماذا أفعل».

تضع إديث يدها على قلبها: «بلى تعرفين. هنا».

وتمسح دموع كِلْيُو، تمامًا كما كانت تفعل معها وهي صغيرة، ثم تمسك بيد ابنتها مرة أخرى.

تقول إديث: «نحن مخلوقون من النجوم[1]، نتيجة للانفجارات منذ ملايين السنين. أنتِ وأنا وكل مَن نلتقيهم، جميعنا مزيجٌ من غبار النجوم والقصص. حاولي أن تتذكري ذلك».

تغلق عينيها وتسكن تمامًا. تتراخى قبضتها على يد كِلْيُو. يصدر الجهاز ضجيجًا مختلفًا ويأتي الطبيب مسرعًا إلى الغرفة.

وعندما ينتهي كلُّ شيءٍ، ويؤكد الطبيبُ وفاة أمِّها، تشعر كِلْيُو بموجةٍ من العواطف لم تكن تتوقعها. تغسلها وتسحبها تحتها حتَّى تشعر وكأنها لا تستطيع التنفس. تبدأ كِلْيُو في الابتعاد، ثم تركض.

---

(1) إشارة إلى نظرية العالم الأميركي كارل ساجان: «الكون بداخلنا! نحن مخلوقون من غبار النجوم.. نحن وسيلة للكون لأن يعرف نفسه». (المترجمة)

فرانكي

تستمع فرانكي إلى البريد الصوتي مرتين. عندما تتأكد من أنها فهمت بشكل صحيح -أنَّ ليبرتي تعرف مكان ابنتها- تهرع لتغادر المستشفى إلى سيارتها. تستغرق الرحلة من غرب لندن إلى السجن وقتًا أطول من المعتاد في ازدحام المرور الصباحي؛ هناك عدد كبير جدًّا من السيارات يقودها عدد كبير جدًّا من *الأشخاص*. تعدُّ فرانكي الثواني التي يستغرقها تحوُّل الضوء الأحمر إلى الأخضر. وعندما لا يتحوَّل بالسرعة الكافية، تنطلق بسيارتها على أي حال، متجاهلة ضوضاء الأبواق المثيرة للإزعاج.

تصل أخيرًا إلى موقف سيارات السجن وترى مكانها المفضل متاحًا. هذه إشارة جيدة. ما زال الوقت مبكرًا، وموقف السيارات فارغ، لذلك ترتدي زي السجن في المقعد الأمامي. عاشت فرانكي في سيارة التخييم هذه ذات يوم، قبل أن ترث قارب أمها. كانت هذه السيارة منزلها عندما كانت بائعة كتب في سانت آيفز. ليس هناك الكثير مما لم تفعله بداخلها: السفر، والأكل، والشرب،

والنوم، والاعتناء بطفلة سرقتها من سوبر ماركت. يمكنك فعل أي شيء تقريبًا في سيارةٍ كهذه.

تلاحظ فرانكي أنَّ حزام زيها الرسمي بحاجة الآن إلى ربطه بدرجة أكثر إحكامًا، لقد فقدت وزنها. تنظر إلى المرآة وترى الهالات السوداء تحت عينيها وقد أصبحت أغمق مما كانت عليه من قبل أيضًا. فرانكي لا تضع المكياج. لكنها لا تبدو في حالتها الطبيعية اليوم.

تخرج من السيارة تحت أشعة الشمس الباردة في الصباح وبينما توشك على قفل السيارة، ينفتح الباب الجانبي فجأة، ويكشف عن شخصٍ جاثمٍ خلفه. شخص لا بد أنه كان مختبئًا هناك لأكثر من ساعة بينما كانت فرانكي تقود السيارة، وتبدل ملابسها، وتحصي الثواني التي يستغرقها تحول الضوء الأحمر إلى اللون الأخضر في الإشارة.

تقول كِلْيُو: «مرحبًا».

كِلْيُو

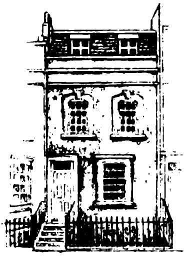

تسأل كِلْيُو بالنظر إلى زي فرانكي، قبل أن تحدِّق إلى جدران السجن المهيبة خلفها: «إذن هذا هو المكان الذي تعملين فيه، أليس كذلك؟ (لا تتحدث فرانكي، ويبدو أنها في حالة صدمة، لذا تستمر كِلْيُو في الحديث) رأيتُ سيارتك عندما خرجت من المستشفى. من الصعب أن يخطئها أحد. لم أكن أتوقع أن تكون الأبواب مفتوحة، ولكن عندما وجدتها كذلك قررت أن ألقي نظرة على الداخل. ربما يكون هذا هو الشيء الأكثر عفوية الذي فعلته على الإطلاق، لكنني لا أشعر بأنني طبيعيَّة تمامًا. شاهدت للتو أمي تموت».

- إديث ماتت؟

- كيف تعرفين أمي؟ (فرانكي لا تجيب) لا تهتمي. سمعتكُ عائدة إلى السيارة وأصبت بالذعر. ثم اختبأت وها نحن الآن أمام السجن. وهذا يبدو مناسبًا لأنني بدأت أصدق أنك سرقت طفلتي.

- من فضلك لا تستدعي الشرطة.

- هل الفتاة التي أريتني إياها في الصورة ابنتي حقًّا؟

تهمس فرانكي: «نعم».

تحدق إليها كِلْيُو وكأنها تبحث عن أدلة على وجهها: «إن كان *هذا* صحيحًا...».

- إنه كذلك.

- إذن *لماذا*؟ لماذا أخذتِها؟ لأن هذا هو السؤال الذي طرحته على نفسي مرارًا وتكرارًا منذ يوم وقوع الحادث.

تفكر فرانكي بعناية شديدة قبل أن تجيب: «لأنَّ جميع الأطفال يستحقون أن يحظوا بالحب».

- هل تعتقدين أنني لم أحب ابنتي؟

تحدِّق فرانكي إلى الأرض: «أعلم أنَّكِ لم تحبها».

تنتظرها كِلْيُو أن ترفع بصرها إليها مرة أخرى لكنها لا تفعل، فتسألها وهي تمسك بخاتم الدعسوقة الفضي: «لماذا أعطيتني هذا؟».

تقول فرانكي: «أخبرتك. دليل. كان مربوطًا بسلسلة صغيرة في عربة الطفلة في اليوم الذي أخذتها فيه. اعتقدت أنك إن رأيته ستعرفين أنني أخبرك بالحقيقة. أنا متأكدة تمامًا من عدم ذكر الخاتم في الصحف مطلقًا. أنا آسفة، ولكن يجب أن أذهب. إنها كل ما أهتم به، وهناك من يعرف مكانها».

تقول كِلْيُو بينما تستدير فرانكي للمغادرة: «انتظري. لقد سرقتِ القصاصة الفنيَّة من منزلي لأنك اعتقدتِ أن ابنتك صنعتها؟ (تومئ فرانكي) ولكن لماذا تركت في مكانها ورقة نقدية قديمة من فئة العشرة جنيهات، ورقة لم تعد متداولة حتَّى الآن؟».

- لأن هذا هو المبلغ الذي دفعته لي أمك.

- ماذا؟

تتحقق فرانكي من الوقت: «يجب أن أذهب حقًّا».

تحدق كِلْيُو إلى ساعة ميكي ماوس حول معصم فرانكي: «من أين حصلتِ على هذه؟».

تسحب فرانكي كمها، وتخفي الساعة ووشم *Shh*، وتبدأ في الابتعاد وتقول: «ابقي، غادري، اتصلي بالشرطة إن كنتِ تريدين. لم أعد أهتم بك بعد الآن».

- من فضلك انتظري.

- لا أستطيع

تقول كِلْيُو: «إذن سأنتظر أنا، سأنتظرك هنا حتَّى تعودي».

تهز فرانكي كتفيها: «افعلي ما تشائين».

فرانكي

تمشي فرانكي بسرعة، فهي بحاجة إلى التحدث إلى ليبرتي في أسرع وقتٍ ممكنٍ لتفهم منها ما تعرفه وما لا تعرفه عن ابنتها. مرةً أخرى، لم تسر المحادثة مع المرأة التي تعيش في المنزل الوردي حسب الخطة. تدرك أنها تركت المفاتيح في السيارة لكنها تشك في أنها بحاجة إلى القلق. لا تعتقد فرانكي أن كِلْيُو ستسرق سيارة تخييم؛ فالمرأة تستعين دائمًا بسيارات الأجرة، وربما لا تستطيع حتَّى القيادة. تهمس بعدد الخطوات المتبقية قبل أن تصل إلى مدخل السجن الرئيسي.

عشرون. تسع عشرة. ثماني عشرة. سبع عشرة.

بمجرد دخول فرانكي الباب الرئيسي، يضربها الهواء الساخن. تومئ برأسها تحيةً صامتةً للحارس الواقف خلف المكتب وتحاول أن تبتسم وتتصرف *بشكل طبيعي*، لكن الأمر ليس سهلًا. هناك اثنتي عشرة خطوة قصيرة إلى خزانتها، حيث تترك حقيبتها وهاتفها، حيث لا يمكن للحظ أن

يحالفها في المرور بسلامٍ عبر الماسح الضوئي ليومين متتاليين. تتجه فرانكي إلى مكتب الاستقبال وتسجِّل دخولها، ثم تدخل عبر الأبواب المزدوجة إلى غرفة الفحص والتفتيش. لا أحد يوقفها اليوم. عندما تصل إلى الباب المؤدي إلى الفناء، تسحب فرانكي أكبر مفتاح في المجموعة المعلَّقة بحزام زيها الرسمي. تفتح الباب وتتنفس بعمق، مبتلعةً الهواء البارد وهي تخطو إلى الخارج.

تقطع ثمانٍ وخمسون خطوة عبر الفناء، ثم تستخدم المفتاح الكبير مرة أخرى للدخول إلى مبنى (B). وتشعر بنفسها تسترخي قليلًا عندما تغلق الباب خلفها. هناك خمس درجات إلى أسفل السلم الحجري، ثم أربعون درجة إلى أعلى. تكاد أنفاسها تنقطع حالما تصل إلى قمته.

عشرة. تسعة. ثمانية. سبعة.

تعدُّ الخطوات الأخيرة للوصول إلى باب المكتبة، وتسحب أصغر مفتاح في حزامها استعدادًا. ثم تسمح لنفسها بالدخول، وأصابعها المرتعشة تجعل من الصعب إدخال المفتاح في القفل. وبمجرد دخولها تغلق الباب خلفها بقوة. إن منظر ورائحة جميع الكتب الموجودة على الرفوف يجعلها تشعر بالهدوء على الفور.

يرن جرسٌ من بعيد، تمامًا مثل الأجراس التي كانت تدق عندما كانت فرانكي في المدرسة. تتفحص ساعتها الميكي ماوس وترى أنها وصلت في الوقت المناسب. هناك طرق على باب المكتبة قبل أن تصل إلى مكتبها. تعود فرانكي من حيث أتت، وتفتح الباب، ويقابلها أحد الحراس المناوبين اليوم. تبدو المرأة القصيرة والممتلئة غير مألوفة، مما يعني أنها جديدة بالتأكيد.

تقول بفظاظة وهي تناول فرانكي قائمة: «أسماء المتطوعات في مكتبتك».

تشكرها فرانكي وتتسلمها، وتحدق إلى الأسماء المطبوعة على الورقة. تراجع الأسماء واحدًا تلو الآخر، وتشعر بالارتياح عندما ترى اسم ليبرتي. تحتاج فرانكي إلى التحدث معها على انفراد.

تقول لبقية النزيلات: «تعرفن جميعًا ماذا ستفعلن. نظمن الرفوف، وعلِّقن الملصقات، ورتبن الكراسي حتَّى نصبح مستعداتٍ لزيارة المؤلفة اليوم. ليبرتي، دقيقة من فضلك؟».

تتبعها ليبرتي إلى المكتب دون أن تنطق إحداهما بكلمة حتَّى أُغلِقَ الباب خلفهما بإحكام.

تقول فرانكي: «تلقيتُ رسالتك».

- آسفة لذلك يا سيدة فليتشر. لم أكن أعرف ماذا أفعل.

- قلتِ إنك تعرفين أين ابنتي.

تومئ ليبرتي: «نعم. إنها هنا».

تحدِّق فرانكي إلى الفتاة وتتساءل ما إن كانت قد أخطأت الفهم: «هل تتبعتِ هاتف ابنتي إلى السجن؟».

تهز ليبرتي رأسها وتهتز خصلات شعرها الأشقر المجعدة معه: «لم تكن هناك حاجة إلى تتبع الرقم في النهاية. شاركتني ابنتك زنزانتي الليلة الماضية».

تستغرق فرانكي ثانية لتستوعب المعلومة ثم تتجه مباشرة نحو الباب: «يجب أن أذهب إليها...».

- لا يا آنسة. هذا ما أريد إخبارك به. كانت هنا، لكنها الآن ليست كذلك.

- ماذا تقصدين؟

- أطلقوا سراحها.

- ماذا؟ متى؟

- للتو.

بيشنس

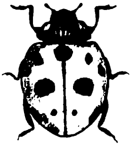

لم أصدقهم في البداية عندما قالوا إنهم سيطلقون سراحي. اتضَّح أن مغادرة السجن لا تقل تعقيدًا عن الوصول إليه. كان هناك الكثير من النماذج -لم أفهم معظمها، ولكنني وقعت عليها على أي حال لأن الحارس قال إن عليَّ فعل ذلك- والكثير من «الفحوصات الأمنية» ولكني في النهاية نُقِلت من مبنى السجن إلى المبنى الرئيسي. أُعيدت إليَّ ملابسي ومتعلقاتي الشخصيَّة، بما في ذلك خاتم الدعسوقة الفضي الذي أهدتني إياه إديث، والذي وضعته في إصبعي على الفور.

كان الخروج من السجن هو أغرب جزء من كلٍّ ما حدث. لست متأكدة من أنني سأتجاوز فكرة حريتي التي سلبت مني يومًا، أو سأعتبر الحرية أمرًا مفروغًا منه مرة أخرى. كل شيء يبدو أكثر استثنائية من ذي قبل؛ حتىَّ النظر إلى السماء وسماع أصوات الطيور. كل الأشياء التي يستمتع بها معظم الناس كل يوم دون أن يدركوا مدى حظهم. آمل أن ينتهي هذا الكابوس أخيرًا.

يتحوَّل تفاؤلي إلى خوفٍ عندما نصل إلى البوابة الخارجية. ماذا لو كانت هذه غلطة ولن يطلقوا سراحي حقًّا؟ وحتَّى لو فعلوا، فليس لدي مكان أعيش فيه الآن وليس لدي وظيفة. لقد فقدتُ كلَّ ما عملتُ بجدٍّ من أجله، كل شيء وكل شخص كان مهمًّا. ولكن بعد ذلك يفتح الحارس البوابة وأرى سيارة تخييم أمي بلونيها الأزرق والأبيض في موقف سيارات السجن.

إنها هنا.

يتحوَّل خوفي إلى فرحٍ ويتغيَّر كلُّ شيءٍ في نبضة قلب. سأكون بخير. ستأخذني أمي إلى المنزل وسأكون في مأمن وسينتهي كل هذا. أمشي، ثم أركض نحو السيارة. أريد فقط -أكثر من أي شيء آخر- أن أرى وجهها مرة أخرى. لم نتحدث منذ عام تقريبًا، ليس منذ أن اعترفت بأنها ليست أمي الحقيقية. لكن لا شيء من ذلك يهم الآن. إنها الشخص الوحيد في العالم الذي أثق به. *وأمي* هو الاسم الوحيد الذي سأناديها به، لأن هذا ما تستحقه، بغض النظر ما إن كانت قد أنجبتني أم لا.

أرى صورتها الظلية في مقعد السائق وأغمَر بالحب والسعادة.

أطرق النافذة، ويملؤني الارتباك.

لأنها ليست أمي، إنها ابنة إديث. المرأة التي توسلت إليَّ أن أثق بها ثمَّ تركت الشرطة تعتقلني. أرجع خطوتين إلى الوراء، وأكاد أتعثر وأسقط.

تقول وهي تفتح باب الشاحنة وتسرع نحوي: «انتظري. يجب أن نتحدث».

- ليس لدي *أي شيء* أقوله لكِ.

- لدي كل شيء أقوله لك. لكن أولًا، أريد فقط أن أقول إنني آسفة.

- آسفة على ماذا؟

- على كل شيء.

فرانكي

تخرج فرانكي من المكتبة، وتنزل الدرج، وتعبر الفناء في أقل من دقيقة. بمجرد ولوجها المبنى الرئيسي، تتوجه مباشرة إلى مكتب الأمن.

تسأل لاهثة: «هل غادرت نزيلةٌ للتو؟».

يجيب ضابط كبير في السن يُدعى روبچانت لديه شعر أبيض طويل، ويرتدي نظارات هاري بوتر، ويتمتع بعادة المبالغة في شرح الأشياء: «نعم بالفعل. سجَّلت دخولها بالأمس، وسُجِّل خروجها اليوم».

ويضيف الرجل العجوز: «أسقطت الشرطة التهم عنها».

تقول فرانكي: «*اللعنة!*».

- هل كل شيء على ما يرام؟ ربما لم يمروا عبر البوابة الرئيسية بعد؟ (يمد يده إلى الهاتف الموجود على مكتبه) يمكنني الاتصال بالكُشك، وأطلب منهم احتجازها...

تجيب فرانكي، قاصدةً بالفعل هذا الاتجاه: «لا، لا بأس. سأحاول اللحاق بهم».

يصيح روبچانت: «هل نسي شخص ما إعادة كتاب إلى المكتبة؟».

تستدير نحوه، وتجبر وجهها على الابتسام: «نعم هذا صحيح. كلهم لصوص هنا، حتى هواة الكتب».

يبدو أن الخطوات الاثنتين والثلاثين إلى البوابة الخارجية تستغرق وقتًا أطول من أي وقت مضى. تسير فرانكي بوتيرة طبيعية، وتقاوم الرغبة في الجري، وتحاول يائسة تجنب فعل أي شيء قد يبدو مريبًا. عندما تصبح البوابة الخارجية على مسافة قريبة، يمكنها سماع نبضات قلبها ترتطم في أذنيها. تحاول إخفاء نفاد صبرها في أثناء انتظار الحارس المناوب لفتح البوابة. وعندما يسمح لها بالمرور أخيرًا تنظر حولها، متوقعة أن ترى ابنتها للمرة الأولى منذ عام تقريبًا. تتمنى أن تضمها بين ذراعيها ولا تتركها أبدًا.

لكن فرانكي لا ترى ابنتها.

موقف السيارات فارغ.

وسيارتها اختفت.

كِلْيُو

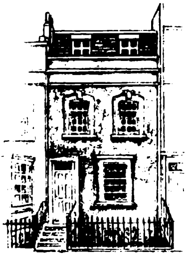

لم يسبق لكِلْيُو أن قادت سيارة تخييم من قبل. إنها لا تمتلك حتَّى سيارة، ولم تقد أي شيء ليس أوتوماتيكيًّا لسنوات. تشحذ صندوق التروس أكثر من مرة.

تسألها الفتاة الجالسة بجانبها مرة أخرى: «لماذا لديك سيَّارة أمي؟ قلتِ إنَّك ستشرحين في الطريق».

تكذب كِلْيُو: «لقد أخبرتك بالفعل، طلبت مني أمك أن آخذك إلى المنزل».

- ولكن كيف تعرفين أمي، ولماذا لم تأخذني بنفسها؟

- إنها حكاية معقدة.

- أيُّ جزء منها؟

تقول كِلْيُو: «كلها. أعلم أنك لا تثقين بي، لكن من فضلك دعيني أساعدك».

- لستُ بحاجة إلى مساعدتك، ولن أثق بك مرة أخرى.

تتمنى كِلْيُو أن تتمكن من التمعن في وجه الفتاة بدلًا من الاضطرار إلى التركيز على الطريق أمامها. تريد أن تنظر إليها وتتحدث معها وتكتشف كل شيء عنها. كل ما فاتها.

تقول الفتاة: «لديك الخاتم نفسه».

تخطف كِلْيُو نظرة سريعة نحوها وترى أنها ترتدي خاتمًا فضيًّا على شكل دعسوقة، تمامًا مثل الخاتم الذي تضعه في إصبعها.

تتوقف كِلْيُو عند الإشارة الحمراء: «هناك شيء أريد أن أخبرك به».

تجيب الفتاة: «ما لم يكن مكان أمي، فأنا لا أهتم. لقد عقدنا اتفاقًا، طلبتِ مني أن ألتزم الصمت والتزمتُ الصمت. قلت أيضًا أنني إن أخرجتُ إديث من دار الرعاية فسـ...».

- حسنًا، أنا هنا، أليس كذلك؟ وأنتِ خارج السجن، أليس كذلك؟ سأحضر لك المال.

- احتفظي به، لا أريد شيئًا.

- لا تكوني حمقاء. قلت إنني سأدفع لك وسأفعل. لا أريد أن أبدأ بداية غير موفقة.

تقول الفتاة وتحدِّق إلى خارج النافذة: «ها! هل هذه مزحة؟».

تقول كِلْيُو: «لا أريد أن أكذب عليك. هل يمكننا الضغط على زر إعادة الضبط؟ نبدأ من جديد؟».

- شكرًا لك على إيصالي إلى المنزل، ولكني لا أريد رؤيتك بعد ذلك مرة أخرى أبدًا.

تجرح الكلمات كِلْيُو أكثر مما كانت تعتقد أنها من الممكن أن تفعل. تتابعان الطريق في صمت بعد ذلك، لذلك عندما تتحدث الفتاة أخيرًا، تنتفض كِلْيُو في مكانها.

تقول الفتاة: «اسلكي المخرج التالي».

ثم تنحرفان عن الطريق الرئيسية قبل التنقل عبر شبكة لا نهاية لها -على ما يبدو- من الممرات الريفية الضيقة. ويبدو وكأنها على بعد مليون ميل من المدينة. تفتح الفتاة النافذة وتستنشق الهواء النقي. تقطعان طريقهما عبر القرى الجميلة مرورًا بالكنائس القديمة والحانات الجذابة. هناك صفوف من المنازل القديمة المتجاورة وتستطيع كِلْيُو رؤية الدخان يتصاعد من بعض المداخن. تلاحظ حدائق جميلة وحقولًا غنَّاء من العشب الأخضر، وجسرًا حجريًّا قديمًا، ونهرًا.

تسأل كِلْيُو: «أي نهر هذا؟».

- نهر التايمز.

- إنه لا يبدو مثل نهر التايمز.

- الأنهار مثل الناس؛ إنهم يتغيرون، ويشقُّون طرقًا إلى حيث يتعيَّن عليهم الذهاب. في بعض الأحيان لا يبدون مثل أنفسهم ولكنهم يبقون مَن هم.

- من قال لكِ ذلك؟ أمُّك؟

تحدِّق الفتاة إليها: «نعم».

- أنتِ تحبينها، أليس كذلك؟ أمُّك؟

تقول الفتاة من دون تردد: «إنها أفضل شخص أعرفه في حياتي».

تفكر كِلْيُو في هذه الكلمات لبعض الوقت، وتتساءل كيف تتعامل معها، فهي تشعر بالغيرة والامتنان والسعادة والحزن في الوقت نفسه.

تقول الفتاة فجأة: «توقفي هنا، ها هو البيت».

قالت كِلْيُو إنَّها ستوصلها إلى البيت -وبدا ذلك كأنَّه أقل ما يمكنها فعله، فقد أرادت فقط قضاء بعض الوقت معها بمفردها- لكن كل ما تستطيع كِلْيُو رؤيته هو طريق ريفي ونهر. إنها تتوقف على أي حال، وتقول الفتاة وهي على وشك المغادرة: «قلتِ إنك بحاجة إلى إخباري بشيءٍ ما».

توقف كِلْيُو تشغيل المحرك: «هل هناك مكان يمكننا الذهاب إليه؟ (تهز الفتاة رأسها وتخشى كِلْيُو أن تفتح الباب وتهرب) هنا جيِّد. هل يمكنني أن أطرح عليك سؤالًا واحدًا في البداية؟».

- واحدٌ فقط.

- لا أعرف بماذا أناديكِ. ما اسمك الحقيقي؟ أعلم أنه ليس بيشنس.

تتردد الفتاة: «نيللي».

تبتسم كِلْيُو وتصارع رغبتها في البكاء: «نيللي! الاسم المصغَّر لإليانور. إنه اسم جميل جدًّا».

الفتاة هي الطفلة إليانور حقًّا. من الصعب تصديق أن يكون الاسم مجرَّد مصادفة. عيناها، ابتسامتها، تقطيبة حاجبيها، فجأة تتعرف كِلْيُو على ملامحها جميعها. تريد أن تلمسها بشدة لكنها تعلم أنها لا تستطيع ذلك. لقد وجدت طفلتها الصغيرة أخيرًا وها هو قلبها ينكسر من جديد.

تقول كِلْيُو: «سؤال آخر (لكن نيللي تمد يدها نحو مقبض الباب) سؤالٌ أخير، أعدك. هل حظيتِ بطفولةٍ سعيدةٍ؟».

لا تفكر نيللي لفترة طويلة قبل الإجابة: «الأسعد على الإطلاق».

تومئ كِلْيُو، وتبتسم، وتمسح دمعتها بظهر يدها.

- هذا جيد. حسنًا، يجب أن أوفي بوعدي. هناك شيء أريد أن أقوله لك وهو ليس بالأمر السهل، ولكن أعتقد أن لديك الحق في معرفته. أمي، إديث، توفيت اليوم. غادرت العالم بسلامٍ. لم تكن تعاني أيَّ ألم. لكنها... رحلت.

لم تستطع كِلْيُو توقُّع أي رد فعل أكيد يصدر عنها، ولكن وجه نيللي يتشح فجأة بالدمار الخالص.

تقول نيللي: «وثقتُ بكِ عندما قلتِ إنك تريدين مساعدة إديث. قلت إنها ستكون أكثر أمانًا خارج دار الرعاية وأنا صدقتك. لقد فعلت ما فعلته بسببك. والآن ماتت؟ أمُّك كانت على حق، أنتِ ابنة فظيعة».

تشعر كِلْيُو وكأنها طُعنت في صدرها.

تنتزع نيللي حقيبتها وتركض مغادرةً السيَّارة دون أن تنظر إلى الوراء. تراقبها كِلْيُو وهي تعبر الطريق قبل أن تختفي على بعد خطوات قليلة من الممشى المحاذي للنهر.

وإذا بها تمضي في حال سبيلها.

فقدت كِلْيُو طفلتها الصغيرة، ثم وجدتها دون أن تعلم أنها وجدتها.

وتتساءل الآن ما إذا كانت سترى ابنتها مرة أخرى.

فرانكي

بحثت فرانكي في كلِّ مكانٍ عن ابنتها. طلبت سيارة أجرة لاصطحابها من السجن وتوجهت مباشرة إلى المنزل الوردي في نوتينج هيل أولًا، لكن نيللي لم تكن هناك، ولا حتّى كِلْيُو أو سيَّارة فرانكي. ذهبت إلى العليَّة في كوفنت جاردن بعد ذلك، لكن ذلك كان طريقًا مسدودًا أيضًا. لذا غادرت فرانكي قاصدةً البيت لأنها لم تستطع التفكير في أيِّ مكانٍ آخر تذهب إليه.

لقد فقدت فرانكي كلَّ شيء. كل ما يمكن عدُّه من أشياء وما لا يمكن. تتساءل ما إن كانت ستفقد وظيفتها الآن أيضًا -بعد أن خرجت اليوم دون أي تفسير وتركت النزيلات دون إشراف- ثم تدرك أنها لا تهتم. الأشياء التي ظنَّتها مهمة بالنسبة إليها، ليست كذلك. الأشياء التي ظنَّتها تشكِّل فارقًا في حياتها، لا تشكِّل أي فارق. والجزء الأسوأ في كل هذا هو أنها تشعر وكأن كل شيء سيء حدث هو خطأها.

تسير على طول الممشى إلى حيث يرسو قارب *ذا بلاك شيب*، ثم تخطو فرانكي إلى سطح السفينة، وتفتح الباب، وتغلقه خلفها. تحدق إلى باب غرفة نوم ابنتها. فمنذ أكثر من عامٍ وهي تتحقق منه في كلِّ مرةٍ تعود فيها إلى البيت، ولكن يبدو ذلك بلا أي معنى الآن. لقد فقدت الأمل، ولكن شيئًا ما يجعلها تفعل ذلك على أي حال. ربما فقط حاجتها لأيِّ عادةٍ روتينية، مثل حاجتها إلى عدِّ الأشياء.

أربع خطوات إلى باب غرفة نوم ابنتها.

إنه مفتوح قليلًا. اعتقدت فرانكي أنها أغلقته.

ثلاث خطوات.

فرانكي متأكدة من أنها تتوَّهم.

خطوتين.

أو تحلم.

خطوة واحدة.

لأنَّ نيللي جالسة على السرير.

تقول: «مرحبًا يا أمي».

تحدق فرانكي إليها وكأنها شبحٌ. أصبح شعر نيللي أطول مما كان عليه من قبل، وتبدو أكبر عمرًا وأنحف وأكثر إرهاقًا. لكنها في الحقيقة فتاتها الصغيرة. تندفع فرانكي نحوها، وتسحبها إلى عناق، فهي بحاجة إلى الشعور بها لتعرف أن هذا ليس حلمًا. لكن ابنتها حقيقية، وآمنة، وفي البيت.

تسأل فرانكي بينما تمسك بوجه نيللي بين يديها وتفحص كل شبر منها بحثًا عن أي ضرر، فتبكي كلتاهما: «هل أنتِ بخير؟».

- نعم.
- متأكدة؟ لم أعلم أنك في السجن إلا بعد فوات الأوان. وبحلول الوقت الذي علمت فيه، كانوا قد أطلقوا سراحك بالفعل وكنتِ قد رحلتِ.
- ظننتُكِ في الخارج تنتظرينني. لكن امرأة تدعى كِلْيُو كينيدي كانت في سيَّارتك. أوصلتني إلى البيت، وقالت إنها تعرفك...

تشعر فرانكي بالدوار: «ماذا قالت أيضًا؟».

تحدق نيللي إليها: «كيف *تعرفينها* يا أمي؟».

سماع نيللي تناديها بأمي يعصر قلبها عصرًا.

تمسك فرانكي بيد ابنتها، خائفة من تركها ترحل: «هناك شيء أريد أن أخبرك به».

- هذا ما قالته.

- يدهشني أنها لم تفعل.

تسأل نيللي: «لم تفعل ماذا؟».

- ليست هناك طريقة سهلة لقول هذا...

- إذن قولي ما تشائين بالطريقة الصعبة. لا أريد أن يكون لدينا أسرار نخبئها عن بعضنا بعضًا بعد الآن. ولا يهمني إن كنتِ أمي التي أنجبتني، فأنا أحبك. أريد فقط أن أعرف الحقيقة.

- ربما لم أنجبك، لكنك ابنتي. هذه هي الحقيقة.

- سأبقى دائمًا ابنتك.

تمتلئ عينا فرانكي بالدموع مرة أخرى: «وسأبقى دائمًا أمك. لقد اعتنيت بك وأحببتك منذ أن كنتِ طفلة. لكنك على حق، فأنا لست أمك التي أنجبتك، وأنتِ تستحقين أن تعرفي الحقيقة. على الرغم من أنك قد لا تحبينها، أو تحبينني، عندما تعرفينها».

تجلسان بجوار بعضهما بعضًا على السرير، تمامًا كما كانتا تفعلان عندما كانت نيللي صغيرة وفرانكي تقرأ لها قصصًا قبل النوم. تحكي لها فرانكي قصة أخرى الآن. واحدة عن سوبر ماركت، ومفتشة متجر، وامرأة تعيش في منزل وردي. قصة عن طفلة مختطفة تدعى إليانور. طفلة كبرت لتصبح فتاة تدعى نيللي، تعيش على متن قاربٍ مع امرأة ليست أمها الحقيقية.

هناك الكثير لتستوعبه.

تستدير نيللي وتبتعد، وتضم ركبتيها إلى صدرها.

تدرك فرانكي أنه من الصعب جدًّا استيعاب ضخامة ما قيل لها للتو. تراقب ابنتها، في انتظار رد الفعل، وتتحقق لمعرفة ما إن كانت قد فهمت. عندما تفتح نيللي فمها أخيرًا لتتحدث، تشعر فرانكي بالرعب مما ستقوله. فهي لا تستطيع تحمل خسارة ابنتها الصغيرة مرة أخرى. تبدو كلمات ابنتها غريبة ومشوهة، لكن نيللي تنظر إليها بحثًا عن التوكيد.

تقول فرانكي: «هذا صحيح، أنا أختك».

كِلْيُو

تركن كِلْيُو السيَّارة في نهاية الشارع خارج المنزل الوردي. لا شيء داخل منزلها يبدو كما كان من قبل. ابنتها الصغيرة لم تمت، ولكنها لم تعد فتاتها الصغيرة أيضًا. الطفلة التي أحبتها ذات يوم أكثر من أي شيء آخر في العالم أصبحت غريبة تمامًا عنها. كِلْيُو منهكة، ومتعبة جدًّا لدرجة أنها لا تستطيع فعل أي شيء سوى النوم. لذلك تتوجه إلى الطابق العلوي وتسير على طول بَسْطَة الدَّرَج باتجاه غرفة نومها. تتوقف خارج الغَرفة التي كانت أمها نائمة فيها الليلة الماضية وتحل الذكرى كصدمة. ابنتها على قيد الحياة، ولكن أمها ماتت.

تشعر كِلْيُو وكأنها تنتهك حُرمة منزلها الخاص عنّدما تدخل غرفة النوم الاحتياطية. الشكل الذي رأته سابقًا لشخصٍ نائمٍ هو مجرد وسائد مرتبة لتبدو بهذه الطريقة أسفل الأغطية. أغراض أمها -ملابسها، وبسكويت

الكاسترد، ومرطباتها- كلها لا تزال موجودة، والغرفة تفوح منها رائحة عطر إديث. تجد كِلْيُو رسالة موجهة إليها على خزانة الملابس. لا تريد قراءتها، لكن يبدو أنها لا تستطيع منع نفسها.

عزيزتي كِلْيُو،

أخشى ألاَّ نتمكن من إجراء هذه المحادثة وجهًا لوجه، وهذه غلطتي -مثل أشياء أخرى كثيرة- أنَّني أجلتها لسنواتٍ. هناك شيءٌ أريد أن أخبرك به، شيءٌ كان يجب أن أخبرك به منذ وقتٍ طويل. أتمنى فقط أن يعفو قلبك ويصفح وتستطيعين مسامحتي.

كنتُ مخطئةً عندما أخبرتُك ألا تحتفظي بالطفلة عندما حملتِ في سن السادسة عشرة. وعندما قررتِ تجاهلي وأنجبتِها على أي حال، كنتُ مخطئةً بعدم دعمك. بينما كنتِ تكافحين من أجل أن تصبحي أمًا في مثل هذه السن المبكرة، تمامًا كما فعلتُ معك، كان ينبغي لي أن أفعل المزيد للمساعدة. ظننت أن تخلِّيكِ عن الطفلة وعرضها للتبني هو الشيء الصحيح الذي ينبغي لكِ فعله، لأنني أردتُك أن تحظي بحياةٍ أفضل مما حظيتُ. أردتك أن تكوني حرة. الأطفال عبءٌ ثقيل جدًّا، ومن المؤكد أنك تعرفين ذلك، لكنني أرى الآن أنه كان عبئًا أردتِ حمله.

عندما حملتِ مرةً أخرى بعد كلِّ تلك السنوات، وتزوَّجتِ هذه المرة وأصبح لديك منزل وزوج، بدت وكأنها فرصة ثانية. ليس فقط بالنسبة لك، ولكن بالنسبة لي أيضًا. اعتقدت أنها قد تقربنا من بعضنا بعضًا. ولكن، مثل المرة الأولى، عانيتِ. آمل ألا يزعجك ما سأقوله، لكنني ظننتُ بصدقٍ أنني كنتُ أفعل الشيء الصحيح عندما أبعدتُ الطفلة عنكِ.

حدث ذلك عندما أقمتُ بضعة أيامٍ معك لمساعدتك في الاعتناء بالطفلة إليانور. كانت هذه هي المرة الأولى -وللأسف الوحيدة- التي وثقتِ فيها بي للمساعدة. كنتِ في الطابق العلوي، وقد خلدتِ للنوم أخيرًا، وكذلك هي. شعرتُ بالغضب عندما سمعت طرقًا على الباب، فلم أكن أرغب في أن يوقظك أحد أو يوقظ الطفلة. عندما فتحته ورأيت الفتاة واقفة هناك، ظننتُها تبيع شيئًا ما. ما زلت أتذكر كلَّ ما قالته.

- أبحث عن كِلْيُو كينيدي.

- أنا أمُّها، كيف يمكنني مساعدتك؟

حدقت إليَّ لبضع ثوانٍ قبل أن تتحدث: «أنا ابنتها».

لا أعرف كيف بدا وقع ذلك على ملامحِ وجهي حينها، لكنني عرفت على الفور أنها تقول الحقيقة. أجرى عقلي بعض الحسابات وأكدَّ أن عمرها صحيح، وأنها كانت بعمر طفلةٍ عندما أقنعتكُ بالتخلي عن طفلتك. بدت نسخةً منكِ عندما كنتِ في ذلك العمر، فتاة جميلة ولطيفة، بعينين خضراوين واسعتين وملآنتين بالأمل. لم أدعُها للدخول، ولم أفتح الباب بالكامل حتى، لذلك بقيت تثرثر على عتبة الباب حول كيف كشفت لها أمها عن حقيقة أنَّها تبنَّتها في عيد ميلادها الثامن عشر. من الواضح أنها كانت صدمةً لها، فدفعتها رغبتها في معرفة من هي أمها الحقيقية، إلى تعقبك. لقد كافَحَتْ للعثور عليكِ، وفوجئتُ عندما علمتُ أنَّك وضعتِ علامةً بجانب مربع «عدم التواصل» في أوراق التبني قبل عقدين من الزمن. كلُّ ما كانت تعرفه هو أنَّ اسمك كِلْيُو. لكنها رأت بعد ذلك صورةً لك في معرض كينيدي بصحيفة *«إيفنينج ستاندرد»* *(Evening Standard)* -في أحد معارض جُود وبيدك كأس من النبيذ الأبيض الدافئ- وامتلأت يقينًا أنَّك أمها، فزارت المعرض في اليوم التالي. التقت أخيكِ وحاولت معرفة المزيد عنكِ. سألته إن كانت لديك طفلة تبلغ من العمر ثمانية عشر عامًا الآن، وفعل جُود ما كان طبيعيًّا بالنسبة له دائمًا -كَذَب- ولكن، كما تعلمين، لم يكن جيدًا في ذلك على الإطلاق. استغلَّته للعثور عليكِ، لكنها عثرت عليَّ أولًا عندما فتحتُ باب منزلك.

أخبرتُها أنَّ الوقت ليس مناسبًا وأغلقتُ الباب في وجهها.

أستطيع تصوُّر مدى الألم الذي قد تشعرين به في أثناء قراءة هذا الآن، ولكن ضعي نفسك في مكاني، في تلك اللحظة، إن استطعتِ. كنتِ مكتئبةً. لا أتذكر المصطلحات الفاخرة التي أصبحت تُستخدم لوصف المشاعر السيئة التي تعانيها الأم بعد الولادة هذه الأيام، لكنك كنت تعانين الكثير منها. فانتابني قلق حيال ذلك، وخشيتُ أن تؤذي نفسك أو الطفلة. لم أظنكِ تستطيعين التعامل مع المزيد من التوتر أو الاضطراب العاطفي.

طَرَقَتْ البابَ مرَّةً أخرى. عندما لم أجب، شَرَعَتْ في الصراخ عبر صندوق الرسائل، وقالت إنها بحاجة إلى معرفة من أنتِ حتَّى تعرف مَن هي. طلبتُ منها أن تغادر، لكنها استمرت في طرق الباب وأيقظت الطفلة هذه المرة. فتحتُ الباب للمرة الثانية وأنا أحمل الطفلة إليانور بين ذراعيَّ. أردتُها أن تعرف أنَّ وجودها غير مُرَّحبٍ به. كنتُ أحاول حمايتك.

قلتُ: «هذه حفيدتي. لدى كِلْيُو طفلة جديدة الآن، وهي وطفلتها وزوجها عائلة شرعيَّة. يجب أن تكوني ممتنةً لأنَّها لم تتخلص منكِ في أثناء الحمل. أنتِ كبيرةٌ بما يكفي بالتأكيد لتفهمي أنَّ الأخطاء تحدث. هذا كل ما كنتِه بالنسبة إليها، مجرَّد خطأ. لا يوجد شيء لك هنا. (بدت الفتاة وكأنني ضربتها على رأسها) وبما أنَّك أتيتِ الآن، لا بدَّ أنَّك عرفتِ سبب عرضك للتبني؟ لم تتخل ابنتي عنك عن طريق الخطأ. لماذا أنتِ هنا حقًّا؟ ماذا تريدين، المال؟».

هزَّت الفتاة رأسها لكنني أخرجتُ محفظتي على أي حال بينما أسندت الطفلة على فخذي. شرعت إليانور في العويل مرَّةً أخرى وخشيتُ بشدَّة أن تستيقظي وتنزلي الدرج.

- آسفة، ليس لدي سوى هذه.

أعطيتها ورقة نقديَّة قديمة من فئة عشرة جنيهات، وأجبرتُها تأخذها.

قالت بتجهم وهي تنظر إلى الطفلة التي لم تتوقف عن الصراخ: «الطفلة تبكي».

- أعلم، لستُ صمَّاء. إنها تبكي كثيرًا. وكذلك كنتِ عندما وُلدتِ.

سَأَلَتْ، وما زالت تحوم فوق عتبة الباب مثل بائعٍ غير مُرَّحبٍ به: «ألهذا فعلت ذلك؟».

انفجرتُ: «فعلت ماذا؟».

بدت وكأنها ستشرع في البكاء هي الأخرى: «ألهذا تخلَّت عني أمي؟».

- إن كنتِ تريدين المزيد من المال، فليس لدي أي شيء. ابنتي ليست بخير. يجب أن أحميها هي وحفيدتي. لماذا لا تتركين بعض تفاصيل التواصل معك، وربما، إن كان هناك وقت أفضل في المستقبل، سنتواصل معك.

قالت: «ما زالت الطفلة تبكي».

كما لو كانت تبكي بسببي وليس بسببها هي حقًّا.

- نعم، ما زالت تبكي. كم تريدين أن أدفع لكِ مقابل أن تختفي وتأخذيها معك؟

لم أكن أقصد ذلك. بالطبع لم أقصد. كنتُ متعبة أيضًا.

ابتعدت دون أي كلمة أخرى. لكنني أعلم أنها تبعتني إلى السوبر ماركت في اليوم التالي، عيد الأم. سرقت ابنتك طفلتك. كنت أعرف أنها أخذت الطفلة، لكني لم أعرف كيف أعثر عليها. لم أكن أعرف حتَّى اسم الفتاة.

أتت لرؤيتي في دار رعاية المسنين منذ بضعة أشهر. عثرت عليَّ مرة أخرى، بعد كل هذه السنوات. لكن هذه المرة كانت تبحث عن ابنتها، وليس أمها. كان بإمكاني مساعدتها لكنني لم أفعل -ولماذا قد أفعل بعد كل الألم الذي سببته لك- ولكن الآن أعتقد أنني ربما كنت مخطئة مرة أخرى. ولهذا قررتُ أن أضع الأمور في نصابها الصحيح.

سأذهب إلى مركز الشرطة الآن. إنه الشيء الوحيد الذي يمكنني التفكير فيه لحمايتك. لقد كنتُ أمًّا سيئة طوال حياتي، دعيني أكون جيدة هذه المرة فقط. لم أقتل جُوي بونيتا -كنت أتمنى لو فعلت- ولكن يبدو أن المفتشة تعتقد أنها واحدة منكما. لا أستطيع أن أترك الدعسوقة تتحمل الذنب لذا سأقول إنني فعلت. سأعترف بذنب ليس ذنبي للتكفير عن كل ما ارتكبته من ذنوب. علاوة على ذلك، أشك في أنَّ المتبقي من عمري كثير على أيَّة حال. يفترض الناس أنه سيكون هناك دائمًا غدًا. بأخذ العبرة من المقابر وبامتلاك الفطرة السليمة سيعرفون يومًا أنهم مخطؤون. سأضحي بأي شيءٍ لإعادة كتابة قصتك وقصتي وقصتنا. لا يزال الوقت أمامك لتغيير نهاية قصتك. افعلي كل ما عليك فعله لتُحِبِّي وتُحَبِّي ولا تدعي التاريخ يعيد نفسه.

مودتي، أمُّك.

تُنهي كِلْيُو قراءة الرسالة وهي تبكي. تتذكر اليوم الذي أُخذت فيه طفلتها الأولى لتُعرَض للتبني، عندما وضعت ساعتها الميكي ماوس في سرير الطفلة في اللحظة الأخيرة، راغبة في إعطاء الطفلة *شيئًا ما*، على الرغم من أنها لم

يكن لديها سوى القليل جدًّا لتعطيه في السادسة عشرة من عمرها. الساعة نفسها التي رأت فرانكي ترتديها منذ عدة ساعات.

تذهب كِلْيُو إلى غرفتها وتفرغ حقيبتها. يسقط الدب الذي أعطتها إياه المفتشة على السرير. لا تعرف ما إن كانت تريد رؤية اللقطات المسجلة، لكنها تجبر نفسها على مشاهدتها على أي حال. كلُّ ما حدث مسجَّل على الشريط: جوي تدخل غرفة أمُّها، وتضع وسادة على وجه إديث. بعد فترة وجيزة، تسقط الكاميرا، وتصبح زاوية اللقطة في اتجاه الأرضية. يُظهر الشريط أيضًا شخصًا آخر يندفع إلى الغرفة، لكنه يكشف فقط عمَّا كان يرتديه في قدميه: زوج من الأحذية الرياضية الحمراء.

هناك ضجيج على الدَّرَج وتتجمد كِلْيُو في مكانها. لكنها ليست خطى ثقيلة. يظهر وجه في المدخل، وجه نسيت وجوده تمامًا حتى هذه اللحظة.

- قلت إنه غير مسموح لك بالصعود إلى الطابق العلوي.

يبرك ديكنز، ورأسه بين قدميه الأماميتين، وعيناه الكبيرتان تحدقان إليها.

تتساءل كِلْيُو ما إن كان يعرف بطريقة ما أنَّ إديث ماتت.

تقول وهي تربت على السرير: «حسنًا، تعال إذن».

يقفز بجانبها ويأخذ راحته في حضنها.

تقول كِلْيُو مداعبةً شعره: «أنت بحاجة إلى حمام أيها الكلب النتن، ثمَّ ماذا سأفعل معك؟ (ينظر ديكنز إليها ثم يلعق وجهها. وتبدو كِلْيُو سعيدة بشكل غريب برفقته. يحدق إليها الكلب وكأنه يفهم كل ما حدث) أنت على حق. يجب أن أكون أكثر لطفًا معك. ففي النهاية، أنت الشاهد الوحيد على ما حدث بالفعل في ذلك اليوم في دار الرعاية. أنت وهذا الدب».

بيشنس

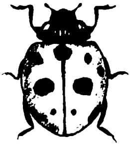

عِيد الأُمِّ، قبل يومين

تقول جوي، واقفةً بذراعين مطويَّتين، وتُحدِّق إليَّ عند مدخل غرفة السيد هندرسون: «من الواضح أنَّكِ مطرودة، ولا تُحمِّلي نفسك أيضًا عناء سؤالي عن أي شهادة أو إسنادٍ بأنَّك كنتِ تعملين معي هنا».

أعلم أنَّ موقفي يبدو سيئًا. لقد احتفظتُ بأموال السيد هندرسون وأغراضه في جيب زيي الرسمي، لكنني كنت سأعيدها كلها. من الواضح أنني غير مؤهلة لأكون لصَّة: فضميري لن يسمح لي بارتكاب جريمة. أحاول أن أروي جانبي من القصة، لكن جوي لا تنصت إليَّ لذلك أبدأ في الشعور بالذعر. من الصعب الحصول على وظيفة دون أي هُويَّة، أو حساب مصرفي، أو اسم حقيقي.

أقول: «من فضلك، يمكنني أن أشرح لكِ (ترتسم على وجهها علامة توقف لكنني أستمر على أي حال) لا أستطيع أن أفقد هذه الوظيفة».

- ولا أستطيع توظيف سارقة. اجمعي أغراضك وغادري المكان. اتركي مفاتيحك وبطاقة تعريفك في مكتبي، ويمكنك إعادة الزي الرسمي بعد غسله. ليس لدي الوقت للاستماع إلى أكاذيبك. بفضلك لديَّ المزيد من العمل لإنجازه.

تُشير إلى الباب، وأسير نحوه.

ما تزال حقيبتي في غرفة إديث.

وكذلك ديكنز.

لا أستطيع المغادرة من دونه، لكن جوي تتبعني إلى بَسْطَة الدَّرَج، تتكئ على درابزين الطابق العلوي المتداعي، وتراقبني وأنا أسير نحو الدرج. لا يبدو أن لدي العديد من الخيارات، وليس هناك وقت لاتخاذ قرار بشأن ما يجب القيام به. من الصعب جدًّا التمييز بين الصواب والخطأ في بعض الأحيان.

- ولا تتعبي نفسك في محاولة الحصول على وظيفة أخرى في دار رعاية في هذه المدينة. سأؤكد على *الجميع* ألَّا يوظفون فتاةً تُدعى بيشنس أو يعني اسمها صبر.

أقولها، وأنا أعنيها: «افعلي ما تشائين!».

أبدأ في نزول الدرج. المصعد مُعطَّلٌ مرَّةً أخرى بفضل تخريبي للأزرار في وقتٍ سابق. عندما أصل إلى منتصف الطريق، أرفع بصري وأرى أن جوي لا تزال واقفة هناك في الطابق العلوي، وتنظر إليَّ بأكثر من طريقة. بمجرد أن أبتعد عن الأنظار، أقصد غرفة الموظفين وأحضر معطفي، ممتنة لأنه لا يوجد أحد لرؤيتي. انتهى وقت الزيارة. وقد استعادت صالة الانتظار الملحقة بغرفة المديرة حالتها الهادئة، وبقية الموظفين والمقيمين بعيدون عن مرمى السمعِ والبصر في غرفة الطعام. إن أراد أحدٌ ما أن يفعل شيئًا سيئًا هنا ويفلت من العقاب، فهذا هو الوقت المناسب لفعله. أدخل مكتب جوي. أترك بطاقة تعريفي فوق مكتبها، ولكني أحتفظ بمجموعة مفاتيحي. ثم أفتح صندوق المصروفات النثرية بالقوَّة، وأملأ جيوبي بما يحويه من نقود. ليست أكثر مما تدين به لي عن الأيام التي عملتُ فيها بالفعل. بعدما آخذ ما أعتبره

حقي، أتوجه نحو الباب الأمامي وأتعمَّد صفقه بقوَّة، وأنا أعلم أنَّ جوي ربما لا تزال تراقب.

حالما أبتعد عن الأنظار، أتسلل حول المبنى الخلفي من دار الرعاية وأبدأ في تسلق سلم النجاة من الحريق. أنا متأكدة أن جوي ستكون قد عادت إلى مكتبها في الطابق السفلي الآن -فهي نادرًا ما تغادره للقيام بأي عمل حقيقي- ولا أخطط للبقاء لفترة طويلة بمجرد دخول الدار عبر مخرج الطوارئ في الطابق العلوي. كل ما أريد فعله هو إحضار ديكنز، وتوديع إديث، والخروج من هنا. للأبد هذه المرة.

أتسلل على طول بَسْطَةَ الدّرَج وألمح باب غرفة إديث موارب قليلًا. عندما أدخل الغرفة، يحدث كل شيء بسرعة كبيرة.

إديث مستلقية على السرير.

جُوي تضغط بوسادة على وجهها.

وامرأة أخرى تندفع خلفها.

ما أراه لا يبدو حقيقيًّا. لا يمكن أن يكون حقيقيًّا. يندفع ديكنز عبر باب الحمام. يصطدم بقوَّة في خزانةٍ فيسقط من فوقها دبٌّ محشوٌّ وتمثالٌ معدنيٌّ. تستدير جوي وترى المرأة الأخرى وتشرعان في القتال. إديث لا تتحرك، وعيناها مغمضتان وتبدو هامدة على السرير. تُسقِط جوي المرأة الأخرى أرضًا وتعود لتنهي ما بدأته. يزمجر الكلب ويندفع نحو جُوي. تقبض عليه من مُؤخِّرة عُنْقه، فيئن وينشج، وتلقيه بقوَّة على أرضية الغرفة. شيءٌ ما بداخلي ينتفض. أندفع نحو جُوي لكنها تطرحني أرضًا أيضًا، ثم تعود إلى إديث. تنهض المرأة الأخرى، وتقبض على جوي من الخلف، وتعقف ذراعها حول رقبة جوي. لا أعرف إن كانت المرأة قادرة على تكبيلها. أرى الجسم المعدني الذي سقط من فوق الخزانة -تمثالًا برونزيًّا لعدسة مكبرة- أمسكه وأضرب جوي على رأسها. هناك صوت تحطُّم فظيع عندما أفعل ذلك.

تسقط جوي أرضًا ولا تنهض مرَّةً أخرى.

تحدِّق إليَّ المرأة الأخرى في حالة صدمة لكنها لا تقول أي كلمة.

أندفع نحو إديث.

تسأل المرأة: «أما زالت على قيد الحياة؟».

- لا أعرف. من أنتِ؟

- أنا كِلْيُو، ابنة إديث. أما زالت على قيد الحياة؟

أقول: «نعم».

تجيب كِلْيُو وهي تنظر إلى جوي التي لا تزال منبطحة على الأرض جثةً هامدة بعينين مفتوحتين على مصراعيهما: «جيد. لا أعتقد أنها *كذلك*».

أشعر وكأنني سيُغمى عليَّ: «هل يجب أن نتصل بالإسعاف؟».

تنهض إديث وتجلس على السرير، تلهث توقًا للهواء، وتقيِّم المشهد. يقفز ديكنز بجانبها ويلعق وجهها ويغمرني الارتياح لأنَّ كليهما بخير.

تسأل إديث وهي تحدق إلينا: «ماذا حدث؟».

وتضيف عندما ترى كِلْيُو: «أوه يا عزيزتي».

تجثو كِلْيُو على ركبتيها بجوار جوي وتتحقق من النبض، ثم تهز رأسها، وتقول: «دخلتُ ووجدتها تضغط بوسادة على وجهك».

تقطب إديث جبينها كما لو كانت تحاول أن تتذكر: «ولذلك *قتلتِها*؟».

- لم أفعل أي شيء. ضربتها هذه الفتاة على رأسها بتمثال تقاعدك.

- يبدو أنها أنقذت حياتي. لقد كانت صديقتي مِاي على حق. علمت أنَّ نيات جوي سيئة، ولهذا قتلتها جوي. شكرًا لكِ أيتها الدعسوقة.

أقول: «أنقذناكِ نحن الاثنتان، لم أكن أنا فقط».

تستدير كِلْيُو نحوي: «انتظري لحظة! لم أفعل شيئًا سوى تكبيلها، أما *أنتِ* فقد ضربتِها حتى الموت».

- لولا إمساكك بها جيدًا لما قدرتُ على ذلك. إن ماتت فأنت مدانة مثلي تمامًا.

تهز كِلْيُو رأسها: «يجب أن نتصل بالشرطة».

أقول لإديث باهتياجٍ شديد: «سوف يرسلونني إلى السجن. لقد تجادلنا للتو، و... كنت عائدة لآخذ ديكنز وأودعك بعد أن طردتني جوي».

- أطردتكِ يا دعسوقة؟

تسأل كِلْيُو إديث بينما تحدق إليَّ: «لماذا تنادينها بهذا الاسم؟».

- لأن هذه هي الدعسوقة.

- لا يا أمي، ليست هي.

أقول: «أنا أستحق نوعًا ما هذا الطرد».

تهز إديث رأسها: «أشك في ذلك، لكنكِ على حق، فهذا يزيد الوضع سوءًا. حسنًا إذن. لا شرطة».

تقول كِلْيُو: «يزيد الوضع سوءًا؟ أمي، هذه الفتاة الغريبة ضربتها على رأسها. وقد تجادلتُ مع جوي في وقتٍ سابقٍ اليوم أيضًا. علينا أن نتصل بالشرطة وندعهم يحلون المشكلة».

- أوه، كما لو أنهم حلوا مشاكلك في المرة السابقة؟ هذه ليست فتاة غريبة، إنها مهمة جدًّا بالنسبة لي. كلاكما أنقذني والآن يجب أن أحميكما.

تقول كِلْيُو، لكن بصوتٍ خافت، فهي تحدِّق إليَّ بحدَّة غريبة: «لن أتواطئ معكما في ذلك».

تقول إديث: «هل تريدين أن تظهر صورتك في الصحف مرة أخرى؟ وهذه المرة ستفقدين كل ما تبقى لديك: سمعتك وعملائك ومنزلك الوردي الثمين. كم عدد الأشخاص الذين سمعوك تتجادلين مع مديرة دار الرعاية في وقتٍ سابقٍ؟ لا يهم ما فعلته أو ما لم تفعليه، ما يعتقد الناس أنك فعلته هو كل ما يهم. ستطلق الشرطة على هذه الجريمة جريمة *قتل* وسيُدرج اسميكما ضمن المشتبه بهم، وأنا كذلك، إن وجدوها في غرفتي».

تبدأ كِلْيُو في ذرع المكان جيئة وذهابًا، فتذكرني بأمي: «لا يمكن أن يحدث هذا لي. أنا شخص *صالح*».

تقول إديث: «هل أنتِ كذلك؟ أحقًّا؟ هل أيٌّ منَّا صالح؟ أنا دليلٌ حيٌّ على أنَّ الصالحين فقط هم الذين يموتون في سن مبكرة. في بعض الأحيان تحدث أشياء سيئةٌ للأشخاص الجيدين، مما يضطر الأشخاص الجيدون إلى فعل أشياء سيئة. ستكون هناك طريقة لإصلاح هذا، أنا فقط بحاجة إلى التفكير...».

أقول: «يمكننا أن نضعها في المصعد. لن ينظر أحد إلى هناك مرَّةً أخرى قبل أن يظهر عامل التصليح».

تهز كِلْيُو رأسها: «المصعد؟ حقًّا؟».

تسأل إديث: «هل لديكِ فكرة أفضل؟ كل واحدةٍ منَّا تحتاج إلى حُجَّة غِيَاب. بيشنس، هل يمكنك العودة مباشرة إلى المنزل والتأكد من أن يراك أحدٌ هناك؟».

إن عدتُ إلى الشقة في العليَّة، فلا شك أن جُود سيأتي ليجدني.

- نعم.

تقول كِلْيُو: «حصلت على موعد مع عميلة جديدة خلال أقل من ساعة».

تشرع إديث في مغادرة السرير: «جيد، سيكون دليل براءتك. إن التزمنا جميعنا الهدوء، سننجو».

تقول كِلْيُو: «وماذا عنك؟».

- لم أجد حُجَّةً بعد، لكنني لن أبقى هنا.

نحمل أنا وكِلْيُو جثة جوي إلى المصعد المعطَّل بينما تحزم إديث بعض الأشياء. أستطيع أن أقول أن كِلْيُو لا تثق بي. ولكي أكون منصفة، فأنا لا أثق بها أيضًا.

تقول كِلْيُو بصوتٍ خافتٍ: «كنتُ أعرف أنَّ أمي ليست آمنة في هذا المكان».

- إن كنتِ تعرفين، فلماذا وضعتِها هنا، ولماذا جعلتها تبقى؟

تقول متجاهلة السؤال: «سأدفع لكِ، إن كان بإمكانك الاعتناء بأمي لبضعة أيام، ثم إحضارها إلى منزلي، سأكون قد عرفت ما يجب فعله بحلول ذلك الوقت...».

- لماذا لا تستطيعين أن تأخذيها معكِ إلى المنزل الآن؟

- لأن هذا أوَّل مكان سيبحثون فيه عنها عندما يكتشفون أنها مفقودة.

إنها على حق.

- حسنًا، ولكني لا أريد نقودك.

- سأدفع لك على أي حال. إن حافظتِ على سلامتها والتزمتِ الصمت بشأن كل هذا. خمسة آلاف جنيه. هل يبدو هذا كافيًا؟

هذا المبلغ من المال يمكن أن يغير حياتي حرفيًّا. يمكنني مغادرة العليَّة، والعثور على مكانٍ أفضل للعيش فيه، والتقدم إلى مدرسة الفنون.

أقول بينما أمد يدي لأصافحها: «اتفقنا. بالمناسبة، اسمي...».

تقول كِلْيُو: «لا أريد أن أعرف (لا تصافحني أيضًا. تحدق إليَّ باهتمامٍ شديدٍ مرة أخرى، ثم تهز رأسها وتشيح ببصرها) طالما كانت أمي جيدة في حشو رأسي بالأفكار السيئة. كلما قلَّ ما نعرفه عن بعضنا بعضًا كان ذلك أفضل. سأعطيك عنواني حتى تعرفي إلى أين ستحضرين أمي، ولكن بخلاف ذلك دعينا نتظاهر بأننا غرباء، وأننا لم نلتقِ قط».

أرسم علامة «خارج نطاق الخدمة» حول رقبة جوي قبل أن أغلق باب المصعد.

تسأل كِلْيُو: «هل هذه فكرة جيدة؟».

قبل أن أتمكن من الرد، يضيء المصعد، ويقرقع عائدًا إلى الحياة، ويبدأ في التحرك ببطء في طريقه إلى الطابق الأرضي.

تهمس كِلْيُو: «ظننتكِ قلتِ أنَّه *معطَّل*!».

- ظننتُه كذلك. (أسمع صوت المصعد ينفتح في الطابق السفلي، لكني أتفاجأ عندما لا أسمع أي شيء آخر. لا صراخ أو هتاف طلبًا للمساعدة. كما لو أن أحدهم اكتشف للتو جثة جوي في المصعد وتركها وهرب) علينا أن نسرع ونخرج من هنا.

تقول كِلْيُو قبل أن نعود إلى غرفة إديث: «انتظري. ما الذي يجعلني أثق بك؟».

أخبرها بشيء أخبرتني إديث به عدة مرات.

- لا شيء، ولكن يمكنك أن تثقي بي. فاحتمالية أن يخذلك الغرباء أقل بكثير من الأشخاص الذين تعرفينهم.

البداية

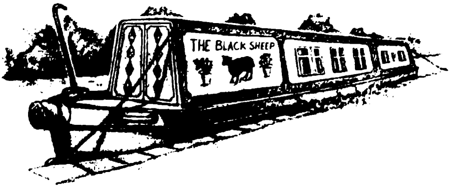

عِيدُ الأُمِّ، بعد عامٍ واحدٍ

تقول أمي عندما تفتح البطاقة الورقيَّة التي صنعتُها لها: «شكرًا لكِ».

لقد مرَّت ستة أشهر منذ أن تركت وظيفتها في السجن، وها هي تبدو مختلفة تمامًا: أصغر عمرًا، وأكثر سعادة، وأهنأ بالًا. بدأت في ارتداء المزيد من الملابس الملونة الآن بعد أن أصبح عملها لا يتطلب زيًّا موحدًا، وملابسها اليوم عبارة عن فستانٍ مطرزٍ بالورود اختيرَ بعناية. وصُفِّفَ شعرها المصبوغ حديثًا في تسريحة بوب أنيقة تحدد وجهها. وأصبحت تبتسم أكثر هذه الأيام أيضًا.

تقول وهي تقرأ البطاقة: «شكرًا جزيلًا لكِ».

أطبع قُبلةً على خدها: «على الرحب والسعة».

- سيصلان قريبًا، يجب أن ننتهي من تجهيز كل شيء.

أستطيع أن أرى شفتي أمي تتحركان وهي تعدُّ بصمتٍ الخطوات من المطبخ الصغير على متن قاربنا إلى الباب الرئيسي. أعلم أنها متوترة بشأن اليوم، كلتانا كذلك. أتبعها إلى سطح السفينة، قبل أن أصعد إلى ضفة النهر. يبدو القارب بمظهرٍ جديدٍ تمامًا، وليس فقط بسبب محيطنا الجديد على هذا الامتداد الأكثر هدوءًا لنهر التايمز. لا يزال اسمه *ذا بلاك شيب*، ولكنه طُلِيَ باللون الفيروزي. الحياة مختلفة الآن أيضًا، وفي الغالب نحو الأفضل.

في الداخل، القارب نظيف للغاية. لقد استيقظت أمي قبل العصافير اليوم، تنظف وترتب كل شبر منه حتى أصبح المكان كله الآن تفوح منه رائحة مستر شين. ولكنه ظهر يوم أحد مشمس وجميل، لذا أعددنا طاولة على ضفة النهر العشبية، وطوَّقناها ببعض الرايات الصغيرة وأضواء الزينة لتمنحنا أثرها عندما يحل الظلام. أُعدَّت الطاولة لأربعة أشخاص: نحن وضيفينا. استخدمت أمي أفضل أطباقها، وكؤوسها الملونة المفضلة -غير المتطابقة- ومناديلها الجميلة. هناك حامل كعك معدني سيُملَأ قريبًا بكلِّ ما لذَّ وطاب من أجل حفل شاي على ضفة النهر، وهناك كؤوس مخصصة للشمبانيا على الطاولة أيضًا، لأن اليوم هو يوم احتفال.

حصلت أمي على وظيفة جديدة، وأصبحت مديرة مكتبة مستقلة جديدة في لندن.

نعود إلى الداخل، وتمسح المطبخ للمرة الأخيرة. هناك بطاقة بريدية من ليبرتي على الثلاجة. لقد خرجت منذ ستة أشهر وهي الآن تتجول في أمريكا الجنوبية، وقالت أمي إنها قد تمنحها وظيفة عندما تعود. إنها مشغولة بوضع بعض الزهور في المزهرية عندما نسمع صوت توقف سيارة أجرة.

تسأل: «هل وصلا؟».

- لا أستطيع أن أرى من هنا. استريحي قليلًا. كل شيء يبدو رائعًا.

وبعد لحظةٍ نسمع طرقًا على الباب ونتبادل النظرات.

أقول عندما أجدها لا تتحرك: «سأفتح الباب».

لقد تغيَّرت كِلْيُو كثيرًا وأصبحت امرأة مختلفة أيضًا، كما لو أنها أصبحت أكثر رقَّة وحساسيَّة. وكذلك يبدو ديكنز كلبًا مختلفًا. يذهب في مواعيد منتظمة إلى مصففي الشعر منذ أن بدأ يقضي بعض الوقت في المنزل الوردي -تعتني به كِلْيُو عندما لا أستطيع ذلك- ويبدو أنيقًا تمامًا اليوم في ياقة مخملية سوداء وربطة عنق متطابقة. يهز ذيله بمجرد أن أفتح الباب.

أقول: «تفضلا بالدخول، من الرائع رؤيتكما معًا».

كِلْيُو وأمي لا تتعانقان، لكنهما تبتسمان عندما تتبادلان التحية. لا يزال الوضع محرجًا، ولكني آمل ألا يستمر دائمًا على هذا النحو. شئنا أم أبينا، نحن عائلة -عائلة غير عادية- وأريد هاتين المرأتين في حياتي.

تقول كِلْيُو وهي تُخرج زجاجة من شيءٍ يبدو باهظ الثمن من حقيبتها: «أحضرتُ بعض الشمبانيا. لدينا الكثير لنحتفل به».

هذا صحيح، لدينا الكثير بالفعل.

أُسقِطت جميع التُّهم الموجهة إليَّ. ذهب جُود كينيدي إلى السجن بتهمة التآمر للقتل. مع نصيب إديث من المعرض إلى جانب ثلثها الخاص، أصبحت كِلْيُو المساهم الرئيسي. وفي ظلِّ غياب شقيقها الطويل -وربما الدائم- قررت تحويله إلى مكتبة. طلبت من أمِّها أن تديره، وحتَّى الآن، التجارة مزدهرة في بلاك *شيب بوك ستور*. الجدران مغطاة بأرفف الكتب الفيروزية الجميلة والطاولات مكدَّسة بالكتب. زيِّنَت درجات السلم الحلزوني الخشبي المؤدي إلى الطابق الثانوي بورق كتب جميل، وهناك أضواء ساحرة ملفوفة حول الدرابزين. هناك آلة لصنع القهوة مجانًا في إحدى الزوايا، والأرضية مفروشة بالسجاد، وتمتلئ دائمًا الأرائك والكراسي المريحة بعشاق الكتب من الزائرين.

احتفظتُ ببقية ما تركته إديث ولم تطعن كِلْيُو في الوصية. ثم قسَّمته إلى ثلاث بيني وبين كِلْيُو وأمي. أحب أن أعتقد أن هذا ما كانت إديث ستريده لو أنها عرفت كيف ستنتهي الأمور. وكانت نهاية قصتها هي بداية قصتنا. باعت كِلْيُو منزلها الوردي في نوتينج هيل واشترت منزلًا مشابهًا -ولكنه أرخص بكثير- في الريف. لم تبِع أيًّا من أحذيتها الرياضية.

أعطي كِلْيُو بطاقة عيد الأم الورقية فتمتلئ عيناها بالدموع: إنها أول بطاقة تتلقاها على الإطلاق على الرغم من أن لديها ابنتان كبيرتان. أرى أمي تجفل لكنها لا تقول أي شيء. غالبًا ما تكون هناك فجوة بين ما نفكر فيه وما نقوله، حيث يقبع في تلك الفجوة ما نشعر به. نجلس حول الطاولة في الخارج، حتى ديكنز لديه كرسيه الخاص ووعاء مملوء بالعظم والمرق. ثم تفتح كِلْيُو الشمبانيا وأنا سعيدة، أعتقد أننا قد نحتاج إلى القليل لمساعدتنا على الاسترخاء.

أقول بعد أن تُسكب الكؤوس: «أريد أن أصنع نخبًا. فلنشرب هذه نخبًا للسيدات في حياتي. أنا ممتنة جدًّا لكما، عيد أم سعيد».

تبتسم كِلْيُو وتقول: «وتهانينا على التحاقك بمدرسة الفنون يا نيللي!».

أستخدم الاسم الذي أطلقته عليَّ أمي مرة أخرى الآن. أنا سعيدة بالعودة إلى طبيعتي وأحبها كذلك.

- شكرًا لكِ. أنا متحمسة لكني خائفة في الوقت نفسه.

تقول أمي وهي تأخذ رشفة من الشمبانيا: «لا تتوتري. ماذا لو أخبرتك أنني رأيتُ المستقبل بالفعل، وأن حياتك ستكون سعيدة وصحيَّة وناجحة؟ إذن لن تكون هناك حاجة إلى القلق حقًّا، أليس كذلك؟ إن الشعور بالتوتر بشأن شيءٍ تعلمين من قبل أنه سيسير على أكمل وجه لن يكون له أي معنى على الإطلاق».

تهبط دعسوقةٌ على الطاولة ونحدق إليها. أعلم أننا جميعًا نفكر في إديث الآن.

تقول أمي: «لم تتمكن الشرطة قط من حل لغز مَن قتل مديرة دار الرعاية حقًّا، أليس كذلك؟».

نتبادل أنا وكِلْيُو نظرةً سريعةً، ولكننا لم نتفوه بكلمةٍ واحدةٍ. لم أخبر أمي قط بما حدث بالفعل في ذلك اليوم. الأم تعرف الأفضل، ولكن في بعض الأحيان يكون من الأفضل ألا تعرف.

أنظر حولي إلى عائلتي الصغيرة الغريبة، ولكن السعيدة المكونة من ثلاثة أفراد وأبتسم. تحتاج بعض أشجار العائلة إلى أن تُقطَع. بينما يحتاج

بعضها الآخر إلى إزالة بعض فروعها فقط حتى تنمو. أحب أن أعتقد أننا أشخاص جيدون فعلنا شيئًا سيئًا، وهو شيء كان من الممكن أن يفعله أي شخص إن وجد نفسه في وضع مماثل. كثيرًا ما أجد نفسي أفكر في المفتشة شارلوت تشابمان، وأتساءل ما إن كانت تشعر بالشعور نفسه. كانت مصممة جدًّا على إيجاد الحقيقة في البداية، لكنها تركتني أمضي في حال سبيلي، وتجاهلت اعتراف إديث، ولم تسمع أمي وكِلْيُو عنها مرة أخرى. على الرغم من حديثها الطائل حول ثلاثة مشتبه بهم، وجريمتي قتل، وضحية واحدة، فقد تركتنا جميعنا نمضي في حال سبيلنا. هناك بعض الألغاز من الأفضل عدم حلَّها. أعتقد أن إديث كانت على حق. في بعض الأحيان تحدث أشياء سيئةٌ للأشخاص الجيدين، مما يضطر الأشخاص الجيدون إلى فعل أشياء سيئة.

شكر وعرفان

عندما شرعتُ في كتابة هذه الرواية، لم يكن لديَّ أي فكرة عن حسرة القلب التي كانت تنتظرني في إحدى الزوايا على مقربةٍ من حياتي الشخصية. لطالما كنتُ أختبئ داخل القصص عندما يرتفع صخب العالم الحقيقي من حولي، لكنِّي بقيتُ لأسابيعٍ دون أن أتمكَّن من كتابة كلمةٍ واحدةٍ، ولم أشعر من قبل قط بمثل هذا الدمار أو الضياع. شكرًا لجوني وكاري وفيولا وكريستين لمساعدتي في العثور على طريق العودة إلى القصة التي كنت أحاول سردها.

شكرًا للأبد، كما هو الحال دائمًا، لجوني جيلر، وكاري ستيوارت، لكونهما أفضل وكيلين واثنين من أقرب الأشخاص لقلبي. أنا ممتنة جدًّا لمعرفتهما. شكرًا لكيت كوبر، ونادية مقداد، وسام لودر، على كل ترجمات رواياتي. فرؤية كتبي في جميع أنحاء العالم ليست شيئًا أقل من سحر. شكرًا لجُوزي فريدمان، وليوك سبيد، وآنا ويجولين لاختيار تحويل رواياتي إلى أعمالٍ مرئيةٍ. وأشكر الجميع في «كيرتس براون» (Curtis Brown) و«كريتيف أرتيست ايجنسي» (CAA) الذين قدَّموا الكثير من أجلي ومن أجل كتبي، وخاصة فيولا هايدن وكيرا فينان.

خالص الشكر لمحررتي اللطيفة، والصبورة، والذكية للغاية، كريستين كوبراش، التي تهمس في أذني أحيانًا عندما أكتب على الرغم من أنها تعيش في نيويورك وأنا في ديفون. لم أكن لأتمكن من إنهاء هذا الكتاب لولا هذه المرأة الرائعة. شكرًا أيضًا لبقية أعضاء فريق «فلاتايرون» (Flatiron) الرائع

-فهم الأفضل- مع شكر خاص لبوب ميلر، وميجان لينش، ومالاتي تشافالي، ونانسي تريبوك، وكاثرين تورو، ومارلينا بيتنر، وكلير ماكلولين، وماكسين تشارلز، وفرانسيس سايرز، ودونا نيتزل، ورِيس ديفيز، وسام جلات، وأمبر كورتيس.

الشكر موصولٌ لمحرري في المملكة المتحدة، الفريد والرائع وِاين بروكس، وبقية الفريق المبدع في «بان ماكميلان» (Pan Macmillan)، مع شكر خاص للوسي هيل، وجوزي تيرنر، وبيكي لوشي، وكيت بولوز. وأشكر جميع الناشرين الأجانب الذين يهتمون هذا الاهتمام الرائع برواياتي.

شكرًا لكل من ساعدني في أغراض البحث لهذا الكتاب، وشكر خاص لأمناء مكتبة السجن الذين خصصوا وقتًا لجولاتي والإجابة عن جميع أسئلتي. شكرًا أيضًا لـ «فارنكومب بوت هاوس» (Farncombe Boat House) لمساعدتي في رسم تصور لقارب «ذا بلاك شيب» (The Black Sheep). منذ عدة سنوات، عملتُ مساعدةً في دار رعايةٍ للمسنين. يسعدني أن أقول إنها لم تكن مثل دار رعاية وِنزر، لكن تلك التجربة وذكرياتي في ذلك الوقت لم تكن تُقَّدر بثمنٍ عندما كتبت هذا الكتاب. الأشخاص الذين يهتمون بأحبائنا هم أبطالٌ حقًّا.

شكرًا لأمناء المكتبات وبائعي الكتب والصحفيين والنقَّاد الذين تعاملوا بلُطفٍ شديدٍ مع كتبي. وشكرًا لكل المشاهير والمدونين وصنَّاع المحتوى الذين يهتمون بالكتب على إنستجرام: أحب رؤية صوركم الجميلة من جميع أنحاء العالم. شكرًا لدانيال، قارئي الأول، وصديقي المفضل، وشخصي الأعزُّ على الإطلاق. الشُكر الأخير والأكبر أوجه لقرَّائي: لم أكن لأصل إلى هنا حقًّا من دونكم. تدور أحداث هذه القصة في عيد الأم وهذا الكتاب إهداءٌ إلى جميع البنات.

مكتبة ياسمين

t.me/yasmeenbook